

مروة صفاء قواقجي

ديمقراطية بلا حجاب

تاريخ داخل التاريخ



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

ديمقراطية بلا حجاب

تاريخ داخل التاريخ

تأليف

مروة صفاء قواقجي

ترجمة

مصطفى يعقوب

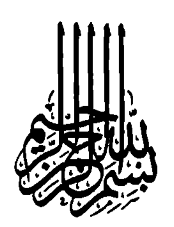


الدار العربية للعلوم

Arab Scientific Publishers

ديمقراطية بلا حجاب

تاريخ داخل التاريخ



ترجم هذا الكتاب من التركية المنشورة تحت عنوان:

Merve Safa Kavakci
Basortusuz Demokrasi
Tarih Icinde Tarih
(TIMAS, Istanbul 2004).

ISBN 9953-29-414-3

الطبعة الأولى

1427 هـ - 2006 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم،
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

إلى المعاصم الصغيرة المتضرجة دماً،

إلى كل مظلومة بسبب حجابها تنتظر بصبر بزوغ العدل،

قائلة: "ليكن إني منتظرة"،

إلى من ضاقت عليهنّ الأرض من حولهنّ وضاقت عليهن أنفسهن،

مروة صفاء قواقجي:

ولدت في أنقرة عام 1968، أنهت دراستها الثانوية في معهد TED بأنقرة ثم انتقلت إلى أميركا وواصلت دراستها في جامعة تكساس تخصص هندسة كمبيوتر. بعد عودتها إلى تركيا حفظت كل القرآن الكريم وشغلت وظيفة رئيسة العلاقات الخارجية في اللجنة النسائية التابعة لحزبي الرّفاه ثم الفضيلة. وفي عام 1999 انتخبت عضوا في البرلمان لمدينة استانبول.

بعد النضال السياسي الذي خاضته وتعطيل وظيفتها في تركيا أعطاها ذلك دفعة كبيرة للعمل والنشاط السياسي خارج البلاد. أنجزت رسالة الماجستير في الإدارة العامة بمعهد كندي الحكومي التابع لجامعة هارفرد، وشاركت في برنامج "إدوارد م. فلاو" ممثلة لتركيا. وفي الوقت الحالي تعمل عضو تدريس في كلية العلاقات الدولية جامعة جورج واشنطن في أميركا. وهي الآن تحرر المقالات في الجريدة اليومية "VAKIT وقت" في استانبول.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾

(سورة القيامة: 36)

المحتويات

تقديم للترجمة العربية

وكانت سلسلة الأحداث التي بدأت مع انتخابي نائبة برلمانية في المجلس الوطني التركي الكبير (البرلمان) في عام 1999 قد جعلتني معروفة في أوساط العالم الإسلامي، فقد تلقيت رسائل الدعم من الشرق الأوسط إلى جنوب أسيا، ومن أميركا إلى أفريقيا على مساحة جغرافية واسعة، الشيء الذي منحني مكانة متميزة في العالم الإسلامي بصورة خاصة. كل ذلك حصل عقب الأحداث التي نُقشت في ذاكرة التاريخ أثناء مراسم أداء اليمين في البرلمان. وكان من الأهمية بمكان أن يلقى هذا الحدث صدى واسعاً لدى العديد من الشعوب إلى جانب تحوّله إلى مادة للنقاش في الأوساط السياسية في مختلف بقاع العالم.

لقد شاهدت بعينين دامعتين تلك المظاهرات التي خرجت في أماكن مختلفة امتدت من الأردن إلى ماليزيا ومن إيران إلى أميركا، وذلك في وقت كنت أشعر فيه بأن أيام المحن سوف لن تنتهي وأن طاقتي في النضال قد فترت. وجاءت بادرة رجل الأعمال القطري حين أراد شراء الحجاب الذي ارتديته في البرلمان لابنته، وقرار البرلمان اليمني بشأن إعادة النظر في العلاقات التجارية مع تركيا واستضافتي في بيوتكم من قبل قناة الجزيرة عند بث صورتي مع بداية نشرة الأخبار اليومية دليلا كبيراً على مدى اهتمام المسلمين في العالم بالأحداث التي نعيشها.

منذ وقت طويل كنت على يقين من ضرورة وصول هذا الكتاب إلى القراء العرب، هذا الكتاب الذي آمل أن يسلط الضوء على تلك الأيام

والأحداث. واليوم، أمكن ذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل الجهد الطيب الذي بذله المترجم. وأنا أعبر عن خالص شكري لكل من أسهم في ترجمة هذا الكتاب وطبعه نشره وإيصاله إلى القارئ العربي. وأوجه أيضاً تحياتي الخالصة لكم على مساندتكم لي وتذكيركم المستمر إياي بأنني على حق في هذا النضال الذي أخوضه من أجل إيماني وحريتي.

مروة قواقجي

www.mervekavakci.org

واشنطن في أيلول/سبتمبر 2005

مقدمة

منذ عام 1999 هناك الكثير من الناس الذين تعرفت إليهم والنواب الذين تحدثت معهم يريدون معرفة ما إذا كنت سأدون في يوم من الأيام قصة علاقتي بالبرلمان وما حدث لي فيه، وما يكمن خلف ستار الأحداث التي جرت وسارت بعد ذلك. لقد مرت الآن أكثر من أربع سنوات على تلك الأحداث، وهي مدة طويلة، بالرغم من أنني منذ الأيام الأولى كنت أشعر بأن تدوين مجريات الأحداث وإخراجها في شكل كتاب يعد مسؤولية بالنسبة إليّ، وخصوصا للجيل الجديد في عائلتي حتى يكون ذلك وثيقة شاهدة على التاريخ. وهذا التأخر في الكتابة سببه أنني كنت في حاجة إلى أن أستوعب ما حدث بعقلي وإلى أن أنظر إلى الأمور نظرة موضوعية بعيدة عن العواطف، وهذا بالطبع كان يتطلب مرور فترة من الزمن كافية لذلك، كما كنت أعتقد أن ما حدث هو جزء من الابتلاءات التي نتعرض لها في هذه الدنيا.

وهذا الكتاب ليس عملا أكاديميا مبنيا على أبحاث معمقة، ولا هو رواية من صنع الخيال الخلاق، بل هو عبارة عن وقائع جمعتها وصغتها بطريقة الخاصة، وتحدثت فيها عن الفترة التي تم فيها الإعلان عن ترشيحي لعضوية البرلمان في شهر فبراير 1999، وما أعقب ذلك من تطورات، وأوردت ما حدث لي ولأسرتي ومن كانت لديه الشجاعة لكي يقف إلى جانبي ويساندني، وما كتب بشأني، وكان أكثره بعيدا عن الحقيقة والواقع. أوضحت في هذا الكتاب من هي مروة قواقجي، أين وكيف نشأت؟ وماذا كان الحجاب يعني بالنسبة إليها؟ وكيف انتخبت عضوا في البرلمان، وما

الذي شعرت به في اللحظات القصيرة التي أمضتها تحت قبة البرلمان عندما سمعت ذلك الصراخ: "أوقفوها عند حدها"؟ ما الذي جلبته الأيام القادمة وما الذي حملته وأخذته معها؟ عن طريق هذا الكتاب سوف تعرفونني مما أقوله بفمي، وسوف تسمعون صوتي لأول مرة.

وأنتم تتنقلون عبر صفحات هذا الكتاب، ربما تجدون أشياء غير تلك التي انطبعت في أذهانكم وربما تكتشفون "مروة قواقجي" مختلفة عن تلك التي انعكست في أذهانكم من خلال وسائل الإعلام، وبالتالي تجرون مقارنة بين تلك الصورة وبين الصورة الجديدة التي ترونها اليوم. وربما كان ما فكرتم فيه وما تصورتموه وما قرأتموه منسجما مع هذه الصورة. وأرجو أن لا يكون ما كتبته قد أساء لأحد أو جرح مشاعر أحد. وفي هذا الكتاب سعيت إلى أن أسرد الأحداث بلغة بسيطة واضحة دون أن أعتمد مقياسا محددا. وفي كل جلسة أجلسها لأكتب كنت ألجأ إلى الله ألا أظلم "حق" أحد. وأرجو أن يكون التوفيق قد حالفني في هذا الأمر.

أشكر شعب استانبول الذي وضع ثقته فيّ وصوت لي في الانتخابات العامة التي جرت في عام 1999. وأشكر جميع الذين دعوا لي ورفعوا أيديهم إلى السماء من أجلي و قدموا لي جميع أشكال الدعم، خلال السنوات الأربع الماضية، سواء داخل تركيا أو خارجها. أشكرهم، وفي الحقيقة لا أستطيع أن أوفيهم حقهم. فهناك من يطلب بالهاتف في وقت تأخر من الليل على بعد آلاف الأميال لكي يسأل عن أحوالي. أشكر ذلك الصوت المرتجف الذي طلبني من أوروبا قائلا: "لا تحزني يا أختي مروة، أليس كذلك"؟ أشكر ذلك الشيخ الكبير الملتحي الذي كان متكأ على عكازه والذي تقدم إليّ من وسط حشد كبير من الناس عندما كنت أشارك في أحد الاجتماعات في مدينة من مدن هولندا، تقدم بخطوات ثقيلة واكتفى بالقول: "حفظك الله يا بنيتي"، ثم توارى مرة أخرى بخطواته الوئيدة وسط الجموع.

تحياتي العميقة إلى الآباء والأمهات الذين وقفوا قبل ما يزيد عن السنة من الآن أمام معهد الأئمة والخطباء في "قاضي كوي" ومعاصمهم تـدمي دفاعًا عن حقوق أبنائهم. وتقديري الكبير إلى أولئك الأمهات اللاتي دافعن عن حجاب المرأة التركية المسلمة بمفردهن في وقت لم يولد فيه جيلنا نحـن بعد، وكانت الأجواء تعاني من ضعف سمة التسامح أكثر من اليوم بكثير.

هذا الكتاب خرج إلى النور بفضل تضافر جملة من الجهود؛ وأنا أشـكر كل من شجعني على الكتابة وساعدني في إعداده كتابة وتنضيدا وطباعة.

أوجه شكري الجزيل إلى العم "زكي أونال" وزوجته خالتي السـيدة "مقدر" وأختي روضة قواقجي الذين لن أستطيع أبدا أن أرد لهم ما صـنعوه معي من معروف في الأيام العصيبة التي بدأت مع عام 1999، كما أشـكر السيدة نازلي إليجاك باسم جميع المحجبات، هذه المرأة التي شاركتني القـدر السياسي نفسه ولم تتركني لحظة وحدي في خضم الأجواء السياسية التي لا تعرف الرّحمة ولا الإنسانية.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أبي وأمي اللّذيْن صنعا من العجـز قـوة بإيمانهما، فقد كانا دائما إلى جانبي كلفهما ذلك ما كلفهما.

كما أشكر جزيل الشكر ابنتي الصغيرة مريم التي بـذلت جهـدًا كـبيرًا لكتابة أجزاء من الكتاب على الحاسوب وعانت من قلة النوم مرات عديـدة. وأشكر كذلك ابنتي فاطمة التي سـاعدتني في عملـي في قسـم العلاقـات الاجتماعية من خلال تسجيل بعض الانتقادات الموضوعية وعرضـها علـي. فلولا صبرهم جميعا وتفهمهم ودعمهم ما خرج هذا الكتاب الآن.

مروة صفاء قواقجي
واشنطن فبراير 2004

تطوّر غير عادي في يوم بدأ عاديّاً

عندما استيقظت صبيحة ذلك اليوم، كنت لا أعرف أني في بداية سلسلة أحداث ستسجّل اسمي في تاريخ السياسة التركية، وأن تطورات هـذا اليـوم ستغير حياتي جذريا. وكانت لهذا اليوم العادي ولهذه البداية العادية نهاية وليلـة غير عاديتين، حيث بدأت صبيحة يوم السبت بالجري داخل البيـت. وكنـت أنادي الطفلتين "أيتها الطفلتان هل أنتما جاهزتان؟ وإلا سنتأخر" وأقول لجدتي "جدتي لا تقلقي بشأننا، نحن نذهب إلى مقر الحزب. وعندي برنامج اجتمـاع حتى منتصف النهار، وقد يستمر بعد الظهر أيضاً. وتأكدي أنني سأتصل بـك في وقت الراحة، هل اطمأننت؟" ثم أنال دعواتها وأودعها وننطلق في الطريق.

وكانت جدتي ركن العائلة رغم تقدم سنها. ولو لا وجودهـا لمـا استطعت تسيير أشغال الحزب التي كانت تستغرق جل أوقاتي. وكنا جميعا: أنا وابنتاي الصغيرتان فاطمة ومريم وجدتي، نسكن في نفس البيت الـذي قضيت فيه فترة دراستي الثانوية بمنطقة "مبوساولر".

ورجعت إلى تركيا بعد أن أكملت دراستي الجامعية في أميركا، وذلك بهدف أن تتعلم ابنتاي اللغة التركية جيداً وأن تتعلما عاداتنا وتقاليـدنا وأن تقضيا مرحلة الدراسة الابتدائية التي لها أثر كبير في تكوين شخصـيتهما في أرض الوطن. وبقي أبي وأمي وأخواتي في أميركا. وأصـبحت أسـكن في أنقرة مع جدتي وتحت رعاية خالي.

وكانت جدتي قد تولت تربيتي عندما كنت صغيرة، لأن أمي كانت مدرسة. وهي اليوم تربي ابنتي بعد أن كبرتُ وأصبحت أُماً. وكنت ألاطفها أحياناً وأعانقها وأقول لها: "لن تتخلصي مني يا جدتي". وكانت تغضب منا لسبب اختيارنا بعض أنواع الأكل دون أخرى، وأحياناً تطل على غرفتي من الباب رابطة يديها في ظهرها وتقول لي مازحة: "هل يلزمني طلب موعد منك يا بنتي؟ وأنت مشغولة دائماً، ولم لا نجلس ونتحدث معا؟". وعندما كنت أسمع هذه الأقوال أقوم من مكاني حالا وأجهز الشاي ثم أتجاذب معها أطراف الحديث. وكنت أحدثها عما فعلنا في الحزب وأتلقى نصائحها. وهي كانت تعرض عليّ التطورات السياسية لذلك اليوم.

وكانت جدتي رغم تقدم سنها نشطة في حياتها وهي تتابع الأخبار الصحفية بدقة وتقرأ كذلك مقالات الكتاب الصحفيين، ومع ذلك تشتكي وتقول: "لا تبصر عيناي جيداً وأنا أجد صعوبة في القراءة". ولعله لسبب هذا النشاط كنا لا نعتبرها عجوزا في الثاني والتسعين من عمرها بل نراها "جدة لنا "تطعمنا وتسقينا وترعانا. ولو لا دعمها لنا لما كان بوسعي تسيير أعمالي المكثفة خارج البلاد وتخصيص وقت لحفظ القرآن مع وجود بنتيّ المشاغبتين. وخرجنا من البيت صبيحة ذلك اليوم بعجالة حتى لا نتأخر عن موعد الاجتماع.

وكنت أعمل أولاً بصفة رئيسة العلاقات الخارجية في المركز العام للجنة النسائية في حزب الرفاه منذ سنة 1994، ثمّ في حزب الفضيلة بعد إغلاق الأول. ووافقت على تولي هذا المنصب عندما تلقيت اقتراحاً في هذا الخصوص من قبل السيدة "لمان آكساي" رئيسة اللجنة في تلك الدورة، شريطة أن أُحضر معي بنتيّ البالغة إحداهما أربع سنوات والأخرى خمس سنوات من عمرهما آنذاك. وبما أنه كان من المتعذر أن أشتغل في تركيا بصفة مهندسة كومبيوتر محجّبة فإنني فضلت العمل في وسط يحترم أفكاري

بغض النظر عن ملبسي، ولذا فضلت العمل في الحزب بغية تطوير قدراتي ونفع الآخرين. وعند التوجه إلى مقر الحزب في صبيحة ذلك اليوم كنت أحذر ابنتيّ في الطريق من القيام ببعض الأفعال هناك وأحدثهما عن أهمية هذا الاجتماع الذي ستشارك فيه النساء في الحزب من مختلف المدن مؤكدة بأنه يختلف عن سائر الاجتماعات.

وعندما انتهت الجلسة الأولى من الاجتماع كان الوقت يقترب من الظهر. وفي وقت الغداء قدمت إليّ "أليف أربكان" وسألتني: "السيدة مروة، هل نستطيع أن نتحدث قليلاً، وهل لديك وقت؟". وكانت أليف مسؤولة في اللجنة النسائية لحزب الفضيلة في مدينة استانبول. وقلت لها: "طبعاً يا أليف، أنا مستعدة" فخرجنا نبحث عن مكان هادئ لنتحدث فيه. وكان الازدحام ملفتاً للانتباه حيث كنا في اجتماع المسؤولين من مختلف المدن، وهو يُعقد مرة كل ثلاثة أشهر. وعندما اقتربنا من أمام المصعد الآلي بحثاً عن مكان مناسب. استأنفت أليف حديثها وقالت: "رئيسة اللجنة كانت تريد أن تتحدث معك لكنها طلبت مني أن أتكلم معك أوّلا" وأردفت قائلة: "السيدة مروة، تم تناول موضوع ترشيح النساء لمنصب نيابة البرلمان خلال اجتماع لجنة الإدارة العامة للحزب، وتم اتخاذ قرار بترشيح نساء محجبات إلى جانب النساء غير المحجبات في الانتخابات القادمة. ومعلوم أن حزب الرّفاه واجه انتقادات شديدة في الانتخابات السابقة لعدم ترشيح النساء. وورد اسمك في هذا الإطار حيث يُنتظر انتدابك لهذه المهمة. وأردنا أخذ رأيك في هذا الموضوع".

وأسرعت دقات قلبي بسبب ما سمعتُ. وكانت الانتقادات الموجهة إلى حزب الرفاه الذي تولى الحكم بفضل جهود النساء أوقعتنا في مشكلة، لأن الحزب لم يكن يعطي النساء حق التمثيل آنذاك. ومع تأسيس حزب الفضيلة تزايدت انتقادات النساء النشطات داخل الحزب. ولما تقرر انتداب

مرشحات غير محجبات، تقدمت النساء الممثلات لأصول الحزب بمقترح انتداب نساء محجبات أيضاً. وقلت لها: "شكرا يا أليف، لا شك أن انتدابي لمنصب مشرّف كهذا سيسعدني جدّاً، وكما تعلمين أنه لا يمكن تناول هذا الموضوع هكذا، إذ يجب إمعان النظر والتفكير فيه". وردّت بالقول: "طبعاً يا مروة، إن رئيسة اللجنة ستقدم إليك المقترح الرسمي، وأرجو أن توافقي عليه. ومن الأهمية بمكان أن تمثل شخصيات مثلك سائر النساء النشطات في الحزب". وجدّدت لها الشكر وأعلمتها بأني سأتخذ قراري بعد المشاورات اللازمة.

وغادرتُ جلسة ما بعد الظهر وقتا قصيراً لأتصل بوالديّ في أميركا هاتفياً وأحدثهما عن المقترح الذي تلقيته، ثم تذكرت أن الشمس لم تشرق بعد هناك وتراجعت عن الاتصال. واتصلت ببيت خالي فأجابني ابن خالي "أدهم". وبعد أن حدثته عما جرى قلت له: "أبلغ هذا الخبر إلى خالي لنفكر فيه في ما بعد". ثم أغلقت الهاتف. وأخذني الفرح والهيجان وكنت لا أستطيع الوقوف في مكاني من كثرة الفرح. وفكرت في العودة إلى قاعة الاجتماع إلا أن ذهني كان مشغولا بأمور أخرى. وكنت قد ألقيت كلمة في الاجتماع حول أنشطة لجنة العلاقات الخارجية ثم لم أقم بمداخلة أخرى في ذلك اليوم. وعند العودة إلى البيت مساء قلت لبنتي: "لديّ بعض الأخبار لكما، سأتحدث عنها عند الوصول إلى البيت". وسألتا بكل لهفة: "ما هي هذه الأخبار يا أمي، قولي رجاء".

هل "تؤخذ الأخبار من الأطفال الصغار" أو "الدروس السياسية"؟

حدّثتُ جدتي عما جرى في ذلك اليوم عند تناول العشاء. وسألت بنتيّ خلال تناول الأكل: "ما رأيكما في أن تصبح أمكما نائبة في البرلمان؟ هل تريدان ذلك؟" وأضفت: "وكما تعلمان، عندما يصبح الإنسان نائب في البرلمان تزداد أشغاله ويتحدد الوقت الذي يخصصه لأولاده. وطبعاً لم تكن في حزبنا أية نائبة في البرلمان إلى حدّ الآن، ولأول مرة تشارك النساء المرشحات في انتخابات السنة الجارية و..." أردفت قائلة بكل سرور: "ما رأيكما في أن تصبح أمكما أوّل نائبة في البرلمان في الحزب؟ إنها وظيفة هامة في واقع الأمر". ورفعت فاطمة رأسها متوقفة عن تناول الطعام فنظرت إلى وجهي بهموم، وفتحت عينيها وقالت بعد المكوث بضع ثوان: "يا أمي، أسأل الله أن لا تُسجني!" وبهتت وقتذاك وأصبحت أنظر إلى وجه فاطمة، وعلى وجهي علامات الغضب. من أين لها هذا القول؟ ولم أكن أجد أيّ معنى فيما قالت. ولكني كنت سأفهم بعد مضي وقت قصير أن بنتي البالغة ثماني سنوات من العمر لها قدرة تفكير واسعة وبعيد المدى أكثر مني، وكنت سأكتشف كونها محقة في القلق بشأني.

وأعدت الاتصال بوالديّ في وقت متأخر من الليل. ولما سمعا الخبر فرحا كثيراً وفوجئنا. وأنهيت المكالمة بعد القول: "تشاوروا فيما بينكم في هذا الأمر، ونحن بدورنا سنفكر فيه هنا لنتحدث حوله بعد ذلك معا". لقد

نشأت في عائلة طبعتها خاصية "الديمقراطية" بما في الكلمة من معنى، إذ كنا منذ الصغر نعقد اجتماعات عائلية لتناول مواضيع الساعة والمناقشة حولها. وإذا احتاج الموضوع إلى اتخاذ قرار فإننا كنا نلجأ إلى الاقتراع. وكان أفراد العائلة متساوين في الحقوق بغض النظر عن فارق السن والتعليم، حيث كانت لآرائي وآراء أبي وأمي وإخوتي القيمة نفسها.

هذا ما حدث في اجتماعنا الذي عقدناه للنظر في كيفية حل المشكلة القائمة آنذاك بسبب عمل أمي في جامعة أتاتورك بمدينة "أرضروم"، حيث كان أبي قد أخذ رأيي ورأي أختيّ الصغيرتين في هذا الموضوع، وكانت إحداهما أصغر مني بثلاث سنوات والأخرى بسبع سنوات. وكان القرار المتخذ حول تلك المشكلة هو استقالة أمي من عملها. ولم تكن المسائل المطروحة للنقاش منحصرة في القضايا العائلية فحسب، بل كانت تشمل أحياناً الأحداث المستجدة في بلادنا وفي العالم. وكان أمتع شيء عندنا آنذاك هو النقاش حول ما سنفعله في العطل والأماكن التي سنزورها وإجراء قرعة لاختيار أحد المقترحات. وبذلك كنا نكتسب خبرة في التعبير عن أفكارنا من جهة ونتعلم كيفية الاستماع إلى آراء الآخرين واحترامها من جهة أخرى، وذلك إيماناً بمبدأ "الخير في الاستشارة". كما حاولت تطبيق هذه العادات التي نشأت عليها منذ صغري عند تربية ابنيّ، وأصبحت بفضلها أما وصديقة بالنسبة إليهما. وكنت حريصة على الاستماع إلى آراء الأطفال بكل جدية وعلى توفير الفرص لهم للتعبير عن آرائهم بحرية تامة.

وقد أسعدني مقترح ترشيحي لمنصب مقدس كمهمة نيابة البرلمان. ولكن كانت علي استشارة أقاربي حتى أتخذ قراراً بشأنه. وقضيت نهاية أسبوع مكثفة بإجراء اتصالات هاتفية في خط أنقرة - استانبول - دالاس. كما اتصلت بي رئيسة المجلس النسائي السيدة "لمعان آكساي" وكانت

سعيدة جداً حيث تلقت نفس المقترح من قبل الحزب وهـي علـى علـم بفحوى الموضوع قبلي. ولكن رغم محاولاتي الجادة فإنني لم أستطع إقناعها بالترشح معاً في الانتخابات القادمة لأن السيدة "لمعان" كانت أما شابة ولها ولدان صغيران يحتاجان إلى العناية وتخصيص الوقت لهما مما اضـطرها إلى عدم قبول هذا المقترح.

وفي الوقت الذي كان النقاش دائراً حول الموضوع داخل العائلـة، اتصلت برجال القانون لمعرفة ما إذا كان حجـابي مانعـا للترشـح في الانتخابات وأداء مهمة النيابة في البرلمان في حالة انتخـابي؟ وكانـت الأجوبة إيجابية ومفرحة، إذ لم تكن هناك أية مادة قانونية تمنعني من ذلك سواء في الدستور أو في النظام الداخلي لمجلس النواب. وكانت المادة 56 من النظام الداخلي للبرلمان تنص على: "أنّ الموظفين وسـائر العمـال الحكوميين التابعين لمؤسسة المجلس التركي مجبرون على ارتداء ربطة العنق والنساء بارتداء تيبور (نوع من الملابس المخيطة)". وتم الاقتراع داخـل العائلة وصوت الجميع لصالح ترشيحي في الانتخابات ما عدا ابن خـالي "كريم". وكان كريم هو الشخص الوحيد الذي ينشط بخلافي في مجـال السياسة بشكل فعال. ورغم تصويته بـــ "لا" فإنّ نتيجة الاقتراع كانت "نعم" مما كان يعني ترشيحي لمهمة مقدسة. وعليه اتخذت هذا القـرار وطلبت العون من الله.

وفي اليوم الأول من الأسبوع اتصلت بالسـيدة "لمعـان" وأعلمتُهـا بقراري ثم اتصلتُ بالسيدة "أليف أربكان" واستدعتني إلى بيتها. وعند أداء الزيارة في بيتها، ونحن نشرب الشاي حدّثتُ العمة "نرمين" عـن الحـوار الذي دار بيني وبين أليف قبل بضعة أيام وأخبرتها بهذا القرار الإيجابي الـذي اتخذته بعد مشاورة عائلتي. وأضفت تمنياتي بأن تكون هذه الخطوة خيراً لنا وطلبت دعواتها. ووضعت العمة نرمين فنجان الشاي الذي كان في يـدها

على الطاولة وقالت لي مبتسمة: "يا مروة، كنت أحدث" أليف"قبل قدومك وأقول لها يبدو أنني سأزعج مروة قليلاً في هذا اليوم الجميل". وبدأت تذكر لي الصعوبات والمسؤوليات التي ستنجر عن هذه المبادرة الفريدة من نوعها وعن دور وسائل الإعلام في حياتي معربة عن قلقها إزاء هذا الوضع. وحذرتني من نظرة الصحافة المسبقة إلى الأحداث واحتمال أن تتحول حياتي إلى "حدث العامّة". وكانت العمة نرمين قد تعرضت في حياتها لأفكار الناس المسبقة ورأت الوجه الظالم للسياسة وتحملت مشقات شتى نتيجة التطورات غير المتوقعة، ولذلك أرادت تنبيهي وإعدادي لما سأواجه من مشاكل في المستقبل. وكنت أستمع إليها وأحرك رأسي تصديقا لما تقول.

وذكّرتني تلك النصائح بأيام أعمالنا التحضيرية للانتخابات المحلية في استانبول سنة 1996، حيث صادفت عددا من الناس محمّلين بمعلومات خاطئة وتبنوا أفكارا مسبقة. وكنت قد شاركت في الأعمال التحضيرية للانتخابات المحلية في بعض مناطق استانبول في ذلك الصيف مع السيدة "نرمين" والسيدة "أمينة أردوغان" والسيدة "أليف". وكنا نبدأ في الصباح ببرنامج القاعة تحت تنظيم هيئة الحزب لمدينة استانبول ونشارك بعد الظهر وفي المساء في الاجتماعات المنزلية. وكانت السيدة "نرمين" والسيدة أمينة تحاضران أمام الضيوف ثم يأتي دوري ودور أليف لنجيب عن الأسئلة. وكنا نطلب دعم هؤلاء الناس لتحقيق نفس النجاح الذي حققه "طيب أردوغان" في بلدية استانبول الكبرى في سائر البلديات غير التابعة لحزب الرفاه آنذاك. وكنا نتلقى أحياناً خلال هذه الزيارات أسئلة غريبة تثير فينا الاندهاش مثل أسئلتهم هل أن النساء المسلمات من أمثالنا يعارضن التكنولوجيا؟ وهل أن حياة النساء المحجبات في البيت "عادية" كحياة النساء الأخريات؟ وأسئلة أخرى من هذا القبيل. وكانت هؤلاء النساء اللواتي

يجتمعن لأول مرة مع المتدينات في جو الصداقة داخل نفس البيت، يبدين تعجبهن إزاء ما اكتشفن من وجود نقاط مشتركة بين المجموعتين بعيداً عن صورة "المرأة المتدينة" التي ترسخت في أذهانهن. وكنّ عند مغادرة هذه الاجتماعات يعبّرن عن امتنانهن حاملات أفكاراً مغايرة عما كان في السابق.

وكنت أستمع إلى العمة نرمين ذلك اليوم، وأفكر في نفس الوقت في أن هذين القطبين المنفصلين عن بعضهما وكأنهما في عالمين مختلفين يجب أن يجتمعا ويتعرفا على بعضهما البعض. كما يجب على نائبة برلمان "متدينة" أن تؤدي واجبها في هذا الاتجاه وأن تتحمل المسؤوليات من أجل المساهمة في القضاء على هذه الفجوة. وكنت على إيمان بأن تأسيس "تضامن نسائي" داخل المجلس الوطني الذي يعد أعلى جهة رسمية في تمثيل الشعب سيكون نموذجاً لسائر الشرائح الاجتماعية. وهو ما أكدته العمة نرمين حيث أردفت قائلة: "مروة، إنها مهمة جيّدة رغم صعوباتها. لقد حان الوقت ليرى شعبنا أن بإمكان امرأة مثقفة وناطقة بلغة أجنبية ومهتمة بملبسها ومعاصرة أن تكون امرأة متدينة في نفس الوقت. ونحن على يقين بأنك ستؤدين هذا الواجب بنجاح".

ألم تكن حقوق التعلم والتثقف والتقدم وتبوّء مكانة مرموقة في المجتمع مقتصرة على مجموعة معينة من الناس؟ أي تلك المجموعة الكمالية العلمانية التي ليست في الحقيقة بعلمانية بل تتاجر باسم العلمانية وتزعم بأنها معاصرة، لكنّها في المقابل لا تتسامح مع من يختلف معها في المظهر والتفكير، ولا تطيق وجود من سواهم، وتظن أن الالتحاق بركب التقدم الغربي ينحصر في "تقليد اللباس" كما تروج لـ "الاستنساخ الفكري". وهذه هي المجموعة التي ظلمت الشعب التركي المتدين منذ سنوات طويلة ووصفته بـ "صاحب العقل العنكبوتي" وقدمت المرأة المحجبة التركية في

صورة فلاّحة أو خادمة في المدارس والبيوت، وانتهزت جميع الفرص لتوجيه انتقادات إلى النساء المحجبات بسبب لباسهن كما اعتدت على حقوق الإنسان التي هي حق طبيعي لكلّ إنسان.

وازددت شوقا وعزيمة عند الاستماع إلى العمة نرمين. وكنت أدرك مدى أهمية الترشح لهذا المنصب العظيم، وأتذكر تلك الأيام التي اضطرت فيها أمي للاستقالة من عملها في الجامعة بسبب الحجاب، وكأني كنت أعيش تلك الأيام من جديد. وربما كان لتلك الأحداث التي مرت على أمي أثر في تكويننا من الصغر، حيث كانت أمي قد اتخذت قرارا بارتداء الحجاب عندما كانت طالبة في الجامعة (جامعة استانبول - كلية الآداب - قسم اللغة الألمانية). وكانت الطالبات المحجبات في ذلك الوقت أي في الستينات لا يستطعن الذهاب إلى الجامعة. وكانت أمي تواصل دراستها في الجامعة آنذاك بدون الحجاب، وذلك تطبيقا للشعار الذي يتماشى مع مبادئ ديننا والذي يقول: "أعدّوا أولادكم للمستقبل وليس للحاضر الذي أنتم فيه". وكانت أمي امرأة مسلمة تلتزم بأوامر دينها، ولذا كانت تشعر بانزعاج كبير لعدم ارتداء الحجاب. وذات يوم اتخذت قرارا بالقضاء على هذه المحنة، وتذكرت المبشرات المحجبات من بين أساتذة ثانوية "St George Austuria" التي درست فيها بعد المرحلة الابتدائية ثم تساءلت: "إذا كان هؤلاء النساء يدرّسن في بلدي ويتمتعن بحرية اللباس، فلم لا أواصل أنا دراستي محجبة؟ .

وبعد مضي بضعة أيام على بدء الذهاب إلى المدرسة محجبة، دعا البروفيسور الدكتور "شارا ساين" أمي إلى مكتبه وسألها حول ما إذا كانت مريضة؟ وأجابت أمي بأنها ليست مريضة وأنها اتخذت قراراً مبدئياً إذ هي تشعر باطمئنان أكثر عندما ترتدي الحجاب. وقال لها البروفيسور: "لا تظني أنني أوافقك على قرارك، ولكنّني أهنئك على

شخصيتك القوية". وواصلت أمي بعد ذلك دراستها وانفردت بحجابها في الجامعة. وفي الوقت الذي قصّت علينا هذا الحدث كانت أمي قد منعت من التدريس في جامعة أتاتورك قسم اللغة الألمانية بمدينة "أرضروم" كما تلقت إنذاراً بالطرد من قبل عميد الكلية البروفيسور الدكتور "أحمد تشاكير" مما اضطر أمي إلى تقديم استقالتها في ما بعد. وكان هذا الحدث قد أحزننا كثيراً، وأنا كنت أبلغ من العمر وقتذاك اثنتي عشرة سنة. وكنت لا أجد أجوبة للأسئلة التي تشغل فكري الصغير، لأن أمي كانت أستاذة ومربية جيدة أمام طلابها.

وهناك ذكرى أخرى لأمي حدثت في اليوم الأول من بدء تدريس اللغة الألمانية في ثانوية الأئمة والخطباء سنة 1969 بمدينة استانبول... وقد اسأنفت أمي التدريس في الصفين الأول والثاني برفقة مدير الثانوية، وذهبت إلى أمام الصف الثالث بمفردها وظلت تنتظر أمام باب الصف وقت رنين الجرس، وهناك اقترب منها طالب (أيوب أنصاري أركين) وسألها: "هل تبحثين عن أحد يا سيدة، وهل بإمكاني مساعدتك؟" وأجابت أمي: "لا، يا بنيّ وشكراً جزيلا لك". وتقدمت أمي نحو كرسي الصف عند رنين الجرس وسط أنظار الطلاب الحائرة. وكان الصمت قد عم الصف عندما قالت أمي: "أنا أستاذة اللغة الألمانية الجديدة، وسندرس الألمانية معاً بداية من اليوم". وابتسم بعض الطلاب في تعجب واستغراب لكونهم يشاهدون أستاذة محجبة لأول مرة. لقد خرّجت هذه الثانوية التي كانت أولى مدرسة من نوعها آنذاك جيلا متميزاً فيه شخصيات بارزة في تركيا اليوم، وقد تحولت إلى "مدرسة" متميزة فيما بعد. وعملت أمي هناك بصفة أستاذة اللغات الألمانية والإنكليزية والتركية على مدى خمس سنوات، وكانت تصحبني معها أحياناً إلى هذه المدرسة.



في نــزهة مع أمي وطلاب ثانوية الأئمة والخطباء (أنا البنت الصغيرة التي تلبس نظارة شمسية والبنت الأصغر هي أختي "روضة") استانبول عام 1974

وفي الوقت الذي استقالت فيه أمي مــن جامعــة أتــاتورك بمدينــة أرضروم، كان أبي يواجه ضغوطا من قبل رئيس الجامعة نفسها بصفته عميد "كلية الإلهيات"، وذلك لإجبار الطالبات المحجبات من أجل خلع حجابهن. ويا عجبا من هذا التناقض في كلية إسلامية تمنع الطالبات من ارتداء لبــاس إسلامي. لكن موقف أبي كان ثابتا حيث أكد أنه من المستحيل بالنسبة إليه أن يطلب من الطالبات خلع الحجاب، ولذلك فضّل التقاعــد في مرحلــة مثمرة من حياته. وكم كان مؤسفا أن أواجه نفس العقبة عنــدما كنــت طالبة في السنة الأولى في كلية الطب بجامعة أنقرة عام 1986 ممــا جعلــني أدفن حلمي المستقبلي لأصبح "طبيبة" في أعماق قلبي، وكنت أغضب مــن الأساتذة الذين كانوا يعاملوننا معاملة "غــير إنســانية" ويعتــدون علينــا اعتداءات لفظية لإجبارنا على خلع الحجاب، وذلك بعــد مــرور خمــس

سنوات على استقالة أمي من عملها بسبب موضوع الحجاب. وبعد مرور وقت من الزمن قال لي أبي: "يجب أن ننتقل إلى مكان آخر يوفر لك ولأختيك من بعدك فرص تحصيل العلم". وهاجرنا إلى أميركا وسط تعجب الأقارب والأصدقاء تاركين كل شيء وراءنا، وأصبحنا من بين الأسر الأوائل التي تغير مجرى حياتها بسبب مسألة "الحجاب".

وفي خضمّ هذه الأفكار سألت السيدة نرمين: "وماذا سيحدث إذا لم يقبلوني؟" وسوف لن يصمت هؤلاء الذين يرفضون الحياة لمن يخالفهم في الشكل والتفكير، فهؤلاء هم أصحاب "الاستنساخ الفكري" الرافضين للتّجديد، إنهم لن يصمتوا إذا رأوا في مجلس الشعب من يعتبرونه من الطبقة الثانية في المجتمع خاصة إذا كان "متديناً". ولا شك أنكم تعرفون أمثال هؤلاء... الذين لا يطيقون رؤية امرأة طاهرة وعفيفة ومحجبة تسوق السيارة أو تتقن لغة أجنبية، ولا يترددون في إظهار الإهانة والتعصّب. وكنت أقصد هؤلاء... ثم وضعت السيدة نرمين فنجان الشاي الموجود في يدها فوق الطاولة أمامها وقالت لي: "وإذا لم يرضوا عن دخولك المجلس فإنّ العالم سيكتشف وقتئذ مدى نفاقهم، وكيلهم بمكيالين فيما يتعلق بالنظر إلى حقوق الناس".

وكان من الطبيعي جداً أن أجد أمامي من سينزعج من وجودي من أصحاب العقول المنغلقة الرافضة لأي اختلاف أوتجديد. ولكني كنت أعتقد أن على هؤلاء الناس احترام حقوق الإنسان والدستور التركي سواء أحبّوا أم كرهوا ما دامت تركيا تتصف بأنها "دولة القانون". وعلى هذا النحو انتهى حديثنا في تلك الليلة، ودعوا لي، ثمّ رجعت إلى البيت...

خطوة أولى نحو حياة جديدة

وفي اليوم الموالي، اتصلت بصديق العائلة القديم السيد البروفيسور الدكتور "بشير أتالاي" فطلبت منه موعداً للقائه وأجابني "تعالي فوراً، لنجلس ونتحدث معا". وكانت صداقتنا مع السّيد بشير ترجع إلى الماضي البعيد، حيث قضينا معه ومع عائلته سنوات طويلة خلال عمل والدي في جامعة أتاتورك بمدينة أرضروم. واستمرت هذه الصداقة بعد انتقال العائلتين إلى أنقرة أيضاً. والسيد بشير وزوجته "يلديز" كانا يكنان لي ولإخوتي محبة كبيرة كما لو أننا أولادهما. وعندما زرته في مكتبه بمنطقة "تشان قايا" في يوم معتدل الطقس من شهر شباط/فبراير المبشر بمرور الشتاء البارد. كان السّيد بشير رئيس مركز "ANAR" للأبحاث. وكان رجل علم اتخذ مهمّة تدريس أبناء الوطن شعاراً له على مدى سنوات طويلة، إلاّ أنه أجبر على الانفصال من عمله كرئيس للجامعة من قبل قوى خفيّة.

ودعا السّيد بشير صحفيّين من أصدقائه إلى هذا اللقاء عقب حديثي معه حول الموضوع في الهاتف. وصار اللقاء مناسبة لتبادل الآراء حول كيفية تجاوز هذه المرحلة بأقل صعوبة، ودون إثارة ردود أفعال القوى المهيمنة في تركيا. واتفق الجميع على ضرورة التّحرك المُمنهج نظراً لحساسية الوضع. وبين هذان الصّحفيّان - باعتبار قربهما من الأوساط الإعلامية ومعرفتهما الجيدة لهذه الساحة - أنّ حياتي سوف تتغير بشكل درامي بداية من إعلان ترشحي لنيابة البرلمان أمام وسائل

الإعلام التركية، وأنّ عليّ أن أستعد لهجمات الصحافة واتهاماتها. وكنت أدرك جيداً أنّ بعض التطورات ستجري خارج إرادتي في المستقبل، وبدأت أشعر بثقل هذه المسؤولية شيئاً فشيئاً، وأخذ الفرح يترك مكانَه للخوف والقلق. ولم أكتشف بعد تلك القوى التي ستقف في طريقي، ولم أشاهد بعد مدى قسوتهم وعدم خشيتهم من الله. وكنت سأدرك كل ذلك في الأيام القادمة. وبرفقة عائلتي، كنت سأرى بشاعة الأعمال التي يمكن وصفها بأنها "تنفيذ بلا قضاء".

تحديد القائمة النهائية وإعلان ترشّحي

ويعرفني الذين تعرفوا عليّ عن قرب أنني أحب أداء واجبي وأتحلى بخاصية بذل جهود متواصلة دون ملل أو كلل من أجل الوصول إلى النّجاح، حيث أعرف واجبي ولا أتدخل في شؤون الآخرين، أو بالأحرى لا أضيّع وقتي في مسائل فضولية. وكنت أشغل موقع رئيسة العلاقات الخارجية في الحزب منذ مدة طويلة، وبقيت في هذه الوظيفة نظراً لمعرفتي اللغة الأنجليزية، ونظراً لطريقة عملي المرنة رغم بعدها عن اختصاصي. واعتبرت نفسي "محظوظة" لتولي هذا المنصب الذي أتاح لي فرص المشاركة في اجتماعات انعقدت في مختلف بلدان العالم وإلقاء خطابات أمام مجموعات تنحدر من أديان وثقافات متعددة، وذلك لما عندما عمري يتراوح ما بين 25 و26 سنة. كما حظيت باستقبال وحفاوة رؤساء بعض الدول التي زرتها وحظيت بالتّعرف على رجال العلم والسياسة واستفدت من آرائهم النيّرة.

وكنت أجد خلال محادثاتي فرصة للتّطرق إلى نظام عمل حزبنا، هذا العمل الذي جعلنا نموذجاً في تلك الفترة حتى جاء القول: "اعملوا مثل النّساء الرّفاهيات". وكانت عائلتي تقاسمني نفس الشعور والحماس، وتنظم حياتها وفق برنامجي عند أداء عملي عبر الأسفار من مكان إلى آخر، وأحياناً مرتين خلال شهر واحد. ولم تكن الأمومة أمراً سهلاً ناهيكم عن تحمل دور الأم والأب في الوقت نفسه. وكانت قريبتي التي أعتبرها بمثابة أمي أو أختي "روضة" تأتي إلينا من استانبول لمساعدة جدّتي عند خروجي إلى السّفر، أو تأتي أمّي من أميركا أحياناً كيْ أسافر مطمئنة.

وكان الحزب قد اقترح علي التّرشح في شباط/فبراير 1999، إلا أنني كنت أجهل كيفية إجراءات الترشح. وكان الوضع في "حيص بيص" خلال الأشغال التحضيرية للانتخابات في تلك الأيام، حيث كان الجميع في سباق مستمر. ومع اقتراب موعد تسليم القوائم، اتصلت بي السيدة "نرمين" وحدثتني عن الإجراءات اللازمة. واستيقظت في صباح اليوم الموالي باكراً وذهبت إلى عميد الحيّ ثم إلى النيابة العامة للحصول على ورقتيْ الإقامة وحسن السّيرة ثم انتقلت بعد الظهر إلى مقر الحزب. وطبعاً كان المركز العام للحزب مزدحماً بالناس. وقد اجتمع جميع المرشحين من مختلف المدن التركية هناك لمتابعة إجراءات ترشّحهم.

وأتذكر صعودي إلى مكتبي بكل صعوبة وسط الازدحام، واتصلت بالعمة "نرمين" فور دخولي المكتب. وأجابتني في الهاتف السيدة "أليف"، وكانت أمها مريضة وأعلمتني أنها لم تكن في صحة جيدة عندما تحدثت معي في صباح ذلك اليوم. كما كانت النساء اللواتي يردن ترشيح أزواجهن يتصلن بها بكثرة ويزعجنها أحيانا. وأخبرت السيدة "أليف" بأنني سأسلم أوراقي إلى الحزب، لكنني لا أعلم أين سأضعها؟ وقالت لي إنها ستتصل بي بعد قليل فأغلقت الهاتف. وبعد إجرائها اتصالاً هاتفياً مع السيد البروفيسور الدكتور "نجم الدين أربكان" الذي كان يتجه وقتئذ إلى مدينة "قونيا" اتصلت بي السيدة "أليف" وقالت لي: "استانبول". وأسرعت إلى الأسفل، وكان مكتب الانتخابات مزدحماً جدّاً، ولما سألني الأخ الموظف: "أي منطقة في استانبول؟" رجعت إلى مكتبي مهرولة وأعدت الاتصال بالسّيدة "أليف". وبعد إعادة سلسلة الاتصالات أخبرتني أليف بالقول: "استانبول، المنطقة الأولى". وتنفست الصّعداء بعد إكمال الإجراءات في مكتب الانتخابات في المرة الثانية. ودعوت الله عند مغادرة مكتبي أن تجلب هذه المسؤولية الجديدة لي ولشعبي ولعائلتي الخير في الدنيا والآخرة.

ومع إعلان قائمة المرشحين في مساء اليوم الأخير، حزن البعض وفرح الآخرون. وأصيب الذين كانوا متأكدين من إعلان أسمائهم ضمن القائمة ثم لم يجدوها بإحباط كبير. وكنت أتعجب في أمر البعض الذين أولوا أهمية حياتية لهذه القائمة. كما لاحظت عند مغادرة الحزب مساء ذلك اليوم زيادة الازدحام في الطابق الأرضي بمقر الحزب بالمقارنة مع سائر الأيام. وكان أحد الموظفين يقرأ القائمة بصوت مرتفع ووقفت بعض الدقائق ثم غادرت الحزب بعد الاستماع إلى قائمة استانبول التي ورد فيها اسمي.

ثم ركبت سيارة أجرة لأني لم آت بسيارتي، وبينما أنا في الطريق حاولت الاتصال بوالدي لكنني لم أجد أحداً في البيت. وسجّلت رسالة صوتية في الهاتف قلت فيها "ستصبح ابنتكما نائبة في البرلمان، وأنتما خارج البيت". وأتذكر سائق سيارة أجرة حيث أدار وجهه نحوي إلى الوراء وسألني مستغرباً: "هل أنت ستصبحين نائبة في البرلمان؟ وكم عمرك؟"وأجبت مبتسمة: "في سنّ يخول لي تولي النيابة في البرلمان".



لافتة الحملة الانتخابية العامة لسنة 1999

لقاء في الحزب

وكان سباق الانتخابات على وشك الانطلاق، وأنا أستعد للسّفر إلى منطقتي الانتخابية باستانبول. وتحدثت مع بعض المسؤولين في الحزب للاستفسار حول بعض النقاط التي شغلت بالي قبل مغادرة أنقرة. واتصلت بالسّيد "عبد الله غول" الذي كنت أعرفه منذ فترة سابقة عندما قمنا بأنشطة مشتركة في قسم العلاقات الخارجية. وعقدنا لقاءا في مكتبه بمقر الحزب بعد الظهر. وهنّأني ثم أعرب عن سروره عندما سمع ترشحي، كما اعتبر اختياري أمراً صائبا. وسألته بعد أن شكرته: "أخي، كنت في اجتماع المجلس الرئاسي في الأسفل، هل تناولتم مواضيع مثل إمكانية حدوث مشاكل في حالة انتخاب مروة قواقجي نائبة في البرلمان؟ وهل وضعتم استراتيجيات لمواجهة المشاكل المحتمل حدوثها؟". وابتسم السيد عبد الله بصورة فيها نوع من اليأس والكآبة التي اكتشفت معانيها في ما بعد، وقال: "انظري يا أختي، لا استراتيجية في هذا الحزب، وكل أمر يأتي في آخر لحظة. والآن أقول لك هذا، لأنك أصبحت واحدة منا". وصرت أنظر إلى الموضوع في حيرة وشعور لا يوصف، وقد فهمت في الأيام الموالية معاني هذه الكلمات ومعاني بقية الأحداث.

وعند مغادرة مكتب السيد عبد الله غول، أخبرته بإجراء أول لقاء صحفي لي مع صحيفة "Washington Post" حول ترشحي للانتخابات. وتعد هذه الصحيفة من أهم وسائل الإعلام وأكثرها انتشارا في أميركا. و لم يكن هذا أول لقاء لي مع هذه الصحيفة. فقد كنت أجريت معها لقاءات



Turkey Sees a Veiled Threat

Islamic Women In Scarves Seek Secular Offices

الخبر الذي ورد في صحيفة "Washington Post" في 1999/03/9

Courtesy of Amberin Zaman, Turkey correspondent,
The Economist (UK) and the Los Angeles Times.

أخرى مثل عدد كبير من الصحف الأجنبية خلال وظيفتي رئيسة للعلاقات الخارجية. وأبدى السيد عبد الله أثناء ذلك مقترحا عجيبا وقال: "أختي مروة، لو ربطت حجابك خلال اللقاء بطريقة هكذا" مشيراً إلى طريقة ربط الحجاب لدى النساء العجائز تحت الذّقن. وقلت له إنّني لا أحبذ تلك الطريقة، وأنها لن تليق بي. ثم أصبحت أتساءل حول مدى أهمية شكل ربط الحجاب...

وبعد مغادرة مكتب السيد غول أجريت أول لقاء صحفي مهمّ بصفة مرشحة لنيابة البرلمان مع صحيفة "Washington Post" وإذاعة "National Public". وكنت سأكتشف بعد وقت قصير أنّ الصحافة الغربية ستقيم الأحداث بأكثر موضوعية وستنشر أقوالي كما جاءت دون تعليق أو تصرف، وستقدم حولي أخباراً موضوعية على عكس الصّحافة التركية.

تركيا ترى مروة قواقجي

مع إعلان قائمة المرشحين بدأت الصحافة التركية تطرح تساؤلات حول "هوية وشخصية مروة قواقجي". وكان عدد كبير من الصحفيين الذين تحصلوا على رقم هاتفي من بعض زملائهم الذين كنت أعرفهم سابقا حين كنت رئيسة العلاقات الخارجية في الحزب، يتصلون بي صباح مساء ويحاولون الحديث معي محادثتي بشتى الطرق. وكنت أعتقد أنّ لكل شيء وقته المناسب وأنّ الأمور يجب أن تسير بشكل طبيعي، ولهذا السبب كنت أمتنع عن الحديث مع الصحفيين وأحتاط منهم ومن نظرة الصّحافة المسبقة إلى المرشحات المحجّبات، هذه النظرة التي اكتشفتها في تجربتين سابقتين. وكان رأيي في هذا الخصوص "ما الفائدة من إجراء لقاء مع وسائل إعلام منحازة، إذا لم تكن فيه فائدة وكان ضرره أكثر من نفعه".

واخترنا برنامج "اليوم العالمي للنساء 8 آذار/مارس" بـ "قاعة جمال رشيد راي للمحاضرات" في استانبول كأول موعد للظهور أمام وسائل الإعلام التركية. ويبدو أن وسائل الإعلام كانت متشوقة إلى التعرف على مرشحة "حزب الفضيلة" حتى إنها استبقت الموضوع بأخبار لا أساس لها من الصّحة. وإحدى هذه الصحف نشرت صورة امرأة مرتدية "شرشاف (الزي الأسود)" وكتبت تحتها "مروة قواقجي". ولعل صاحبة الصورة استغربت مثلي حين رأت اسمي تحت صورتها.

وقصدنا إلى "منشآت فلوريا الاجتماعية" صبيحة يوم 9 آذار/مارس 1999 وذلك للمشاركة في مراسم التعريف بالمرشحين بصفة رسمية أمام

الصحافة، وصحبتني زميلاتي من اللجنة النسائية في ذلك اليوم. وألقى رئيس الحزب لمدينة استانبول آنذاك "نعمان كورتولموش" كلمة الافتتاح ثم بدأ في دعوة المرشحين لنيابة البرلمان لمدينة استانبول إلى الكرسي واحداً تلو الآخر. كما تم التقاط صورة جماعية بحضور الصّحافة. وحدث بعد نزولي من المنصة أول تعرف على وسائل الإعلام التركية المتآمرة، وفوّضت أمري إلى الله. فقد تعرضت لاعتداءات كلامية من قبل مجموعة صحفية. وكان أحد الصحفيين وهو مراسل "قناة D" قد سألني باحتقار: "كيف يمكن لامرأة محجّبة أن ترشح نفسها لهذا المنصب؟" في أسلوب خال من الأدب والتحضر. كما فاجأنا نفس الشخص بعد أيام قليلة عندما استعمل "كلمات بذيئة" في وجه مساعدتي السيدة "خوليا".

وبعد اكتمال مراسم التعريف بالمرشحين انتقلنا مع النساء النشطات في الحزب إلى "قاعة جمال رشيد راي للمحاضرات". وكانت جحافل الصحفيّين تترصد في الداخل مثل ذئاب تريد افتراس الأغنام. ودخلنا القاعة ثم جلسنا على المقاعد الأمامية. وهناك تقمصت أختي "روضة" دور حارسة لي، ولولا ذلك ما استطعت متابعة البرنامج والاستماع إلى المحاضرين. وبعد الاستماع إليهم، ألقيت كلمة وجيزة حول وضع المرأة في العالم وخاصة في تركيا مع عرض الفوارق الشاسعة بين النساء المتعلمات في المناطق المتقدمة والنساء في الأرياف داخل تركيا. وكانت وسائل الإعلام التي لم تعبأ بمداخلتي تلك، تستعد حينذاك لشن هجوم ضدّي في أخبارها التي ستنشرها في الغد.

وفي اليوم الموالي وضعت صحيفة "حريات" في صفحتها الأولى صورة كبيرة زودها بأخبار مُرضية لقرائها، وقدمتني على أنّني "فنية كمبيوتر" ولست "مهندسة كمبيوتر". ولم تشر من قريب أو من بعيد إلى الكلمة التي ألقيتها بمناسبة اليوم العالمي للنساء... "مرحبا بك يا مروة إلى عالم وسائل الإعلام الظالمة وغير المنصفة".

لنتحدث قليلاً عن أخبار جميلة

وبالبسملة استأنفنا الحملة الانتخابية، وكأن مدينة استانبول كانت في بهجة كبيرة. وكنت أكثر الناس انفعالا... تخيلوا ذلك؟ أنا وآلاف من النساء الأخريات اللواتي ضحين بسنوات من أعمارهن من أجل هذه القضية، وعملن ليل نهار وآثرن القضية على البيوت والأزواج والأولاد. وأنا بالنسبة إليهن مثل الأخت والأم والبنت والحفيدة. وعقدنا الاجتماع الأول في منطقة "عُمرانية". وافتتحنا برنامج اللجنة برئاسة تلك السيدة المحترمة التي كانت تنظر بعيون متأملة ودامعة أحيانا. كما التقيت هناك لأول مرة بالسيدة "ريحان كورتونا". وكان هذا اللقاء بداية صداقة مُفعمة لا تزال قائمة إلى اليوم.

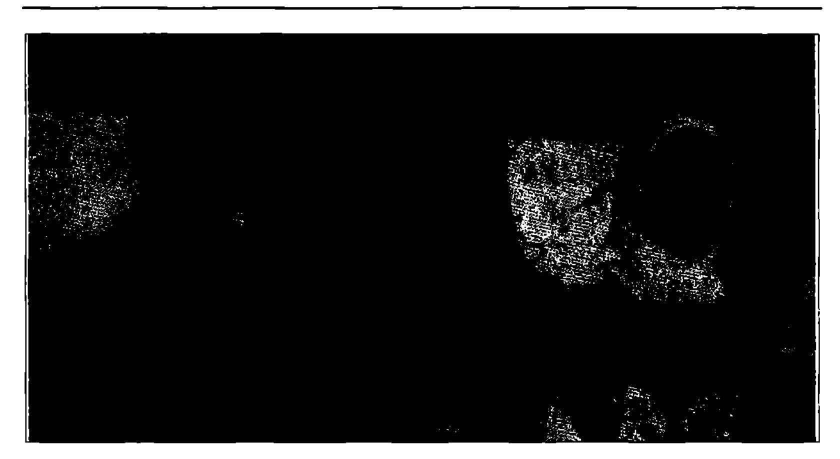
وتوالت الاجتماعات، وأنا أجد نفسي تارة في مراسم تدشين مشروع بناء، وتارة في تدشين حديقة ما وذلك في وقت يقترب فيه موعد تنفيذ عقوبة السجن على السيد "طيب أردوغان" ومدتها أربعة أشهر ونصف الشهر التي سُلطت عليه بسبب قراءته أبيات شعر دونت في كتب المدارس الحكومية. ولذلك كنت أحضر مع السيد "طيب أردوغان" والسيد "علي مفيد كورتونا" إلى جانب سائر المرشحين في بعض الاجتماعات. كما كنا نواجه أحياناً انتقادات داخلية لعدم ترشيح امرأة في المنطقة الثانية لمدينة استانبول.

وكنا ننتقل بين شطري استانبول الأوروبي والأسيوي ذهابا وإيابا كل يوم إلى وقت متأخر بسيارة قديمة ثم بسيارة أسرع منها، وذلك

قصد إرضاء لجان الحزب في الشطر الأوروبي في استانبول. وأنا أبـــذل وقتئذ قصارى جهدي مع زميلاتي الأخريات دون ملل أو كلـــل لأداء مسؤولياتنا على أحسن وجه. وبهذا الحماس والشوق نغادر البيـــوت في حدود الساعة 09:30 ونشارك في اجتماعات شعبية كـــبيرة وتـــارة في لقاءات منـــزلية، ونـــزور التجّار تارة أخرى، ثم نعـــود إلى بيوتنـــا في وقت متأخر من الليل.

وأقصد بكلمة "نحن": أنا وأختي ومساعدتي وحارستي وخير عـــون لي "روضة" وسائقنا السيد "عثمان أولوصوي" المكلف من قبل الحزب والذي لم يقصر في مدّ يد العون إلينا في جميع الأوقات. وطلبت من الحزب عنـــد بدء أشغال الحملة الانتخابية تكليف زميلة تصاحبني في الاجتماعات وتعينني في إعداد البرامج وتجيب على هواتفي النقالة والتي كـــان عـــددها ثـــلاث آنذاك. ونظراً لعدم وجود من بإمكانها القيام بذلك في الحزب ظلت هـــذه المهمة على عاتق أختي "روضة" التي كانت تنشط في اللجنة النسائية لهيئـــة استانبول في تلك الفترة. وكانت "أروى" ابنة روضة – التي سيرد اسمها في ذكرى سأحدثكم عنها فيما بعد – تبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصـــف السنة. وكنا نتركها كل يوم عند جدتها ثم ننطلـــق في أزقـــة اســـتانبول. وكانت ابنتاي اللتان ترعاهما جدتي وكذلك أمي التي جاءت مـــن "دالاس" لدعم الأشغال التحضيرية للانتخابات يسكنّ في نفس البيت بأنقرة في تلك الأيام. وكنت أتصل بهن بين الوقت والآخر للتخفيف من الشـــوق الـــذي ينتابني نحوهنّ. وفي أوقات تنقلي من اجتماع إلى آخر أزورهن في البيـــت. كما كنت أتخيّل في كل لحظة ابنتيّ وهما ترفعان أيديهنّ لدعوة الله تعالى من أجل نجاحي.

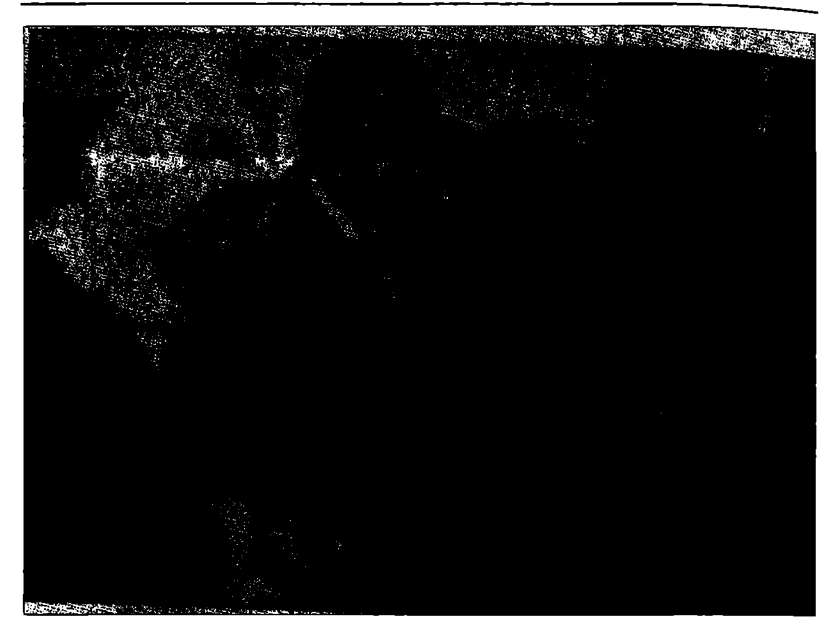
وإذا ما تعوّد الإنسان على هذه الأعمال المكثفة للتحضير للانتخابات فإنه يريد قضاء بقية حياته على نفس المنوال. وقد يكون هذا الشّعور خاصـــا بمـــن



في مراسم تدشين مشروع "الميترو" مع رئيس بلدية استانبول الكبرى السيد "علي مفيد كورتونا" (أختي روضة ورائي) في آذار/مارس 1999.

يريد قضاء حياة مليئة بالنّشاط والحركية مثلي. ثمّ إنّ ذلك الإيقاع السّريع من عمل المكثّف يتحوّل إلى "عادة" فيما بعد، ويصبح حياة روتينية. لقد تعرفت على السيدة "نازلي إليجاك" في أحد اجتماعات الحزب في بدايات الأشغال التحضيرية للانتخابات. وهذه السّيدة سوف تصبح فيما بعد، بالنسبة إلي، بمثابة "الأخت الكبرى"، تدافع عن حقوق المحجبات بشدة وتكافح من أجل قضيتنا العادلة، وتقف صامدة في ساحات معارك ليس فيها "رجل واحد". ودعتني السّيدة "نازلي" إلى بيتها مساء أول يوم تعرفنا فيه على بعضنا البعض. وقضينا جلسة عشاء ممتعة شاركت فيها كذلك السيدة "أمينة أردوغان". وحضرتُ فيما بعد مع السيدة "نازلي" اجتماعات كثيرة رغم ترشحنا من مناطق مختلفة في استانبول.

وامتلأت تلك الأيام بذكريات مهمة بالنسبة إليّ، وتعرفت على أناس جيدين في تلك الفترة، وكان حبهم لي وحبهم لبعضهم خالصاً لوجه الله. كما تعرفت على شعب استانبول الطيب المتواضع البعيد عن الرّياء. وخالطت فئات اجتماعية مختلفة آنذاك، وتعرفت على منطقة "عُمرانية" التي



في تدشين مركز ثقافي بمنطقة "أوسكودار"، في نيسان/أبريل 1999

ساندت حزب الفضيلة بحماس، وعلى "سلطان بيلي" و"ساماندرا" وعلى سكان "مودا" المعارضين لحزب الفضيلة وعلى "قاضي كوي" و"أدالار". ولله الحمد، عشنا في هذه المناطق وغيرها والتي لا أتذكر أسماءها ذكريات جميلة لا تنسى. واستفدنا من الاجتماعات التي عقدناها وأفدنا خلالها غيرنا واكتسبنا فيها خبرات كبيرة. وكان شعب مدينة استانبول الذي وقف إلى جانب حزب الفضيلة بحماس قد رحّب بي واحتضنني برجاله ونسائه وشيوخه وشبابه. وهل تعلمون أنهم لم يشكوا فيّ قط، ولم يحاولوا استفزازي أبداً بل اعتبروني فرداً منهم؟ وأنا الآن بعد مرور أربع سنوات على انتخابي أفهم ذلك جيداً. ولكن الجناح المعارض لحزب الفضيلة من النخبة العلمانية راقبني بحذر، واستغرب في أول الأمر... متسائلاً: "من هي؟ وما سر هذه المرشّحة؟"...

وكنت أجتمع مع هذه الفئات في بيت جارة أو برفقة السّيدة "ريحان

كورتونا" أو برفقة السيدة "أمينة أردوغان"، وذلك في شكل مجموعات صغيرة في أكثر الأحيان. وأظن أنهن كن يتعرفن عليّ جيداً مع مجالستي والاستماع إلي عن قرب، وقضيت معهن ذكريات جميلة. وذات يوم، وفي أحد الاجتماعات المنزلية قالت لي امرأة يتراوح عمرها ما بين 45 و50 عاما: "آه يا سيدة مروة، لو كان جميع المحجبات مثلك لما حدثت أية مشكلة!". وصدقتني عندما رددت عليها بالقول: "يا سيدتي، كل هؤلاء النساء مثلي وحتى إنّ عدداً كبيراً منهنّ أفضل منّي، لكنك لم تجدي فرصة للتّعرف عليهن، ولم تخالطيهن، ولذلك تفكرين بهذه الطريقة" وأضافت: "إنّ تركيا في حاجة إلى نساء سياسيات شابات ونشطات ومتعلمات ومؤدّبات من أمثالك". وغادرنا ذلك المكان بسرور كبير لأننا تمكننا من تعريف سيدات "متفتحات ونيرات" بأنفسنا. وشكرنا صاحبة البيت على استضافتنا للاجتماع مع هؤلاء الصديقات.

وكانت أشغالنا في منطقة "بيوك آدا" تعدّ تجربة ملفتة للنظر ضمن الأشغال التحضيرية للانتخابات، فقد كان أهالي "بيوك آدا" بعيدين عن الاتجاه المحافظ الذي يتميز به حزب الفضيلة حسب ما أفادنا به الممثلون المحليون للحزب. ولكن هؤلاء الأهالي لم يعلقوا في تلك السنة لافتات قول أتاتورك الشهير "الجمهورية فضيلة" في عيد الجمهورية الذي وقع قبل ستة أشهر تقريباً، على عكس السنوات الماضية. واكتشفنا مدى وهمية مخاوفنا حول إمكانية التعرض لمعارضة أهالي المنطقة وأن يتصرفوا بنظرة مسبقة عند زيارة التجّار. وزرنا تجار "بيوك آدا" عند التجول في الأسواق بكل راحة. وكانت إحدى أكبر زياراتنا الحافلة بالمعاني تلك الزيارة التي قمنا بها إلى أمّ قائد سقط شهيداً في "حركة السّلام إلى قبرص" سنة 1974.

وإلى جانب أشغالنا التحضيرية للانتخابات، كنا نخصص قسطا كبيراً من أوقاتنا لإجراء لقاءات مع وسائل الإعلام الأجنبية، لأن أنظار العالم

كانت متوجهة نحو تركيا. وكنا نلتقي مع الصحفيين الأجانب عقب الاجتماعات الشعبية أو بمقر الحزب في المواعيد الخاصة أو خلال الاجتماعات المنزلية التي يحضرونها بصحبتنا. وكان موضوع "الحجاب" هو المحور الأساسي في أغلب الأحيان. وأتاحت لنا تلك اللقاءات الصحفية والبرامج التلفزيونية فرصة طرح هذا الموضوع على الطاولة لمناقشته بالتفصيل.

الصحافة تبذل قصارى جهدها لتوتير الأوضاع

وكان السباق الذي استمر لمدة شهر ونصف الشهر على وشك الانتهاء،أما أنا فأصبحت أشعر بالتّعب الشديد. ومن شيمي أن أكمل العمل الذي أبدأ فيه أو لا أبدأ فيه أصلاً. كما أبذل قصارى جهدي لإنهاء هذا العمل في أقرب وقت... وبفضل هذه الخاصية استطعت إكمال حفظ القرآن الكريم وعمري 26 سنة عندما بدأت في الحفظ... وكانت البداية عبارة عن تجربة، ولما رأيت نفسي قادرة على ذلك داومت، وقلت: "لم لا أعمل عشر ساعات في اليوم بدلاً من خمس ساعات؟" ثم زدت العشر إلى اثنتي عشرة ساعة... وفي النهاية تمكنت من تحقيق ذلك في 14 شهراً رغم أن حفظه يتطلب في العادة سنتين كاملتين على الأقل. وأنا أقضي كل يوم ساعات طويلة من أجل الحفاظ على هذا المكسب.

مع اقتراب موعد الانتخابات، سعت الصحافة التركية إلى توتير الأوضاع عبر نشر أخبار خاطئة وكاذبة حولي، وبدأت الحملة المناوئة ضدي بأعمال تزييف صوري في الصحف عبر استعمال فن التّركيب. ونشرت بشأني أخبار قائمة على الكذب من أجل التوصل إلى أجوبة على مجموعة من الأسئلة مثل: "هل ستنزع الحجاب؟ أم لا؟". وأسوأ من ذلك، أنني لما وصلت إلى مكتب السيد طيب قصد زيارته في آخر يوم قانوني للانسحاب من التّرشح، تلقيت اتصالاً هاتفياً من صحيفة

"راديكال"، وسئلت: "كتبت صحيفتنا اليوم خبراً باسمك تحت عنوان"أنا أنسحبُ من النور"، فما رأيك في هذا الموضوع؟" يا إلهي! انظروا إلى هذا الأمر. يكتبون خبراً كذبا باسمي ثم يسألونني "ما رأيك في هذا الموضوع؟". وهم يريدون في الواقع توصيل رسالة مفادها "انسحبي، وها نحن ندلك إلى الطريق وإلاّ سوف تندمين في المستقبل". وفي ظنهم أنني لا أفهم هذه الرسالة. ولكنني لم أبال بذلك لأنني سلكت هذا الطريق مرفوعة الرّأس، وكنت لا أخاف إلا الله. وكان نشر الأخبار الكاذبة حولي يومياً في بدايات سباق الحملة الانتخابية مثل خبر: "كانت (مروة قواقجي) تتكلم بالهاتف النقال أثناء عرض النشيد الوطني" بهدف إيجاد إثارة أخبار جديدة.

ومع ذاك كله، كنت أسير نحو هدفي وأصبر على ما يحدث، وأتعلم الثبات رغم محاولاتهم لزحزحتي. كنت أواجه افتراءاتهم وأتحمل انتقاداتهم ونظراتهم العدائية. وأتذكر أنه في أحد اللقاءات قالت لي "سارة فركوسن" (Sarah Ferguson) وهي المرأة التي يعرفها الغرب بالصدق والتوازن: "لقد أيقنت أن هناك وسائل إعلام تكرهني وتقف ضدّي رغم ما أحاول إبداءه من نيّة طيبة".

اقتراب موعد الانتخابات
والصمت يخيّم على المركز العام للحزب

وذات يوم كنت في مكتب السّيد طيب أردوغان لآخذ رأيه حول طبيعة أعمالي. وفي واقع الأمر، كان السيد طيب لا يؤيّد ترشيحي أو بالأحرى لا يؤيد ترشّح امرأة محجبة لنيابة البرلمان. وكان يشير إلى موقف الصحافة الظالم في هذا الخصوص، ويسألني أحياناً حول زوجي السّابق. وقال لي: "سيحاول هؤلاء الصحفيون اتخاذ كل فرصة ذريعة لتحقيق مآربهم الخبيثة. وهناك نقطة أخرى أيضاً أنّ الحزب قد لا يقف إلى جانبك في الأيام القادمة". وأضاف: "سوف أدخل السجن في 26 آذار/مارس، وبوسعي مساعدتك إلى هذا الموعد بقدر الاستطاعة، وسأحاول أن أفعل ذلك بعد الخروج من السجن". كما اقترح عليّ فتح مكتب انتخابي في كل قضاء باستانبول كشبكة لنقل المعلومات. وكنت أستمع إليه مع علمي عدم إمكانية تحقيق هذا المشروع من الناحية المادّية.

وأنا أؤيد رأي السيد طيب في ما يتعلق بالصحافة، خاصة عندما اتصل بي بعد أيام قليلة السيد "عبد الرحمن ديليباك" الذي تعرفت عليه في تلك المناسبة، ووقف هو وزوجته والسيد "أحمد تاشكتيران" إلى جانبي في أيام المحن في ما بعد. وقال لي السيد ديليباك: "إنّ الصحافة المتآمرة تتجه إلى أميركا لجمع معلومات حول حياتك الزوجية السّابقة". وفكرت أنني لا أستطيع فعل شيء، وليس من الحرام والعيب أن أكون مطلقة، كما أنّ

الصّحافة المتآمرة لا تحتاج إلى حقيقة لدعم أخبارها لأنها تكتب ما تريد وكما تريد. لكنني مع الأسف الشديد رأيت في الأيام القادمة تعاون زوجي السابق مع الصّحافة المتآمرة لأغراضه الشّخصية. وقد عمل على إفشاء حياتنا العائلية وقدّم صورنا الشيء الذي لا تقبله امرأة مؤمنة.

كما كان تقييم السيد "طيب أردوغان" حول الحزب يشغل بالي ويجعلني أشعر بنوع من الخوف والقلق، خاصة عند مقارنته بتعليق السيد "عبد الله غول" في ما سبق. وأفهم بناء على هذه التحذيرات وتطاول الصحافة مدى أهمية حجابي الذي لم يكن يشكل مانعاً بالنسبة إلي في مستهل الطريق! والتزمت الصّمت قليلاً واكتشفت أنّ محمدي تكتسب بهذه المحن قداسة أكثر وأهمية كبرى ودعوت الله تعالى أن يعينني.

وعند ذهابي إلى أنقرة أردت المرور بالمركز العام للحزب قصد مقابلة السيد "رجائي"، وكنت لا أعلم في الواقع من يجب عليه أن يتصل بالآخر. وكنت في أمسّ الحاجة إلى دعم بعض المسئولين الكبار في الحزب، وكان من شأن اتصالهم بي وسؤالهم البسيط: "يا ابنتنا، ماذا تفعلين وكيف تسير الأشغال؟" أن يدفعني إلى الشعور بالسعادة والشجاعة. ورغم أن الأشغال كانت مكثفة ووضع الحزب كان حساساً آنذاك، إلا أن وضعي كان في غاية الأهمية نظراً إلى ما تقوم به الصحافة من أعمال بشعة. وكنت أدرك وجود مجموعة لا تطيق أن تُكلف نائبة محجبة بحق التمثيل من قبل الشعب، لكنها لا تستطيع رفع أصواتها لانتخاب هذه النائبة في إطار القوانين وعبر انتخابات ديمقراطية. وكنت أنزعج حينذاك من هذا الوضع، وأفكر في ما يجب أن نفعله في حالة تعرضنا لاعتداءات هذه المجموعة. ثم أقول في نفسي "لعله يتمّ تناول هذه المواضيع وراء الكواليس ودون معرفتي" وأواسي بذلك نفسي.

ومع اقتراب موعد الانتخابات بدأت الأشغال تسير في سرعة فائقة، حتى أنني كنت لا أستطيع القيام بمراجعة القرآن، وكنت قبل ذلك أقوم بهذه

العملية بشكل روتيني كل يوم. كما كان مركز الحزب بمدينة استانبول يشهد أزمات صغيرة أحياناً. وتمت طباعة إعلانات جميع المرشحين لمنصب النيابة في البرلمان، كما طبعت صوري وصور السيد "رجائي" مرة ثانية، في حين رفض قضاء "سلطان بيلي" تعليق إعلاناتي بحجة "أنه لا يجوز تعليق صور النساء" وذلك التزاما بالقيم الدّينية.

ويعد قضاء "سلطان بيلي" أكثر المناطق محافظة في استانبول، حيث اشتهر أهلها بخدمتهم الجادة للقضية وتعاونهم على "الخير"، وكانت نشاطاتهم لا تقتصر على فترة الانتخابات فحسب بل كانوا يسعون إلى خدمة الشعب في جميع الأوقات. وأنا شهدت ذلك بأم عيني عندما شاركت في اجتماعات هذه المنطقة بعد الانتخابات. وكان هناك فريق متشكل من البلدية والحزب والمنظمات المدنية يعتني بالفقراء ويسدّ حاجاتهم ويعين المحتاجين. وأصبح نجاحهم يجري على ألسنة الناس حتى إنني سمعت أن عالم اجتماع أميركي زار بلدية سلطان بيلي بحثا عن الجواب على سؤال: "كيف ينجح الإسلاميون؟" وهو اليوم يؤدي الصلوات الخمس معهم.

ويعد "برنامج التعريف بالمرشحين" الذي وقع في قاعة الرياضة "عبدي إيبكجي" من أهم الأعمال التحضيرية للانتخابات، وقد شاركت فيه برفقة السيدة "نازلي" وزوجها السيد "أمين شيرين". وعند الاتجاه إلى الاجتماع كانت سيارتنا تدل الطريق وتتبعها سيارة السيدة نازلي، ولما دخلنا القاعة حظينا باستقبال جمهور حاشد، حيث كانت القاعة بأكملها مليئة بالناس. وبعد الجلوس مع السيدة نازلي في المكان المخصص لنا في الأمام بجانب مقعد السيد رجائي، أتانا السيد "لقمان آيفا" وسلم علينا، وكان السيد آيفا من أبرز الشخصيات التي تشبثت بهذه القضية.

وانضم إلينا بعد قليل السيد "رجائي" وانتقلنا إلى مراسم التعريف بالمرشحين عقب القراءة الجماعية للنشيد الوطني. وجاءت السيدة نازلي

بفكرة دعوة جميع المرشحات إلى المنصة دفعة واحدة، وكانت الفكرة مقبولة من وجهة نظري. وبعد قراءة أسمائنا توجهنا إلى المنصة ونحن نمسك بأيدي بعضنا البعض وسط احتفاء الجمهور الحاشد بنا. وسلمنا على الجمهور بالوقوف المنظم إلى جانب السيد رجائي. وألقت السيدة "نازلي" خطابا قصيراً أمام الجمهور، واختتمت هذا الخطاب الموجز النافع بالقول: "نحن أمانة عندكم، ومروة أمانة عندي... هل وافقتم؟" وأجاب الجمهور في حماس كبير وبصوت واحد: "نعم! نعم!" وفعلاً أصبحت السيدة "نازلي" صوت جميع المحجبات المتضررات وقلمهن ولسانهنّ، ونحن دائماً نشكرها.

وقبل العودة إلى مقاعدنا تقدمتُ مع السيدة نازلي إلى أمام المنصة، ورمينا أزهار القرنفل الموجودة في أيدينا نحو الضيوف. ومع عودتنا إلى أماكننا تهافت الناس كأمواج على طلب التوقيع منا، وكنا نوقع على أعلام حزب الفضيلة الموجهة إلينا واحدا تلو الآخر. وأثناء ذلك اقتربت منا أخت شابة وقالت: "انظرا نحوي من فضلكما فإنّي أريد التقاط صورتكما معاً". وبعد التقاط الصورة قالت لنا وعيناها تلمعان بنور السّعادة: "ابقيا هكذا إلى الأبد"، ثم غادرت المكان. وكم كان ذلك الكلام صادقاً ومخلصاً.

ألم يكن ذلك مبتغى الشعب التركي؟ ألم يعش هذا الشعب التركي الذي ضم المحجبات وغير المحجبات والأكراد والأتراك والسّنيين والعلويين يداً بيد في جو من السلام على مدى العصور؟ وهل من الأهمية بمكان أن تكون جارتنا أو صديقتنا محجبة أو غير محجبة؟ وما المانع في اختلاف مظاهرنا الخارجية إذا تعاملنا مع بعضنا في احترام وحبّ وتسامح؟ ألم يكن الاختلاف مؤشراً على ثراء المجتمع؟ والسيدة "نازلي إليجاك" والسيدة "مروة قواقجي" كانتا أحسن نموذج للحبّ والاحترام المتبادلين بالنسبة إلى تلك الشابة التي التقطت صورتنا. رأت هذه الشابة ما لم يستطع رؤيته هؤلاء الذين يجهرون بانتقاداتهم البشعة ولا يتحملون مشاهدتي مع السيدة نازلي...

ومن أهم الأنشطة التي جرت خلال الأشغال التحضيرية للانتخابات، المظاهرة الكبيرة التي وقعت في ساحة "تشاغلايان" والتي مرت في شكل احتفال كبير، واعتبرت أحد أركان الحملة الانتخابية. وكذلك تم توزيع أزهار القرنفل بعد كلمات ألقاها كل من رئيس الحزب لمدينة استانبول ورئيس بلدية استانبول الكبرى والرئيس العام للحزب. وكان الجمهور الحاضر يعبر عن سروره إزاء رؤيتي مع السيدة نازلي، وصاح سيّد من بينهم وهو يحمل زوجته على كتفيه بالقول: "نحبكم هكذا!" كما تحاول الشابات المحجبات أخذ القرنفل من أيدينا، وأنا لا أستطيع وصف ذلك الجو الرائع بكلمات. كان ذلك منبع الأخوة والوحدة وفرح الإيمان بالقضية وسعادة الشوق إلى حمل تركيا إلى "الخيرات"، وذلك بإشراك الجميع برجالهم ونسائهم وشبابهم وشيوخهم ومحجباتهم وغير محجباتهم.



في تدشين سوق الأسماك بمنطقة "سارييرِ"، في آذار/مارس 1999.

وفي صباح اليوم الأخير قبل انتخابات 17 نيسان/أبريــل، خرجنــا إلى الشارع مثل سائر الأيام، وكانت مواكب سيارات الحملة الانتخابيــة تســير خلف بعضها البعض، وتلتقي مواكب السيارات من المناطق المختلفة، وتســير معاً جنبا إلى جنب بعض الوقت. وكان قضاء "سلطان بيلي" محطتنا الأخيرة في ذلك اليوم، رغم أنه لم يكن ضمن برنامجنا. وكانت الساعة تقترب من الخامسة عند وصولنا إلى "سلطان بيلي". وبعد حضورنا لوقــت قصــير في التظــاهرة المنظمة هناك، اختتمنا أعمالنا التحضيرية للانتخابات مع السّاعة الخامســة، أي مع نهاية الوقت القانوني للحملة الانتخابية، ورجعنا بعد ذلك إلى بيوتنا...



مظاهرة "تشاغلايان" في نيسان/أبريل 1999

الانتخابات العامة المبكرة في 18 نيسان/أبريل 1999

وأخيراً ها قد حان الموعد المنتظر. بالنسبة إلى كان الإدلاء بصوتي في مدرسة ابتدائية بمنطقة "إيتشاران كوي"، وإذا بي أجد الصّحافة قد سبقتني إلى المدرسة بعد أن وصل إليها الخبر، ثم رافقتني بعد ذلك أثناء الاقتراع. وقضيت ذلك اليوم في جولة تفقد للصناديق، ثم اجتمعنا مساءا في مبنى هيئة الحزب باستانبول. ومع مرور الوقت وإعلان نتائج الانتخابات في وقت متأخر من الليل أصبحت أشعر بفرح منقوص رغم انتخابي، لأنّ أصوات حزب الفضيلة كانت دون العدد المنتظر. وكان الناس يتحدثون عن وجود خلافات داخل الحزب قبيل الانتخابات، ويتحدثون كذلك عن الأضرار التي ألحقها بالحزب مساندو "حركة الغاضبين" قبيل موعد الانتخابات. ومع ذلك لم يكن يتوقع أحد انخفاض نسبة الأصوات إلى هذه الدّرجة.

وكان "حزب الحركة القومية" قد اغتنم الأصوات التي خسرناها، حيث سجل هذا الحزب قفزة في الانتخابات بجمع أصوات مؤيديه وأصوات المتراجعين عن التصويت لحزب الفضيلة مما أثار تعجب الحزب نفسه. وجاءت المفاجأة الكبرى مع فوز "الحزب اليساري الديمقراطي" بأكثر الأصوات في وقت كنا نعتقد أن الأحزاب اليسارية لا تستطيع النهوض مع انقسام "حزب الشعب الجمهوري". وبرز "أجويد" في الساحة من جديد. ولا أدري كيف نسي شعبنا تلك المعاناة والصعوبات التي

عاشها عندما كان أجويد رئيسا للوزراء في تركيا؟ فقد كـــان المواطنـــون يقضون ساعات طويلة في الصفوف من أجل شراء السّكر والزيت والدقيق وما شابه ذلك من المواد الغذائية. وكيف مُحيت تلك الأيام من الأذهان؟

ويا عجبا لأمر السياسة، كم هي مليئـــة بالمفاجـــآت والمصـــادفات! ومرت مواكب السيارات لحزب الحركة القومية أمام مبنى حزب الفضـــيلة مرات عديدة في تلك الأيام للاحتفال بالفوز الـــذي أســـكرهم وجعلـــهم يحتفلون بالطّبول والمزامير. ويبدو أنّ الحزب نفسه لم يكـــن ينتظـــر هـــذه النتيجة، حتى إنه بالغ في إحداث الضجيج داعيا الجميـــع إلى مشـــاركتهم فرحتهم. وفي اليوم الموالي، أي بعد التخلص من تعب الانتخابات ونتائجها المفاجئة قضينا وقتنا بتهنئة الفائزين ومؤاساة الخاســـرين مـــن المرشّـــحين. وكانت "أروى" ابنة روضة قد فرحت بلقاء أمّها بعد مضي شهر ونصـــف الشهر. وقلنا معاً: "لن نترك هذه البنت مرة ثانية هكذا"... لكننا كنا نجهل أننا في بداية عقبة حقيقية. وكنا سوف نرى مشيئة الله فينا، ومـــا أجمـــل مشيئته.

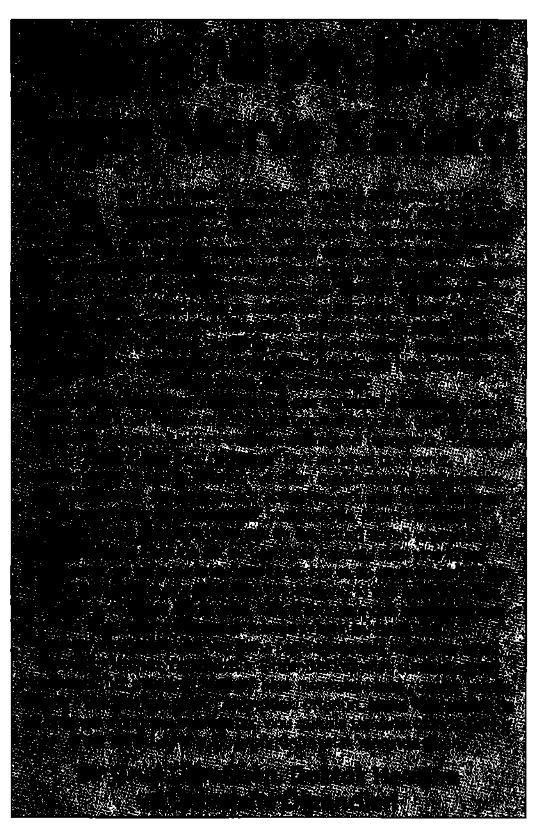
وكانت الأحزاب التي ستشكل الحكومة الائتلافية الجديـــدة موضـــوع الساعة. ومن المضحك (!) أنّ واقع "مروة قواقجي" قد اكتسى كذلك أهميـــة لا تقل عن الموضوع الأول ضمن مواضيع الساعة. فقد كانت وسائل الإعـــلام المرئية والمكتوبة تكثر من التعاليق عما إذا كانت مـــروة قـــواقجي ستنـــــزع حجابها عند دخول البرلمان التركي أم لا؟ وتسعى إلى توتير الأوضاع "عمـــداً"، رغم محاولاتي المستمرة للوقوف ضد هذا التيار. وقد سعت وسائل الإعلام إلى ملء الساحة بحملاتها المناوئة لي وتناست المواضيع الحساسة التي تهم مســـتقبل مثل: البطالة والتضخم المالي والفساد المالي وغير ذلك، وكأنّ شيئاً من هـــذا لا وجود له. أو بعبارة أخرى كانت وسائل الإعلام تتخذ "مروة قواقجي" ذريعة لصرف الأنظار عن المواضيع الأساسيّة.

وكان هناك من الشعب من ينــزعج من هذا الوضع فعلاً، فقد روت لي السيدة "نورشان آيهان" أنها لما أرادت شراء "الخيار" من بائع متجــوّل في شوارع مدينة "أدابازاري" لاحظ البائع رمز الحزب على ملف في يــدها فسألها: "يا سيّدة، هل لك صلة بالحزب؟" ولما أجابت بــ "نعم" أعقــب البائع ذلك بسؤال ثان: "سوف لن تنــزع السيدة مروة حجابهــا، ألــيس كذلك؟". وذكرت لي السّيدة نورشان أنها لن تنسى أبداً مشهد السّــرور الذي بدا على وجه البائع عندما قالت له: "لا يا بنيّ، إنني أعرف السّــيدة مروة جيداً وأنها لن تنــزع حجابها". والنقطة التي شغلت بــالي في هــذا الحدث الذي روته لي السيدة "نورشان" هي طريقة سؤال البائع حين قال: "سوف لن تنــزع السيدة مروة حجابها، أليس كذلك؟" إذ أنّ الأســلوب كان للرّجاء والتمني أكثر من كونه سؤال استفهام.

وكان نشر صوري وتزوير الحقائق في الأخبار يثير غضــبي وغضــب أقاربي في البداية، لكن بعد مرور وقت قصير لم يعد هذا الوضع يؤثّر فينــا. وكنت أحاول أن لا أحزن مثلما كان ذلك في الماضي وأن أتقبل هذا الواقع كجزء من حياتي اليومية. وكأنّ السيدة قــواقجي إذا نــزعت حجابهــا سوف تزول مشاكل تركيا الداخلية والخارجية، أو أنهــا إذا لم تنــزعه تراجعت تركيا إلى الخلف ألف عام!! وتناولت إذاعة "عارفان" التي كانت بمثابة المعبرة عن آلامنا، هذا الموضوع في أحد الأيّام، فأجرت لقاء مع السّيد "محمد أمين كينتش" والسيد "مصطفى باش أوغلو". وعند طرح الســؤال حول ما إذا كانت قواقجي ستنــزع حجابها أم لا؟ قال السّيد مصــطفى باش أوغلو: "في رأيي أنها لن تنــزع". ثم وجه إليّ نداء: "يا ابنتي مــروة لا تنــزعي حجابك أبداً".

بينما كان النقاش مستمرّاً في هذا الموضوع ظهرت شخصية "نســرين أونال" على السّاحة... وكانت تقول تصريحات غريبة، وتبتسم أمام آلات

التصوير دون وضع حسابات لما سيحدث في المستقبل وإمكانية اســتغلالها من قبل بعض الجهات. اتصلت بالسيدة "نسرين" مرتين بعد الانتخابــات: المرّة الأولى كانت لتهنئتها، والمرة الثانية كانت لتنبيهها إلى خطــر إلحــاق ضرر بناخبيها بسبب بعض تصريحاتها سواء كان ذلك عن قصد أم عن غير قصد. وفعلتُ ذلك بأسلوب أنيق، إلى جانب إبلاغها تمنياتي بعدم نـــزع حجابها عند دخول البرلمان. لكنّني ندمت على اتصالي بها مثل ندم الـــذين صوتوا لحزب الحركة القومية في انتخابات سنة 1999 ظنا منهم بأنّ هـــذا الحزب سيحل مشكلة الحجاب في تركيا.



صحيفة "يني شفق" في 25 نيسان/أبريل 1999

وذكّرت السيدة نسرين بضرورة دعم بعضنا البعض لكوننا نائبتين محجبتين. لقد انتخبنا الشعب بهذا الشكل وأنه لا يوجد أمامنا حاجز قانوني، وأنّ النظام الداخلي في البرلمان واضح في هذا الخصوص، ولذلك يجب أن لا نتنازل عن مبادئنا. لكنِ السّيدة نسرين جرّت الحديث إلى أبعاد مختلفة في أسلوب انفعالي. وأنا إلى اليوم، لا أجد معنى لذلك، ولا أفهم لماذا رفعت صوتها حين قالت إن والديها ليسا متعلمين مثل والديّ الأستاذين! وبعد ذلك اضطرّ زوجها إلى مواصلة المكالمة معي، وكان زوجها رجلا لطيفاً. وأنهينا المكالمة بعد حديث قصير.

ورجعت إلى أنقرة عقب الانتخابات، وبقي عليّ أن أستلم من الدولة "شهادة النيابة" التي ستجعلني "نائبة في البرلمان" لحظة استلامها وفق ما نصّ عليه الدستور التركي. وعلي أن أتجه بعد ذلك إلى البرلمان لأداء مراسم اليمين. ونظراً لوجود فترة تستغرق بعض الأيام بين وقت استلام شهادة النيابة وموعد مراسم اليمين، فكرت في ضرورة تطوير بعض الاستراتيجيات لنقاط معينة. ومع اقتراب الموعد كانت الصحافة تنجح في خلق التوتر المفتعل في المجتمع عبر التركيز على مراسم اليمين وجعل ذلك موضوع السّاعة آنذاك، خاصة في مجتمع بسيط وبريء ولا يتمتع بـ "الحرية" ورصيده السياسي محدود جداً، وينخدع لما يسمع من الصحافة دون أيّ تحرّ...

وما كان بوسعي البقاء في أنقرة سوى أيام معدودات، إذ كان عليّ العودة إلى استانبول المدينة التي استلمت فيها شهادة النيابة لإجراء لقاء مع الرئيس العام للحزب السّيد "رجائي"، وذلك في وقت بقي لمراسم اليمين حوالى عشرة أيام فقط قصد اتخاذ قرار حول التدابير اللازمة ضد حملات الصحافة الساعية إلى توتير الأوضاع. ورغم إلحاحي الشديد على طلب الموعد خلال ثلاثة أو أربعة أيام، إلاّ أنّ السيد رجائي لم يستجب لطلبي، فأصبحت أنتظر منه الخبر في كل لحظة ولكن بلا جدوى.

وفي أثناء انتظاري، قمت بزيارة إلى بيت السيد "أيـدين منـدريس" بصحبة قريبتي التي تخرجنا معاً من نفس المدرسة الثانوية. وكنـت أثـق في تجارب السيد أيدين السياسية كما كنت أعرفه أيضاً من خلال ابـن عمـه "عدنان" الذي كان زميلا لي في ثانوية أنقرة وأثناء الـدروس التحضـيرية للجامعة. وأردت بهذه الزيارة أن أستفيد من توجيهاته لكوني نائبة جديـدة في البرلمان وتحتاج إلى تلك التوجيهات. وأتذكر أن زوجة السيد مينـدرس قالت لي: "لو استعملت ما يشبه الشعر الاصطناعي عند دخـول البرلمـان" فاكتفيت بالابتسامة فقط وتحاشيت الردّ عليها نظراً لكوني ضيفة في بيتها.

وتقابلت مع السيد "عبد الله غول" في مكتب السيد "بشـير" بمركـز "ANAR" للأبحاث قبل العودة إلى استانبول. وعبّرت له عـن قلقـي إزاء الوضع وأنه ينتابني شعور بـ "أنّني سوف أتعرض لإهمال كبير". وحـاول السّيد غول أن يطمئنني بأسلوبه اللطيف وكلماته واسعة المعنى.

نعم، كان السيد "رجائي" لا يستطيع تخصيص أيّ وقت لي بـالرغم من بقاء يوم واحد على الحدث التاريخي في تركيا، ذلك الحـدث الـذي سيحتل المرتبة الأولى ضمن مواضيع السّاعة في البلاد علـى مـدى شـهر كامل. ذلك الحدث الذي سيجلب أنظار العالم إلى تركيا بخصوص "ظلـم الحجاب". ورجعت إلى استانبول حاملة أفكاراً مشوشة ومشاكل عميقة لا سبيل للخروج منها.

وزرت السّيد "طيب أردوغان" في السجن بمدينة "كـركلار إيلـي" مرتين، إحداهما كانت بصحبة السيدة "أمينة" والأخـرى بصـحبة أختـي "روضة".

مقترح أجويد

تقدم "أجويد" بمقترح غريب تمثل في أنه: "لا تشارك قواقجي في اللجنة العامة في البرلمان، ويتمّ تخصيص مكتب لها لقضاء وقتها عند المجيء إلى البرلمان كي لا تحضر أشغال المجلس واللجنة العامة". ولما بلغني هذا المقترح قلت في نفسي "يا إلهي! إنّ السيد أجويد يجود بفضل كبير، فهو يخصص مكتبا لامرأة محجّبة كان يحتقرها ويعاملها معاملة من الدرجة الثانية.

إنّ هذه النظرة تتعارض مع مفاهيم الديمقراطية ودولة القانون والحداثة، وهي نظرة أصحاب "الاستنساخ الفكري" الذين يقولون: "إنّ الديمقراطية قناع كاذب وإنما نحن الذين نحكم البلد". ويشير أحد الكتاب الأتراك الذين أحترم أفكارهم في مقاله إلى أن المصطلحات في تركيا تستعمل في غير معانيها الحقيقية المستعملة في باقي بلدان العالم، فمثلا "التيار اليساري" في تركيا يقابل "التيار اليميني" في العالم، و"الديمقراطية" تقابل "الاستنساخ الفكري" في لغة العالم. ومن هذا المنطلق نرى أنّ السيد أجويد "الطبقي" الذي يدّعي أنه ديمقراطي يساري يتكرّم بالتنازل قليلاً لـ "قواقجي" التي يعتبرها امرأة من "الدرجة الثانية" في المجتمع.

وكيف استطاعت هذه المرأة المحجّبة أن تصل إلى "المجلس الوطني التركي الكبير" أعظم مؤسسة لهذا "الشعب"؟ وذلك رغم محاولات أصحاب "الاستنساخ الفكري" على مدى السنين من أجل تضييق الخناق

على النساء المحجبات في المجتمع التركي من خلال سجنهن في البيوت، وجعلهن ربّات بيوت فقط، وفرض خلع الحجاب على الموظفات والطالبات الجامعيات، وكيف انفلتت هذه المرأة ونالت هذه المرتبة؟ وهل حرّاس تركيا "الأبرياء" كانوا يعتقدون استحالة وصول امرأة محجبّة إلى هذا المنصب المشرّف مما جعلهم يتغافلون عن إجراء تعديل حول حجاب النائبات في النظام الداخلي للبرلمان؟

استلام بطاقة النّيابة... من الجمهورية التركية

ينصّ دستور الجمهورية التركية على أنّ وظيفة كل نائب برلماني تبدأ مع استلام بطاقة النيابة من المدينة التي انتخب فيها، ويصبح بذلك نائب برلمان بصفة رسمية لحظة استلام البطاقة، ويتمتّع بصلاحيات هذا المنصب. وتوجّهنا نحو مبنى لجنة الانتخابات بمنطقة "سيركجي" في 27 نيسان/أبريل 1999. وبينما نحن في الطريق اتصل بي صديق أبي الحميم السيد "إسماعيل قهرمان" فقلت له: "لندخل المبنى معاً يا سيد إسماعيل، هل توافق على ذلك؟"، فقد كنّا نخشى التعرض لاعتداءات الصّحافة، ولذا كانت أختي "روضة" ترافقني كالعادة. وعند النزول من السيارة التقينا بالسيدة نازلي إيليجاك ودخلنا المبنى معاً، وهناك أحاطت بنا آلات التصوير في اندفاع شديد، وكان هذا المشهد يتكرر لا حقا في كل مرة. ووجدنا نواب البرلمان من حزب الفضيلة ينتظروننا في تلك المؤسسة الإدارية الرسمية الصغيرة.

واستلمت بطاقة النيابة بالبسملة والتوقيع بعد مصافحة الموظفة المسؤولة هناك. وأنا لا أستطيع التعبير بالضّبط عن الشعور الذي انتابني آنذاك، فقد كنت سعيدة نتيجة الحصول على موافقة الدولة كأول نائبة برلمان محجبة من جهة، ومن جهة أخرى كنت أفكر كيف يمكنني مغادرة هذا المكان دون التعرض لمضايقات الصّحافة. وقد يسأل سائل: "لماذا هذا الخوف الشديد من الصّحافة؟". إنه لا يمكن أن يعرف ذلك من لم يذقه و لم يعشه، حتى أولئك

الذين رفعتهم الصحافة وأعلت من شأنهم. وكأنّ وظيفة الصحفيين الأصلية هي التضييق على الناس وإزعاجهم. وأكثر ما يزعجون عندما يندفعون نحوك بآلات تصويرهم التي يحملونها على أكتافهم بمشقة شديدة.

وكنا نخاف من أن تسقطنا خيوط الميكروفونات الموجهة إلينا، وبجانبي السيدة نازلي وخلفي أختي روضة وأمامنا حارسنا السيد عثمان. وطلبنا من السّيد عثمان أن لا يؤذي أحداً عند محاولة فتح الطريق أمامنا، ولكنّ الصحفيين كانوا لا يبالون بشيء وكأنهم يريدون مهاجمتنا... وخرجنا من باب المبنى بشق الأنفس فركبنا السيارة دون التمكن من توديع السيدة نازلي. وفي مساء ذلك اليوم شاهدنا لقطة استلام بطاقة النيابة عدة مرات في القنوات التلفزيّة...

ولما اقترب موعد الرّجوع إلى أنقرة أرادت بعض النساء من الحزب توديعي إلى أنقرة في موكب من السيارات. ولكني رفضت ذلك بالقول: "في ما بعد إن شاء الله، فلنبدأ العمل أولاً وسوف نحتفل بعد ذلك"...

وكنت أنتظر قدوم يوم الاثنين حتّى أذهب إلى البرلمان وأقوم بإجراءات التسجيل هناك. وكنت أشاهد في التلفزة أخبار نواب البرلمان الجدد خلال إجراءات التسجيل في البرلمان... وأخيراً حان الوقت لأتوجه نحو البرلمان وأقومَ بوضع البصمة وغيرها من الإجراءات، وذلك بعد أن أكملت قسما منها بواسطة التوكيل. وصعدت أولاً إلى مكتب السيد "رجائي" الذي كنت أطلب لقاءه منذ مدّة طويلة. وكان المكتب مزدحماً بالنّاس، ووجدت هناك السيد "مصطفى باش" والسيد "صالح قابوسوز" والسيد "عبد الله غول". وبعد التحية والسؤال عن أحوال بعضنا البعض قضينا وقتا ما هناك ثم قيل: "هيا لننزل لإكمال إجراءات التسجيل". وكنت أفكر قبل الخروج: من سيرافقني عند النزول؟ وإذا بالسيّد مصطفى بجانبي يُرافقني.

ولما لاحظ الصحفيون قدومنا أصيبوا بـ "دهشة كبيرة" واندفعوا بقوة. وكانت مضايقتهم لنا أسوأ مما سبق، ولم يستطع السّيد عثمان منعهم من ذلك ممّا جعل حراس المجلس يتدخلون لإنقاذنا. وانسقنا في الازدحام دون التحكم في خطواتنا. وأخذت الموظفة بصمتي أوّلا خلال الإجراءات، ثم قدمت إليّ ورقة كتبت عليها "نائبة برلمانية" لأعلّقها في سيارتي. واخترتُ بعد ذلك ورديّة لنفسي ثم ساعدتني السّيدة الموظفة لوضع الوردية على صدري. وجلسنا بعد ذلك على الطاولة المخصصة لنا في الوسط وبجانبي السيد مصطفى باش. وكان السؤال الأول الذي طرح عليّ: "هل ستنزعين حجابك في مراسم البرلمان يوم الأحد القادم؟" وأجبت بوضوح: "سأفعل ما تقتضيه القوانين"، وكنت أقول في داخلي: "نزعُ الحجاب!!... وكنت أفكر في تلك اللحظة في ارتداء "التيور" وفق ما ينصّ عليه النظام الداخلي".



عند استلام بطاقة النيابة
في 27 نيسان/أبريل 1999

وكانت الضغوط التي تُمارس عليّ بسبب "حجابي" تجعلني أتشبث بالحجاب أكثر فأكثر، ويحلّ محلّ نشوة الحصول على منصب نائبة في البرلمان، هذا المنصب الذي كنت أصبو إليه منذ بداية ترشحي. كما

كان الإحساس بالظلم يقوى في داخلي. وكان سبب اهتمام بعض النـــاس بي ومساندهم لي يرجع أساساً إلى تعرض بناهم أو زوجـــاهم أو أمهـــاهم لـــ "العزلة" و"الاحتقار" بسبب الحجاب.

Yasa W. [illegible] Örnek : [illegible]

21 İNCİ DÖNEM MİLLETVEKİLLİĞİ TUTANAĞI

İli : İSTANBUL.... (1) numaralı Seçim Çevresi :

Soyadı ve adı	Doğum yeri ve Tarihi	Meslek veya sanatı	Bağlı olduğu siyasi partinin adı (Siyasi partiye bağlı değilse Bağımsız olduğu yazılır.)	Seçim hakkında itiraz ve şikâyet olup olmadığı	DÜŞÜNCELER
KAVAKCI Merve Safa	Ankara 19.8.1968	BİLGİSAYAR MÜHENDİSİ	FAZİLET PARTİSİ		

298 sayılı yasa ile 2839 sayılı Milletvekili seçimi yasası gereğince çevremizde yapılan seçim sonunda .İSTANBUL.....1..SEÇİM............nın çevresinden Milletvekili seçilmiş olduğunu gösterir bu tutanağın örneği Kurulumuz tarafından Yüksek Seçim Kuruluna gönderilerek bir örneği de kendisine verildi.

23.4.1999

Üye

(ARİF ARUÇ) (AYHAN ÜNAL) (KADİR KUZU)

بطاقة النيابة وعليها اسمي

قبل مراسم اليمين بيوم واحد...

(1 مايو 1999)

صار الحزب مثل الصندوق المغلق لا يصدر عنه أيّ صوت. ولما استيقظنا صبيحة يوم السبت وجدنا جميع القنوات التلفزية تتناقش حول موضوع: "هل ستنزع حجابها أم لا؟" وكذلك فعلت الصّحافة. وكانت الاتصالات الهاتفية تزيد الطين بلة، اتصالات تحمل السؤال نفسه: "هل ستنزع حجابها أم لا؟" مما يستوجب الردّ على المتصلين واحداً تلو الآخر. وكانت أختي المسكينة "روضة" تتولى هذه المهمّة. وكنت لا أجد معنى لاتصال أناس وهم يعرفونني فضلا عن الذين لا يعرفونني!. وكنت أعتبر هذا السؤال إهانة وجهلاً، إذ بأيّ منطق تُسأل امرأة محجبة: "هل ستنزعين الحجاب؟" ولكن لنلتمس لهم عذراً، لأنهم قد يقلقون بشأني ويخافون من أن يغلبني الشيطان بما أنهم في شوق إلى هذا الحدث وفي انفعال مستمر. وقد يكونون بذلك على حقّ ولكنهم نسوا "جوهر القضية".

وكانت مروة قواقجي تعتقد أنها ستصبح نائبة برلمان محجبة إذا فازت في الانتخابات، ولذلك وافقت على ترشيح نفسها. وكان هدفها خدمة الوطن والشعب، ولكن مع تطور الأحداث أصبح الموضوع منحصراً في الحجاب ودخول البرلمان بهذا الشكل، دون الاهتمام بشخصية مروة قواقجي. ويا عجباً! إلى أيّ مدى اتضح أنّ هذا الحجاب كان رمزاً قويّاً. ويروى أنّ السيدة "أمينة السلمي" الأميركية التي اعتنقت الإسلام في السبعينات وهي من أصل هندي وجهت في إحدى محاضراتها سؤالا إلى

البنات الشابات: "ماهي خاصية الحجاب؟" وتلقت أجوبة مختلفة. ثم بادرت بتعليق قالت فيه: "عند التجوّل في الشوارع نرى عددا من النساء. وهل بإمكاننا معرفة أديانهن؟ بالطبع لا. لكن عند رؤية امرأة محجّبة لا نشك في أنّها مسلمة، لأنّ الحجاب رمز امرأة مسلمة".

وقبيل الظهر تلقيت اتصالا هاتفيا من السيد عبد الله يخبرني فيه بأنه سيزورني ورحبت بذلك. وفي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر سمعت طرق الباب وأنا في بيتي بـ "مبوساولير"، ودخل السيد عبد الله غول أوّلا ويتبعه السيد "صالح قابوسوز" ثم السّيد "لطفي أسنكون". وهنأ السيد عبد الله والدي بابتسامة "جافّة" محاولاً إخفاء القلق من وجهه، ومدّ إليّ علبة البقلاوة التي كانت في يده. ثم انتقلنا جميعاً إلى غرفة الجلوس. وتجاذب السيد عبد الله بعض الحديث مع السيد صالح. وذكرا أنهما كانا في اجتماع المجلس الرّئاسي للحزب منذ الصّباح، وتم التطرّق خلاله إلى مراسم اليمين التي ستجري غدا. وأشار السيد صالح إلى القرار المتخذ وقال لي: "ستذهبين غداً إلى السيد "سبتي أوغلو" لتقبيل يده والسؤال حول مشاركتك في مراسم اليمين. وإذا وافق فإنك ستذهبين إلى البرلمان، وستدخلين قاعة اللجنة العامة، ولكن إذا رفض فإنك سوف لن تذهبي إلى البرلمان، وستعقدين مؤتمراً صحفيّاً لتعلني فيه عن قرارك بعدم دخول البرلمان".

يا إلهي ما الذي كنت أسمعه! وما هذا الذي تسمعه أذناي! كنت لا أكاد أصدق ما أسمع، أكان ذلك مزاحا! وظللت مستغربة ثمّ نظرت إلى وجه أبي فرأيت عليه علامات "الانـزعاج" التي ألفتها منه، وكنت أستطيع قراءة أفكار أبي في وجهه. نعم، إنّ أذناي تسمعان جيّدا. وكيف هذا الأمر؟ وكيف يستطيعون الإتيان بمثل هذا المقترح؟ مع من وكيف يتخذون هذا القرار؟ وأصبحت عشرات الأسئلة تدور في ذهني، وتبحث عن أجوبة في آن واحد. واهتززت لحظة، ثم تمالكت نفسي وتساءلت: "ما الدافع لكي

أزور السيد سبتي أوغلو؟" وواصلت التفكير: "إنّي أحترم السيد سبتي أوغلو الذي هو أكبر نواب البرلمان سنّاً، ولا شكّ أنّ زيارته من قبل نائبة برلمان شابة مثلي شرف لها، ولكن لا معنى لمثل هذه الزيارة في هذا الوقت بالذّات. ثمّ لا شك أن زيارتي له سوف لن تؤثر على قراراته في هذا الموضوع. وفي ما يتعلق بالمؤتمر الصحفي... فإني لن أقوم بذلك قبل دخول البرلمان، ولن أعلن عن تراجعي في هذا الشأن، فهذا أمر مستحيل لأنّني إذا فعلت ذلك فإنّني لن أستطيع النظر إلى وجوه الناخبين الذين انتخبوني، وإلى وجوه هؤلاء الناس الذين علقوا عليّ آمالهم. أما إذا اعترضني عائق حقيقي يمنعني من دخول البرلمان فعندئذ أستطيع حينئذ عقد مؤتمر صحفي".

وكان صوتي يرتج وأعصابي متوترة، وأنا بدوري أبدي ابتسامة صفراء، فقد أصبح النقاب ينكشف عن بعض الحقائق الخفية في هذا الموضوع. لقد عُقد اجتماع المجلس الرئاسي في غيابي واتخذت قرارات فيه بشأني. وتساءلت: "لو كنت رجلاً، هل كان بإمكانهم اتخاذ قرار في شأني بهذه السهولة؟" وهل يظن هؤلاء الناس بهذا السيناريو أنهم يخدعون طفلا؟ والحال أنّه حتى الطفل يستطيع كشف التناقض في هذه الخطة (ما أصعب! أحوال النساء). فيما كنت أحدّث نفسي، بادر السيد صالح بالقول: "لا، وعليك زيارة السّيد سبتي أوغلو غدا". وكان عليّ أن أتجاوز هذه الصّدمة، وأن أفكر بهدوء، ولذا كنت في حاجة إلى بعض الوقت". واكتملت هذه الزيارة الصّورية بعد ذلك ببعض الكلام الفارغ والشاي.

وتذكرت قول أمي بين الهزل والجد: "أخشى أن يتركوك وحدك!" عقب إبلاغي إياها بأن مساعي اللقاء مع السيد "رجائي" باءت بالفشل. وضحكت من ذلك وقلت لها: "لا، يا أمي! ما الذي تقولينه". وجلس أبي صامتا بعد مغادرة الضّيوف...

واسترجعت قوتي بعد قليل واتصلت بالسيد عبد الله وهو ما يزال في

الطريق داخل السيارة وقلت له: "يا سيد عبد الله، لقد فكرت فيما قلتم. وأعتقد أنه لا يمكنني القيام بهذا الأمر، إذ لا بدّ من إيجاد حل لهذه المشكلة. وتمّنيت أني كنت معكم في اجتماع هذا الصّباح". وكان جواب السيد عبد الله "مزعجاً" فقد قال: "إنك لستِ عضواً في المجلس الرئاسي". صحيح، لم أكن عضواً في المجلس الرئاسي للحزب! ولذلك لم يستدعوني إلى ذلك الاجتماع! ولا أهمية عندهم لهذا القرار المتعلق بمستقبل حياتي. وقال لي السيد عبد الله: "تحدثي مع السّيد رجائي في مأدبة العشاء المنظمة على شرف نواب البرلمان مساء اليوم، وأنا سوف أتغيب في هذه المناسبة". وأنهيت المكالمة معه بالقول: "حسناً، إذن سوف أتحدث مع السّيد رجائي مساءا".

وكانت أمي على حق، حيث كنت أعيش أسوأ فترة في حياتي. وماذا علي أن أفعل وسط هذه الأجواء الغامضة. وقبيل المساء زارتني زميلاتي الحميمات من هيئة الحزب التابعة لاستانبول، ولاحظن عليّ القلق، وأردن معرفة ما حدث. وأعربت لهن عن انزعاجي من احتمال أن لا أشارك في مراسم اليمين لأسباب خارجية، لكنّني لم أذكر لهن مصدر هذا القلق. وانفردت في غرفة أخرى وتركت أختي روضة تعتني بالضّيوف. وكان علي أن أفكر جيداً وأن أفعل شيئاً ما. وكانت من بين الضيوف امرأة رائعة بمعنى الكلمة، وهي السيدة "نفين كوكتشاك"، رئيسة المدينة في الحزب وخادمة هذه الهيئة بالفعل. ومعها السيدة "مزيّن تاشجي" التي ساعدتني في جميع الأمور. وكانت السّيدة مزيّن مستشارتي في مجال الصّحافة. وقد تلقت عقب اندلاع الأحداث في البرلمان اتصالات مكثفة من بعض النساء الناشطات في الحزب اليساري الديمقراطي وذكرت لي أن آراءهن حولي (!) أظهرت مدى افتقارهن إلى الأدب والأخلاق.

وحضرت مأدبة العشاء في مبنى "أسكي"، ووجدت السيدة نازلي قد سبقتني إلى القاعة وجلست معها على الطاولة نفسها. وبعد تبادل السلام مع نواب البرلمان الجالسين حدّثت السيدة نازلي عما جرى. وأصبحنا نفكر في ما

يمكننا فعله أثناء تناول الطعام. وقالت لي السيدة نازلي: "سأتحدث مع السيد سبتي أوغلو بعد العشاء". وبعد تناول الطعام طلبت من السّيد رجائي إجراء لقاء معه. ووافق أخيراً على ذلك! ولكن قبل يوم واحد من مراسم اليمين!

وانتقلنا إلى غرفة صغيرة في الطابق العلوي من نفس المكان، وكانت الأضواء المنبعثة من آلات التصوير تنير غرفتنا. وجلست أنا والسيد "رجائي" والسيد "زكي أونال" والسيد "تيمل قره موللا أوغلو" والسيد "جميل تشيتشك" والسيد "صالح قابوسوز" حول الطاولة المستديرة وسط الغرفة. وأبلغتُ السيد رجائي أنني لا أرى أيّ ضرورة لزيارة السيد سبتي أوغلو وتقبيل يده، وأنني لن أصرح أمام الشعب بتراجعي عن دخول البرلمان إذا لم أحصل على إجازة من هذا السّيد، وأنا أعتبر ذلك إهانة لهذا الشعب الذي انتخبني وأنني لن أعقد مؤتمراً صحفياً إلاّ في حالة وقوع تطورات يمكن أن تعرقل مسيرتي بعد دخول البرلمان. وكان السيد رجائي في حالة قلق وانزعاج، ولكنه لم يعارض أفكاري و لم يعلّق عليها.

وتم التطرق ضمن الحديث إلى وقت قدومي إلى البرلمان. ومتى كنت سأذهب فعلا؟ ومن الطبيعي جداً بالنسبة إليّ أن أكون موجودة في المجلس الوطني الكبير على الساعة الثالثة مثل بقية النواب، لأنني اُنتخبت شأني شأن الـ 549 نائباً الآخرين، وكان من حقي دخول البرلمان كما يدخلون. وأعرب السيد زكي عن نفس الفكرة بالقول: "يجب أن تكون السيدة مروة في البرلمان على الساعة الثالثة لأنها لا تختلف عن بقية النواب"، واعترض السيد جميل على ذلك بالقول: "هذا غير ممكن". وشدد السيد زكي وقال: "لم لا؟ وإذا كنا نؤمن بأنّ السيدة مروة نائبة في برلمان فإنها يجب أن تحضر مراسم اليمين مثل بقية النواب". واستمر السيد جميل في اعتراضه وقال: "لقد بلغتنا أنباء لا علم لكم بها". وما هي "هذه الأنباء"؟ أكان داخل الحزب حزب آخر أقوى منه؟ آه... وكم كانت أمّي على حقّ.

التجديد هو الأصالة، وهو معرفة أصولنا التي جئنا منها، والتمسك بمبادئنا وهويتنا وأحسن ما عندنا، والسعي إلى تطوير كل ذلك، وهو كذلك ترك ما لا ينفعنا.

Ines Hernandez

موعدٌ لم يكن منتظراً

استيقظت صبيحة 2 مايو تتجاذبني مشاعر مختلفة، وكان الموعد الكبير قد حان... ذلك اليوم الذي سيسجلني في التاريخ كأوّل امرأة محجّبة انتخبت لتدخل البرلمان... يوم سجّل أن الطريق الذي سرت فيه لا رجعة بعده... ولكن الغموض مازال سائداً... متى وكيف سأدخل البرلمان؟ عليّ أن أحضر مراسم اليمين في البرلمان على الساعة الثالثة مع بقية النواب الذين يبلغ عددهم 550 نائباً، وهذا بالطبع إذا توفر العدل. ولكن يبدو أن الحزب لا يستسيغ ذلك، والمسئولون في الحزب يساندونني ويعارضونني في الوقت نفسه... فأنا منهم ولست منهم... ونحن في مأزق بين حرية المعتقد التي يتسم بها حزب الفضيلة من جهة وبين الخوف الذي زرعه حكام البلاد في نفوس المسئولين في الحزب من جهة أخرى... وخلاصة القول إنّ الحزب لم يستطع بعدُ اتخاذ موقف في هذا الخصوص. وأنا أشعر بأنهم تحت ضغط مسؤولية الحجاب المعنويّة. وكأنّ البعض لا يدرك مدى أهمية هذا اليوم لدى كثير من النّاس، ثم أتذكر كلام السّيد عبد الله في أول لقاء معه عقب إعلان ترشحي.

ورغم محاولاتي فإني لم أستطع أن أهدئ نفسي. وكانت الاتصالات الهاتفية لا تتوقف، ويحاول عدد كبير من الأصدقاء والأقارب وغيرهم ممن لا يعرفونني وكل من يساندني في تركيا الاتصال بي... وأصبحت أختي روضة حبيسة الهاتف لا تفارقه، ونحاول الردّ على الجميع بقدر الإمكان. وإذا اتصل من نعرفه فإنّ أختي روضة أو أمي تجيبه، أما إذا اتصل أحد

مساندينا ممن لا نعرفه فإنّني أتولى بنفسي الرد عليه، وكنت أسألهم الدعاء لنا، فيستجيبون بكل سرور، وكنت أقول لهم: "نحن جميعاً جنبا إلى جنب في هذا الطريق... إنّ هذا الكفاح كفاحنا جميعاً..." لأنّني إذا رأيت نفسي في البرلمان فإنهم كذلك سيرون أنفسهم وبناتهم وأخواتهم وحفيداتهم وزوجاتهم في ذلك المكان... ولم أعد ملكا لنفسي، لقد أصبحت منهم وهم منّي أيضاً... وحال هذا الواقع المرير دون تحقيق ما أرادوا.

تناولنا فطور الصباح مع العائلة، وامتلأت نفوسنا بهجة وسروراً مع سماع أصوات الأطفال. ولو لا وجود هؤلاء الأطفال وتلك الوجوه المبتسمة، وتلك العيون البريئة لما كان لهذا العالم الظالم أيّ معنى. وكانت فاطمة ومريم وابنة أختي أروة تلعب داخل البيت راكضة من مكان إلى آخر. وأجريت بعض اتصالات هاتفية مع السيدة "نازلي" والسيد "أمين"، واتصلت كذلك بالسيد "زكي". ولاحظت أنّ والديّ في هم عميق... فلا زالت الأسرة منزعجة لما حدث في البيت بالأمس وللمقترح الذي تلقيته حول زيارة السيد "سبتي أوغلو". وكنت ثابتة على قراري في هذا الموضوع منذ البداية، أي أنّني سوف لن أزوره.

ثم اتصل بي السيد صالح، وأخبرني بأنه لا داعي لزيارة السيد سبتي أوغلو. ومع اقتراب الظهر اتصل بي السيد رجائي وقال لي: "سندعوك إلى البرلمان في الوقت المناسب". وزادني كلام السيد رجائي قلقاً، وتأكدت من أنّ الأمور ليست على ما يرام، وغلبني الشّعور بالوحدة، فالغموض كان سائداً إلى آخر لحظة. وكنت أتساءل: "وإذا لم يوافق الحزب على مشاركتي في مراسم اليمين، فما الأمر إذن؟.. وماذا سأقول لهذا الشعب الذي انتخبني وعلق آماله عليّ وألقى بهذه المسؤولية على عاتقي". ومع مرور الوقت تذكرت ما قاله لي السيد أمين خلال محادثتنا عبر الهاتف: "ومن الأفضل أن ننتظر إلى الوقت الذي قد يضمن لنا أداء اليمين بعد

مغادرة جلّ النواب، وذلك في وقت متأخر من الليل، ولكن إذا لم يتحقق ذلك؟" وخاطبتني السيدة نازلي: "إنني معكِ في جميع قراراتكِ". والسيدة نازلي شخصية كبيرة فعلاً، وهي شجاعة وصادقة لا تخشى أحداً في قول الحقّ، وتدافع عن رأيها إلى الأبد.

وناديت أختي روضة وقلت لها: "تعالي لندوّن كلمة في سطر أو سطرين، إذ لا ندري ماذا سيحدث اليوم... فلنكتب الجواب الذي سأقدمه إلى الشعب في حال جريان الأمور على عكس ما نشتهيه، أي إذا لم أستطع أداء اليمين فقد أضطرّ إلى الخروج من البرلمان...". وكنا نجلس في أجمل مكان في بيتي، بالقرب من نافذة المطبخ التي تطل على أنقرة بجوها الصافي، وأنا أملي على أختي روضة وهي تضيف بعض النقاط من عندها. وهكذا اكتمل نص الكلمة الذي سيثير زوبعة في اليوم الموالي حول صاحبتها. ووضعت نص الكلمة في حقيبتي دون معرفة الوقت المناسب لإلقائه... ثم اتصلت بالسيد "زكي" عبر الهاتف مرة ثانية.

لم أبالِ بجموع الصحفيين المحتشدين أمام باب العمارة، وأنا أجري اللمسات الأخيرة للباسي... وانتبهت إلى الإهمال الذي لحق بابنتيّ وسط هذا الغليان والضجيج... كم تألمت لذلك... ما أقسى على النفس أن تتيه بنتاي وسط هذا الغليان في هذه الفترة الحساسة من طفولتهما، هذه الفترة التي سوف لن تتكرر أبداً. وكان هذا الأمر يؤلمني. ولكنني عندما فكرت بأنّهما سوف تصبحان شاهدتين على التاريخ وسوف تصبحان كذلك جزءا من التاريخ، أشعر بعزة وفخر يقويان من عزيمتي، ويشدان على قلبي.

لقد عم التوتر كافة العائلة مع اقتراب الساعة الثالثة، ولا أحد يرغب في الرد على الهواتف. وبدأت اتصالات الناس من جديد عقب افتتاح البرلمان وعدم وجودي هناك، ولكننا لا نستطيع الردّ على جميعهم بل نكتفي بالرد على البعض منهم فقط. وبدأت مراسم اليمين عقب الكلمة

التي ألقاها فخامة رئيس الجمهورية... ويُدعى نواب البرلمان - كما هو معلوم - إلى المنصة لأداء اليمين واحدا تلو الآخر حسب ترتيب أبجدية المدن التي انتخبوا فيها. وعندما أتى دور مدينة "أنطاليا"، ظهرت السيدة "نسرين" وقد خلعت حجابها وتقدمت إلى المنصّة بلباسها فاتح اللون، وخذلت ناخبيها الذين اختاروها على أساس "أنّ حزبها سيحلّ مشكلة الحجاب في تركيا".

وفي تلك اللحظة ارتجفت شفاه الذين صوتوا لها ودمعت عيونهم، وارتعشت الأيدي التي اختارتها. وأدت السّيدة نسرين يمينها وسط تصفيق مؤيديها، ثم غادرت ذلك المكان، وغابت عن الأنظار وكأنّما ارتكبت جرماً كبيراً. وقد اعتبرتها وسائل الإعلام التركية "امرأة بطلة" لالتزامها باحترام الممنوعات الواهية. لكن السيدة نسرين صرحت أمام الصحفيين بكلام تقشعر منه الأبدان، قالت: "إنّني شعرت وكأنني عارية".

لا حاجة في الواقع إلى تقييم "اختيارات" الناس، لأن الجميع سيُسأل عمّا فعل في يوم "لا مفر منه"، وخاصة أولئك الذين يعملون على صناعة مستقبل مجتمع بأكمله، هؤلاء سوف يجدون أنفسهم أمام مسؤولية تلك الجموع التي ساندتهم، إلى جانب أعمال أنفسهم في ذلك اليوم الذي "لا مفر منه". وأعتقد أنه يجب تقييم هذا الحدث الذي استسلمت فيه السيدة نسرين لأصحاب "الاستنساخ الفكري" في تركيا.

وكنت أؤمن بأنّ وجود نائبات محجبات تحت قبة البرلمان من شأنه الدفع بعجلة التطور وتعزيز الحريات وتنشيط دور النساء في تركيا دون اعتبار المظاهر الخارجية لهن، وكذلك تأسيس تضامن نسائي يعد نموذجاً، وذلك في إطار بلورة فسيفساء المجتمع التركي. لكن السيدة نسرين أونال اضطرت إلى حضور البرلمان سافرة في هذا اليوم التاريخي بسبب الضغوط

التي مورست عليها من قبل حزبها من جهة ونتيجة المساومات التي جـــرت بين حزبها وسادة تركيا السّريين من جهة أخرى.

ثم اتصلت بي السيدة نازلي من جديد وأخبرتني بأنها قابلت السيد عبد الله وقال لها: "الأمور تسير على ما يرام، وسوف لـــن ننتظـــر إلى الليـــل، وستؤدي مروة يمينها في الوقت المناسب". وقد شجعني هذا الخبر وأسعدني كثيراً، وتصورت أن الحزب "قام بتغييرات في برنامجه". وكان الوقت قبيـــل العصر، واستأنفت استعدادي ببطء للخروج من البيت... حيث ارتـــديت لباسي الذي اشتريته لهذا اليوم المشرف وتحجبت بكل دقة، لباس لونه أزرق داكن يتماشى مع جدية هذا البرلمان وحجاب أكثر ألوانه زرقاء داكنة مـــع وجود اللونين الأزرق والأحمر في أطرافه. وبدأت دقات قلـــبي تســـرع في وقت مبكّر، وكنت أنتظر تعليمات السيد رجائي، كما لان قلبي إزاء إدارة الحزب من جديد، وبدأ الشعور بعدم الثقة يزول شيئاً فشيئا. ورغم قـــول السيد عبد الله للسيدة نازلي بأنّ الأمور تسير على ما يـــرام، إلا أنّ هـــذا السؤال لم يفارقني: "ألا يكون هؤلاء يراوغون؟".

وقبّـــلت أولاً يد جدتي لكونها أكبر أفراد العائلة ولها حق كبير عليّ، ونلت دعواتها الصّالحات ثم عانقت بنتي وخرجت وعيون والديّ الدامعـــة تلاحقني، ودعواتهما لا تتوقف. ومع النـــزول إلى الطابق الأرضي ســـلمت على جيراني الواقفين في الباب ثم ركبت السيارة مع السّيد زكي، وتبعتنـــا أختي روضة مع زوجها عثمان، واتجهنا نحو البرلمـــان ووراءنـــا جحافـــل الصحفيين. ودخلنا مأوى السّيارات التابع للمجلس الوطني الكبير، وتخلصنا من متابعة وسائل الإعلام ولو قليلا. والتحق بنا مراسل "صحيفة ستار" قبل الوصول إلى مكتب السّيد زكي عند المرور بالممرات الشبيهة باللّغز.

ودخلت السيدة نازلي بعد قليل، ووجدتها متوترة منفعلة، وكأنهـــا لا تستطيع أن تستقر على حال. وكنت ألقي النظرة على نص اليمين وأشرب

الشاي الذي قدم إليّ. ولا أدري كم لبثت هناك، ثم فُتح الباب ودخل السيد "تيمل قره مولللا أوغلو"... وسرّتني رؤيته نظراً باعتباره كان صديق أبي، وأعرف جيداً بناته وزوجة ابنه. ورحبت به ثم تحدثنا قليلاً وسألته حول ما إذا كان يعرف وقت دخولي أم لا؟ وأجابني "في ما بعد". وانتابني شعور بأن هناك مشكلة في "الاستراتيجية" أو "الخطة"، بخلاف ما قالته لي السيدة نازلي نقلا عن السيد عبد الله من أن الأمور على ما يرام.

وكنت أتساءل: "ألا تكون إدارة الحزب ترفض إشراكي في مراسم اليمين خوفاً ورهباً كما أفصح بعضهم عن ذلك عند زيارتي في البيت بالأمس؟". وقفز إلى ذهني قول السيد طيب: "إنّ الحزب قد لا يقف إلى جانبك في الأيام القادمة"، وقول السيد عبد الله: "لا استراتيجية في هذا الحزب". وكان مكتب السيد زكي الصغير يزيد صدري ضيقا على ضيق. واتجهت نحو نافذة المكتب الصغيرة والوحيدة لأجمع أشتات أفكاري من خلال الإطلال من النافذة.

يجب أن أؤدي اليوم اليمين وأن أعامَل مثل بقية نواب البرلمان، إذ يجب أن يفشل هؤلاء الذين يحاولون إيقافي... كما يجب على الحزبيين أن يؤدّوا واجبهم وأن لا ينسوا أنهم ممثلو هذا الشعب... وذلك المقترح الغريب الذي تقدم به "أجويد" إلى حزب الفضيلة سابقاً، يجب أن لا يَلقى قبولاً ولا يُلقى له بالٌ احتراما للإنسانية والمرأة والشعب. ذلك المقترح الذي تَمثل في أن "لا تشارك مروة قواقجي في اللجنة العامة في البرلمان، وهو ما يعني: أن تجلس في مكتبها محجبة وتتقاضى أجرها الشهري ولا تنشط كتائبة، بل تكتفي فقط بالمجيء إلى البرلمان". ويجب اليوم أن يحكم الشّعبَ برلمانُه... وليس هؤلاء أصحاب "الاستنساخ الفكري" الذين يتظاهرون بأنهم حماة الفكر الغربي، وهم في الحقيقة متغرّبون ممسوخون.

ويجب اليوم أن تفي مروة قواقجي بما وعدت شعبها بــه، أي تلــك الوعود التي تعهدت بها أمام المرأة التركية التي تمثــل 70 % مــن النســاء التركيات بلباسها المعروف، وكذلك أمام ناخبيها من الرّجــال والنســاء والمتدينين وغير المتدينين والشباب والشيوخ من أهالي مدينــة اســتانبول، وعليها أن تبذل قصارى جهدها لتحقيق هذه الوعود، وذلك بأخذ مكانتها داخل البرلمان. وعليها أن تبادر بالخطوة الأولى مرفوعة الرأس مادامت تريد خدمة خدمة الشعب بتجاربها التي اكتسبتها حتى اليوم وبتكوينها الدراسي وطبيعتها المتسامحة. وليس هناك أيّ سبب ليجعلها تشعر وكأنها ترتكــب خطيئة، فهي لم تخالف القوانين وإنما تحملت المسؤولية بتفويض من الشعب.

ولماذا هذا الخوف وما السبب إذن؟ وكنت أتساءل بحثا عن الأجوبة، لأنه لم يكن بوسعي طرح هذه الأسئلة على المســؤولين في إدارة الحــزب. وانتبهت لنفسي بعد أن انسقتُ في سيل الأفكار لبضــع دقــائق، وأدرت وجهي من النافذة نحو السيد "تيمال" وقلت: "يجب أن أؤدي اليمين عندما يأتي دوري... لأنّي وعدت هذا الشعب وسأفي بوعدي" وأضــفت: "لــن أغادر اليوم هذا المكان دون أداء اليمين"... ولَما ذكر السيد تيمــال أن رأي الحزب عقب إجراء مشاورات داخلية هو أن يتم هذا الأمر بالليل، أعربتُ له عن خشيتي من أن يورّطني هذا الحزب الجبان في مواجهة الشعب بهــذه المراوغات التي قد تفوّت عليّ أداء اليمين. وأضفت: "يجب أن أؤدي يمــيني مع بقية نواب مدينة استانبول عندما يأتي دوري كما أُعلمت بذلك".

والخطة التي أشك في وجودها ما كان ينبغي أن تتبدل باســتمرار، خاصة قبيل حدث مهم كهذا بساعات أو دقائق معدودات. وأصبحتُ أفكر في الأجوبة التي سأقدمها إلى هذا الشعب الذي كلفني بهذه المهمة الثقيلة والمشرفة في حال عدم تمكني من أدائها. وأنا أجهل في المقابل أي شيء عن وجود نــزاعات وتحالفات داخل الحزب وأجهــل كــذلك

وجود أناس يتخذون من انتخابي ذريعة لتحقيق مـــآربهم الشخصـــية في صراعاتهم.

وهل كان علينا أن نحاول حسم هذه الخلافات الفكرية الداخليـــة التي سببها لامبالاة الحزب وتسيبه، أم أن نستجمع طاقاتنا ضد القـــوى المعادية خلال مراسم اليمين؟ وتذكرت رفض السيد رجائي مقابلتي بعد أن طلبت منه موعداً وانتظرت جوابه على مدى ثلاثة أيام عند وصولي إلى أنقرة عقب الانتخابات... وقلت في نفسي: "ما أتعسنا! لا نـــدري ماذا نفعل ومتى نفعل؟" لقد كنت لا أستطيع التمييـــز بـــين الصـــادق والكاذب.

ولما لاحظنا اقتراب الموعد، ودّعنا السيد عثمان وأختي روضة إلى قســـم المتابعين ثم اتجهنا نحو قاعة اللجنة العامة. وكنت أردد دعاء الرســـول ﷺ: **﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِـــي مِـــنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾** (سورة الإسراء: 80).

الممرات المفروشة بالزرابي الحمراء كأنها لا تنتهي، وهـــي تشـــبه اللغز، وكنت أزداد اضطرابا كلما تقدمت، وعدم معرفتي لهذا المكـــان يزيدني ارتباكا. وكان السيد زكي يدلنا بخطـــوات ســـريعة وأحـــاول الالتحاق بالسيدة نازلي. ووجدت نفسي فجأة في قاعة كبيرة مزدحمـــة بالناس وسط أضواء باهتة وضجيج مزعج. وأخبرتني السيدة نازلي بأننا في القسم التابع للجنة العامة. وفاجـــأتني الأنظـــار الموجّهـــة إليّ وزاد انـــزعاجي من كثرة العيون المسمّرة باتجاهي، ثم خرجنا من هذا المكان مسرعين.

وأول ما شدّ انتباهي في هذه القاعدة الكبيرة المكيفّة تلـــك المقاعـــد البرتقالية الحمراء، وكأنني لا أرى أحداً في تلك اللحظة ســـوى المقاعـــد الحمراء. و"ها هو" أقول "هذا هو البرلمان". وكأنّ قلبي سوف يقفـــز مـــن

صدري من شدة الاضطراب، وكادت أنفاسي تحتبس... "وهـا نحـن في البرلمان"! وأخيراً تصل امرأة أناضولية بعد أن عانت ما يناهز الـ 20 سـنة من الاستخفاف والاحتقار، لكنها اختارت حمل حجابها بشرف وعزّة رغم المعاناة والدّموع والبكاء... وها هي في مجلس الشّـعب... مـروة الـتي شاركت أحزان أمّها منذ طفولتها عندما اضطرت إلى الاستقالة من منصبها كأستاذة في الجامعة بسبب الحجاب، مروة التي تعرضت للاحتقار والمضايقة بسبب حجابها أمام مدخل كلية الطبّ دخلت الآن قاعة البرلمان الكبيرة.



عند دخول قاعة اللجنة العامة

وبعد ثوان قليلة من دخول القاعة وأثناء السير نحو المقاعد الأمامية لاحظت ضجيجا وضوضاء... وفهمت بعد ذلك أن هذا الهرج هو في الواقع احتجاج ضدّي بسبب دخولي إلى البرلمان. وفكرت أنه يجب أن أقف مرفوعة الرأس وأن لا تفارق البسمة وجهي بما يليق وتمثيل هذا الشعب، وحاولت أن أتقدم بهدوء.

ومن الذي أثار هذا الضجيج؟ ومن الذي تجرّأ على "عرقلة" من يأتي إلى مجلس الشعب بأصوات الشعب؟ وتقدمت وسط أعين تنظر إلي باستغراب، وارتفع التصفيق بالدعم من بعض نواب حزبي مثل السيد "أسلان بولات" و"مصطفى كامالاك"، ثم جلست في الصف الثاني... ويبلغ التوتر ذروته... ثم، وفجأة حدثت فوضى... وقام نواب البرلمان من حزب اليسار الديمقراطي ومعهم نواب حزب الحركة القومية وبدؤوا جميعاً يرددون بصوت واحد ومرتفع مرفوقاً بالتّصفيق: "أخرجي! أخرجي!". وكنت أنظر إليهم مرفوعة الهامة منشرحة الصّدر في استغراب شديد، لكنّني لم أكن أستطيع التحكم في دقات قلبي السّريعة. وقرأت الآية القرآنية الكريمة: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾** (سورة يس: 9).

وكنت أتعجب من أمر هؤلاء الذين يدفعهم البعض إلى خلق هذه المظاهر المخجلة لتركيا ولأنفسهم. وكنت أفكر في احتمال أن يكون بعض هؤلاء الذين يصرخون بعبارة "أخرجي، أخرجي" – من بين هذه المجموعة – من عائلات متدينة، وكنت أفكر كذلك في احتمال وجود محجبات ضمن أقاربهم. ولاحظت نساء مسكينات يتغنين بحقوق الإنسان ويُحاولن إظهار أنفسهن معاصرات، وفي المقابل لا نصيب لهن من مبدأ احترام أفكار الغير رغم أنهن درسنَ في الغرب. وبذلك رأيتهن ضئيلات إلى درجة لا توصف. وهن بعيدات عن المرأة الأناضولية كل البعد كما لا يعبأن بقضاياهن ناهيك عن أن يكن ممثلات لهن، إذ أن هؤلاء النساء "صغيرات" لا حول لهن ولا قوة في

إثبات وجودهن، وهنّ مأمورات يوجههن أسيادهن. إنّها مجموعة تكنّ للنساء عداوة وغيظاً، ومستعدات للقضاء على وجودهن.

ويبدو أنهن لم يراجعن دروسهن كما ينبغي، فقد حاولت حوالى عشر نساء "صغيرات" من حزب اليسار الديمقراطي محاصرة المنصة بربط أيديهن قصد تكوين حصن دائري حول المنصّة، تماما مثل ما يفعل تلاميذ المدارس الابتدائية. ويبدو أنّ البعض قد لقّنهن تعليمات مفادها: "إذا أرادت مروة قواقجي الاقتراب من المنصة لأداء يمينها فامنعنها، وكنّ لها سدّاً منيعاً!". ولكن يبدو أن مدبّري هذه الخطة لخلق العداء بين المرأة والمرأة نسوا تذكير هؤلاء النساء "الصغيرات" بالقول: "إذا كانت مروة جالسة في مكانها فلا داعي للذهاب إلى الكرسي"، لأنّ هذا السدّ المتشكل من النساء الواقفات في شكل دائرة قد تهدّم بسرعة عندما قدم رجلان من نواب البرلمان وطرداهنّ كما يطرد الأطفال في المدرسة.



احتجاج نواب البرلمان من حزب اليسار الديمقراطي

نساء معاصرات! فقدن وعيهن إلى درجة شنّ الحرب على بني جنسهنّ... ونساء ذات عقول ضيقة إلى درجة التعصب ضدّ زميلتهن بسبب لباسها. ألم يسمع عن "الاتفاقية الدولية لمكافحة جميع أنواع التمييز ضد النساء" (CEDAW) التي وقعت عليها تركيا سنة 1985؟ ألم يقرأن البيان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة وكذلك اتفاقية حقوق الإنسان الأوروبية؟ واستغربت من أمر هؤلاء النساء في ذلك اليوم، فقد ألحقن ضررا بالغا بـ "كرامة المرأة" وأبيْن إثبات وجودهن، وذلك عبر القيام بدور داخل السيناريو الذي خططه الرّجال في حزب اليسار الديمقراطي. وكنت أشفق عليهن وأغضب عليهنّ في الوقت نفسه بسبب انقيادهن وراء هذه التعليمات السخيفة.

ألم تشعر هؤلاء النساء بالعار والخجل عند وقوفهن ضدّ امرأة بسبب حجابها في حين كنّ يطلبن من المرأة الأناضولية المحجبة أن تصوت لحزبهن في الانتخابات؟ وهذه العقلية التي لم تبدِ أدنى تسامح مع مروة قاوقجي تُعامل اليوم نائبة برلمان من الحزب اليسار الديمقراطي بسوء لسبب تمثيلها آراء مختلفة داخل الحزب.

والسيد أجويد" ممثل "الاستنساخ الفكري" الاستبدادي في تركيا اليوم، يلقّن نائبة برلمان من حزبه الدروس بعد أن حارب نائبة برلمانية من حزب الفضيلة في 2 مايو 1999. ومن المؤسف أن تشترك نساء في محاولة عزل بني جنسهن في 2 مايو بدافع من أسيادهن... والذين لم يرحموا ابنتيّ الصغيرتين في ذلك اليوم لا يرحمون اليوم ابن نائبة برلمان شابّ من حزب اليسار الديمقراطي... إنه فؤاد أمّ! وإنه يتألم!... وهكذا... كم أصاب أجدادنا حين قالوا: "من يزرع يحصد".

وهناك شيء آخر حدث يوم 2 مايو 1999 في حديقة البرلمان... فبينما نحن في الداخل نواجه أصحاب الاستنساخ الفكري، تحاول زوجة

السيد "أولوغ" الذي سوف نتعرف عليه فيما بعد عن طريق خبر "محاولة الانتحار" اقتحام حديقة البرلمان للاحتجاج ضد مروة قواقجي... ثم نشاهد السيّدة زوجة أولوغ وهي تهرب من الصحفيّين عقب حادث محاولة زوجها الانتحار.

كان الوقت يقترب من الساعة السابعة مساءا... و"أجويد" يتناقش مع وزير العدل الأسبق "حكمت سامي ترك" ومع رئيس البرلمان السيد "سبتي أوغلو" وسط تصفيق 150 نائبا من حزب اليسار الديمقراطي وهم يصرخون صراخهم المقيت "أخرجي! أخرجي!". وفي الأثناء وجّه نائب من حزب الطريق القويم نداءا إلى رئيس البرلمان بصوت عال: "سيدي الرّئيس، أخرجوا هذه المرأة رجاءا.. أو لتنزع حجابها، إنها مناهضة للعلمانية!... سيدي الرّئيس، اطردوا هذه المرأة!". وكان السيد سبتي أوغلو أكبر نواب المجلس الوطني سنّا. وردّ هذا الرجل الحريص على تطبيق القوانين برفع نص النظام الداخلي الذي كان في يده وقال غاضبا: "أين المشكلة؟ من حقها أن تؤدي اليمين. وهل ثمة ما ينص في النظام الداخلي على أن لباسها يخالف القوانين؟". ولم يكن لدى الطرف المقابل أيّ جواب للرّدّ على هذا السؤال...

كنت خلال ذلك أشاهد ما يحدث في البرلمان في حيرة وتعجب من جهة المقاعد الحمراء التي أهداها للمجلس رئيس البرلمان الأسبق السيد "قلملي". وبدأ نواب حزب الفضيلة يرفعون أصواتهم بالقول "أدخلي!" ردّا على كلام نواب حزب اليسار الديمقراطي. ولاحظت مع السيدة "نازلي" اندفاع السيد "إسماعيل قهرمان" الذي كان يجلس ورائي... وانضم إليه عدد من نواب حزب الفضيلة. وعندئذ أدركت أن هذا الأمر سوف يكون سبباً في نزاع عنيف بين نواب الحزبين... والتفتّ إلى الوراء دون أن تغادر البسمة محياي وطلبت منهم الجلوس قائلة: "رجاءا يا سيّد إسماعيل".

وكانت السيدة نازلي تحاول بدورها تهدئة الوضع بإبقاء النواب في مقاعدهم بإشارات يديها.

وتم رفع الجلسة اضطراريا... وخرج السيد "سبتي أوغلو" وبعض نواب حزب اليسار الديمقراطي من الباب الخلفي... واستمر الصّراخ "أخرجي، أخرجي" في تناغم مع التصفيق. وأنا أقول في نفسي: "لقد دمروا قيمة بلدي الجميل تركيا أمام العالم!" أحسست بجرح عميق في داخلي. كم كان لباسي مخيفاً بالنسبة إلى هؤلاء! "وكم كان الرّعب الذي أوقعه الحجاب في نفوس هؤلاء الغربيين المزيفين من أصحاب العقول العنكبوتية كبيراً!..." والتفتت إلى المجموعة الصامتة التي تنظر وسط الضوضاء التي أحدثها نواب حزب اليسار الديمقراطي... إلى هؤلاء النواب من حزب الحركة القومية الذين يفخرون بأنهم رجال، ويدعون القول: "إنّ حزب الرفاه لم يستطع حل مشكلة الحجاب ونحن سوف نحلها". والتفتت إليهم في حيرة لأنّ زوجاتهم أو أخواتهم أو بنات أقاربهم أو حتى بناتهم نساء محجبات مثلي...

وكنت أتعجب كذلك رغم الضوضاء التي تصم الآذان من صمت هؤلاء النساء اللواتي خرجن إلى صيد المتدينات خلال الحملة الانتخابية بارتداء حجاب مزيف، وكنّ يروّجن بالقول: "إننا مثل أمهاتكن وأخواتكن"، وكن يعتنين بتقبيل المصحف الشريف ووضعه على الجبين ثلاث مرات عند الحصول عليه كهدية. وناهيكم عن هؤلاء الذين كانوا حريصين على مخالطة الشعب في صلوات الجمعة، وكانوا ينشدون بـ "تركيا المتحضّرة!". أين هؤلاء الآن؟ ولماذا خفتت أصواتهم في هذا الموقف المُزري في تركيا "المعاصرة"؟ وكيف سيتغنون أمام الناس بشعارات "الحرية والديمقراطية وتركيا الحرة" من جديد؟... ألا يعلمون أن الساكتين عن الظلم مثل الظالمين في المسؤولية أمام الله؟... أم يحسبون

أنهم لن يموتوا ولن يحاسبوا أمام الله؟... أم "خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ؟".

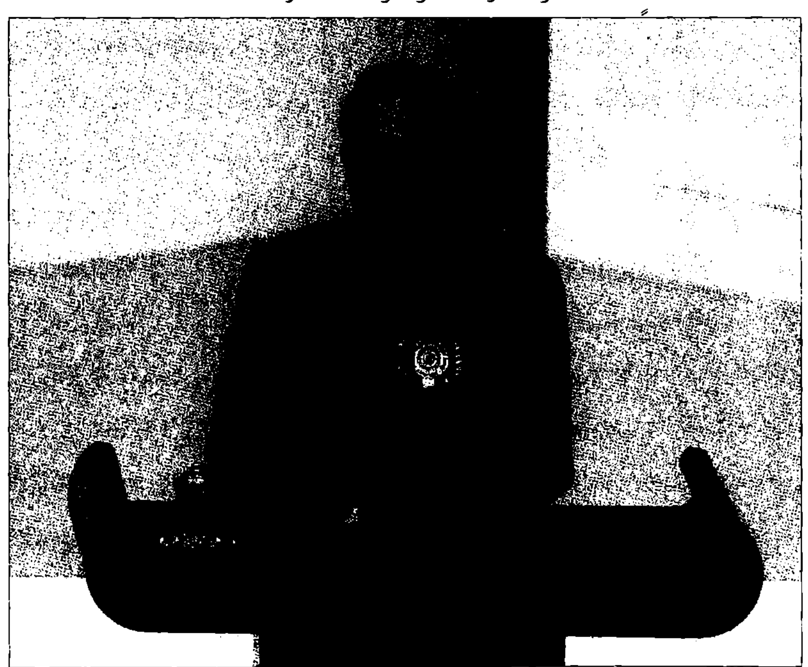
وكانت السيدة نازلي تتكلم عبر الهاتف النقال، بينما كان هاتفي مغلقاً، واتصلت بها القناة السادسة لأول مرة، وكانت تجري معها لقاءا هاتفيا مباشراً. وكانت تشرح الوضع. وأولت وسائل الإعلام التّركية هذا اللقاء الهاتفي في الأيام اللاحقة بأنّ "مروة قواقجي تلقت تعليمات من أربكان عبر الهاتف"... ويا له من هوس!... والحال أنّ الشعب التركي عاش تلك الأحداث التي وقعت في قاعة اللجنة العامة أمام شاشات التلفزة معنا. وأنا متأكدة آنذاك أنّ أدعية الناس لي ستستجاب بلا شك، وأنا أستلهم قوتي من تلك الأدعية، وإلاّ لما كان بوسعي تحمل هذا السخف بهذا القدر من الصبر. وكنت أدرك أن أدعية الجميع بثت الطمأنينة في قلبي لأنني لم أرتكب أيّ خطأ...

إنّني لم أسرق ولم أنهب ولم أختلس ولم آكل أموال اليتامى الأبرياء. وارتديت الحجاب بأمر من الله وتم انتخابي من قبل الشعب وفق القوانين وأُرسلتُ إلى البرلمان بموافقة اللجنة الانتخابية العليا. ولماذا أخاف إذن؟ وهل أخشى زمرةً من الناس الوقحين؟ فهم لن يستطيعوا الهروب من العدل الإلهي؟ لا ولا، ولن أخاف...

وكنت أفكر في ما حدث بين السيد سبتي أوغلو ونواب البرلمان الذين غادروا القاعة وراء الكواليس. ثم يدخل بعد قليل نائب من حزب اليسار الديمقراطي ويتقدم نحو زملائه الذين يعبرون عن كراهيتهم بالتصفيق والضوضاء ويطلب منهم الجلوس بإشارة من يده، وفجأة عمّ الصمتُ في القاعة... والتفت إلى السيدة نازلي التي تجلس بجانبي وهي متوترة جداً وقلت لها: "هذا هو، لقد انتهى يا سيدة نازلي"... وكنت أجهل بدء "العرض" الحقيقي بعد قليل...

ثم يظهر أجويد... الذي ظهر أمام الشعب على مدى سنوات طويلة بمقولاته الديمقراطية المزعومة وتشدقه بأنه شاعر ورجل لطيف. ويتقدم نحو المنصّة رغم تردّي صحته، وهو في ذلك اليوم يشبهني من الناحية "القانونية"، إذ أنه نائب لم يؤد يمينه بعد، فهو نائب ببطاقة النيابة فقط. ويستولي على المنصة "دون استئذان"، ودون أن يكون له أي امتياز قانوني. ويخرج نصّاً من جيبه بحدّة ويبدو أنه أعدّ من قبلُ ثم يلقي تلك الكلمة المخزية، ليس أمام تركيا فحسب بل أمام العالم أيضاً:

"لا أحد في تركيا يتدخل في لباس النّساء وحجابهن وحياتهن الخاصة، لكنّ هذا المكان ليس ساحة مفتوحة، هذا المكان هو أسمى مؤسسة في الدولة. وعلى جميع الموظفين هنا احترام قوانين الدولة وتقاليدها. وليس هذا المكان مجال تحد ضدّ الدولة. رجاء أوقفوا هذه المرأة عند حدها"!.



أجويد على المنصّة

وتكتشف تركيا والعالم الوجه الحقيقي لأجويد لأول مرة. وتُكتشف العقلية الفاشية التي تربط الحرية بفئة اجتماعية معينة، وتجعل الديمقراطية حكراً على أنصارها. إنّ هؤلاء أصحاب "الاستنساخ الفكري" يصفون كل من يفكر ويتكلّم ويؤمن، نعم يؤمن، بأنه أكبر عدو بالنسبة إليهم لأن هدف هذه العقلية ليس إلحاق البلد والشعب بركب الدول المتطورة، والرفع من شأن المواطن التركي في العالم، بل هدفها خلق شعب مطيع فقط لا يعبأ بالحرية ولا يدافع عن حقه.

أجويد كأنه يلعب دور سائق الحافلة الأميركي الأبيض الذي لقن "روسا باركس" الزنجي درسه، إذ يصيح بي ويمدّ إصبعه نحوي ويقول: "أوقفوا هذه المرأة عند حدها"! وكانت عقلية الاستنساخ الفكري تعتبر نفسها غير مرتبطة بالزمان والمكان. وأقول في نفسي "يا أسفا لحال من يعتقد أنه لن يموت"... ويا أسفا حين يرانا شهداء حرب الاستقلال الذين لم يترددوا في التضحية بأرواحهم ودمائهم من أجل الوطن... هذا اليوم يوم عار بالنسبة إلى المرأة التركية... وفي هذه الحالة النفسية قفزت إلى ذهني مقارنة: بين كفتي ميزان أضع نفسي في كفة ميزان بصفتي مهندسة كمبيوتر تنعت بـ "متخلفة" بسبب لباسي، وأضع في الكفة الأخرى السيد أجويد المعاصر الذي "يجهل" استعمال الكمبيوتر، ولا يزال متشبثا باستعمال آلة كاتبة قديمة من نوع Erica منذ 70 عاماً، ثم أعتز بـ "تخلفّي".

ولم ينتبه أجويد إلى الخطأ الذي ارتكبه حين قال: "وليس هذا المكان ساحة تحد ضد الدولة!". فهذا البرلمان هو للشعب وليس للدولة، وثانيا إنّ المرأة التي أراد طردها السيد أجويد هي نائبة انتخبها الشعب وأرسلها إلى أنقرة لتمثيله. والحال أنّ أجويد هو من تحدى الدولة بهذه الكلمة التي ألغى فيها دور الشعب في تركيا، إذ الدّولة ما هي إلا مؤسسة تقوم على تسيير خدمات الشعب. ثم إنّ "الدولة" تظل ذات سيادة طالما تحترم إرادة

"الشعب"، ويبقى الحكم بذلك في أيدي الشعب.

ومن جهة أخرى، ألم يتساءل أجويد عند إعداد كلمته عن: "ضرورة الاعتماد على مرجع في الدستور التركي أو النظام الداخلي للبرلمان حتى يستطيع منع قواقجي من دخول البرلمان؟". والحال أنّ النظام الداخلي كان صريحا في هذا الخصوص، إذ لم يتضمن أية عبارة تمنع النائبات من ارتداء الحجاب، وإنما نصت المادة 56 من النظام الداخلي للمجلس الوطني على "ارتداء النساء ما يسمى بالتيور".

وحزنت حين سمعت هذه الكلمة، وحزنت على وقوع هذا الحدث المؤسف أمام الصحافة العالمية في وقت تبذل فيه تركيا قصارى جهدها من أجل الانضمام إلى أوروبا... وحزنت على رؤية هؤلاء المتعصبين الذين يحسبون أنفسهم معاصرين.

يدرك الشعب التركي البريء ومفكرو بلادي الصادقون أن ما يفعله هؤلاء الناس ليس من التحضّر في شيء... وهم يدركون جيداً أن هؤلاء الناس يقوم بهذه الأعمال السيئة؛ من فرض أفكارهم وتوجهاتهم على الآخرين، وعدم إبداء أي قدر من التسامح والاحترام وعدم الانفتاح عليهم وعدم الاعتراف بوجودهم تحت اسم المعاصرة. وأنا مطمئنة من جهة أخرى، لأنني كنت سبباً لظهور الحقيقة وسقوط القناع عن وجه هؤلاء المتعصبين الذين لا نصيب لهم من التحضر. وتذكرت أعمال "نيرون" التي درستها في المدرسة الثانوية في مادة التاريخ، حيث كان يلقي بالعبيد أمام الأسود الجائعة.

كان خطاب أجويد التحريضي بمثابة نقطة انطلاق لحملة استئصال سياسي لم تشهد مثلها تركيا في التاريخ... العدو: هو الحجاب... الأمر: القضاء عليه!... المنهج: ممارسة الضغط النفسي... السلاح: وسائل الإعلام. وكان لا بد أن يكون

نموذج مروة قواقجي عبرة للجميع... حتى يتسنى القول لمن يدافع عن الحرية بعدها ولمن يحترم نفسه والآخر من أصحاب العقول المتقدمة... "أ أنتم كذلك؟ أ أنتم تريدون العيش كما آمنتم، فانظروا إلى ما أصابها...". وهذا ما أراده أجويد...

لكن الأمور في المستقبل سوف تجري على خلاف ما تشتهي سُفن أجويد... إذ لا تتحول قواقجي إلى نموذج مثلما أراد أصحاب الاستنساخ الفكري... بل يحدث عكس ذلك. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾**. (سورة آل عمران: 54). ما أروع أن نكون مؤمنين، ما أعظمك يا ربّ... وتذكرت حينذاك ما قالته ابنة إحدى الصديقات: "لقد رفع ملايين الرجال والنساء والأطفال أيديهم إلى السماء بعيون دامعة ودعوا الله جميعاً. وهل تظنون أن هذه الدعوات التي ارتفعت إلى الملإ الأعلى سوف تُوصد دُونها الأبواب؟".

لنعد إلى قاعة اللجنة العامة. يتم فضّ الجلسة من قبل السيد سبتي أوغلو للعشاء حتى الساعة الثامنة... "وكنت أفكر في ما سنفعل؟" وأنا لا أملك قرارا لعدم وجود خطة معينة لدينا. لقد رأينا أجويد كيف أنه أعد كلمته مسبقا ووضعها في جيبه وأمر نوابه بـ "التصفيق والصراخ" وأصبحت القاعة تهتز بضوضائهم. أما نوابنا... فأين هم؟ لا خطة ولا إستراتيجية منذ شهرين، ولم يجتمعوا لوضع حساب لهذا الموضوع، ولذلك لا ندري ماذا علينا أن نفعل.

وبلغني فيما بعد أن السيدة نازلي اجتمعت مع أجويد بعد ظهر ذلك اليوم. وقال لها إن نوابه سيبدون ردود أفعال شديدة ضدي. والتفتُ نحو السيدة نازلي وسألتها: "هل لديك رأي، وماذا سنفعل الآن؟" وهي بدورها كانت تسأل الآخرين. وبقيتُ جالسة مع نواب البرلمان من حزب الفضيلة، ولا أدري إن كنت سأخرج من القاعة أم سأبقى فيها. وكان لكل واحد

منهم رأي يختلف عن رأي الآخر. وهناك رأيت السيد "شرف مالكوتش" والسيد "مصطفى كامالاك"، وتكلم السيد شريف فقال: "لنخرج"، وخالفه الآخرون بالقول: "لا نخرج". وقلت: "إذا خرجنا فإنني سوف لن أعود أبداً في الساعة الثامنة". ثم خرجتُ من قاعة اللجنة العامة يتملّكني شعور بالخوف كأنني طفل صغير، وكنت اعتقد أنهم ربما يمنعونني من الدخول إذا أردت العودة إلى القاعة من جديد...

وكان رأسي مرفوعاً كالعادة... وعلى وجهي ابتسامة خفيفة... وأدعو الله سرّاً: "اللهمّ كنْ معي!". واتجهت مع السيد زكي والسيدة نازلي نحو مكتب الرئيس العام السيد رجائي. وقال لي البعض هنالك: إنّ العودة إلى قاعة اللجنة العامة غير مناسبة في الوقت الحالي.

وانطلقت المراسم بعد الاستراحة، وكنت أتابعها على شاشة التلفزة من مكتب السيد رجائي حيث يؤدي نواب البرلمان من حزب اليسار الديمقراطي اليمين الذي يتضمن عبارات مثل: "حقوق الإنسان... أحلف على شرفي وعرضي..." دون التمعن في معاني الكلمات التي تخرج من أفواههم. أليسوا هم الذين ثارت ثائرتهم وكادوا يجهزوا على زميلتهم بسبب لباسها قبل قليل، أليسوا هم الذين انتهكوا أكبر حق طبيعي لها. كيف يجرأون على التلفظ بكلمات الشرف والعرض وهم يناقضون أنفسهم. عندما جاء دور مدينة استانبول ينادى على اسمي: "مروة قواقجي - غائبة!" وأحسست أنني أحترق في داخلي، ولم يحدث أن عشت مثل هذا الألم من قبل، وأصبحت أشعر بثقل مسؤولية الأصوات التي وقفت بجانبي... لقد شعرت أنّني أتلاشى آنذاك.

واتخذ الحزب قراراً بأن أؤدي يميني في نهاية المراسم فقيل لي: "اذهبي إلى البيت حتى يهدأ الوضع... وستأتين بالليل من جديد". وغادرت مكتب الرئيس العام مثل الطفل البريء. وكانت جيوش الصحافة في الخارج

بالمرصاد... لا... لا!... يجب أن لا أسمح لهم بأن يدمروني. إنني أحمل على رأسي حجاب امرأة أناضولية مسلمة... أحمل رمزاً هو تطبيق لأمر الله تعالى...

كم من امرأة ضحّت بمستقبلها من أجل هذا الحجاب!... وكم من فتاة اضطرت إلى الانفصال عن الجامعة في السنة الأخيرة من دراستها من أجل الحجاب. وكم من امرأة مدرّسة تعرّضت للاحتقار وسُحب منها حق التدريس من قبل مديريها... وكم من جندي طرد من الجيش بسبب حجاب زوجته... وكم من طفلة صغيرة وكم من تلميذة في ثانوية الأئمة والخطباء أصيبت بالمرض وكُبّلت يداها بالسلاسل وفقدت رجلها ودخلت السجن من أجل ذلك... لا، لا!... سوف لن نُهزم... ولا ينبغي أن نهزم... لكن، لكنني لا أستطيع الذهاب إلى البيت في هذه اللحظات... فالصحفيون لن ينفضوا من حولي ولن يسمحوا لي بالراحة في بيتي.

وخطر على بالي الذهاب إلى مقر النواب، فركبت سيارة السّيد زكي لأنّ الصحفيين لا يستطيعون تجاوز حاجز الحراس. وأخذنا السّيد زكي إلى بيت السيد "أسلان بولاط" وهو نائب من مدينة أرضروم. واستقبلتني في الباب السيدة "باهار" (زوجة السيد أسلان) وابنته "خديجة" وصديقتي "لطيفة"، ودخلت البيت سالمة. لقد وقفت السيدة باهار والسيدة لطيفة منذ البداية إلى جانبي، فجزاهما الله خيراً، فهما لم تقصرا في مد يد العون إلي في كل مناسبة.. كما عاشتا معي محنة ما بعد حادث اقتحام "نوح متا يوكسال" المشهور...

وكنت أشعر بصداع كبير في رأسي... يبدو أنه نتج عن الصدمة التي عشتها، وأنا لا أستطيع بالضبط وصف شعوري. وكأنه خيال وتلك أصعب لحظات بالنسبة إلي، لحظات مبهمة لا أعرف فيها شيئاً عن المستقبل وعما يجب أن أفعله... ومثلما يحدث في حياة كل واحد منا، إذ قد يأتيه

وقت ينبغي أن يتخذ فيه قراراً حاسماً، ولذلك يشعر بضيق وانـزعاج حتى يقضي ذلك القرار. وكنت أشعر بقلق كبير في تلك الليلة، قلق ناتج عن "العجز". لو كان اتخاذ القرار بيدي وحدي في تلك الليلة، ولو أن تنفيذه سيتم بيدي "فلا إشكال، لأنني أتمتع بحق أداء اليمين ومباشرة الوظيفة وفق ما تقتضيه القوانين المرسومة". لكن عددا كبيرا من الناس بما فيهم السيد سبتي أوغلو لا يملكون الحرية في تطبيق القوانين. والظروف التي أعيشها تجعلني في حاجة إلى دعم جميع نواب البرلمان، إلا أنهم خائفون أكثر مني. وكان من الواجب أن يتم التحرك جماعيا وأن يساند النواب من حزبي زميلتهم فتؤدي اليمين، فهو مسألة شرف بالنسبة إليهم... وكان ينبغي أن يقفوا إلى جانبي عند الخروج إلى المنصّة، وأنا محجّبة.

كنت منـزعجة، ومنـزعجة جداً حيث أشعر بضيق في صدري... وأتحدث مع السيدة باهار والسيدة لطيفة والسيدة خديجة... وهن يحاولن بثّ الطمأنينة في نفسي... لكنني لم أكن أستطيع البقاء في مكان واحد، كنت أفكر وأقول: "ماذا يجري في البرلمان، وما الذي سيفعله النواب من حزبي؟ ينبغي أن أتّصل ببعض الناس، لا يمكن أبدا أن يستمر الوضع على هذا النحو".

أحاول الاتصال بالسيدة نازلي ولكن بلا جدوى، لأن هاتفها مغلق. وأفكر في الاتصال بالسيد "إسماعيل قهرمان" الذي أحفظ رقم هاتفه النقال. وأسرع في الضغط على أزرار الهاتف، ويخبرني السيد إسماعيل بأنه في اجتماع المجلس الرئاسي. ومن هؤلاء الذين شاركوا في هذا الاجتماع؟... وما هو الموضوع المتناول وما هو القرار المتخذ؟... وفي الأيام القادمة سوف أعرف أسماء الأعضاء المشاركين في ذلك الاجتماع، أي أسماء أعضاء حزب الفضيلة الذين ارتكبوا ذنبا كبيراً في تلك الليلة التاريخية. فقد كان نواب البرلمان المنتمين إلى "حزب الوطن الأم" قد مارسوا ضغوطاً على

السيد رجائي محذرين من وقوع "انقلاب" في تركيا مما أدى إلى تعطيل دور السيد رجائي بصفته رئيساً، وهو ما دفعه إلى التخلي عن دعمي.

"يجب أن أتصل بالبيت وبالعائلة... ويجب أن أتحدث مع ابنتيّ... ينبغي أن تعلما أن أمهما بخير... آه، وجدّتي، كيف حالها يا ترى..؟" ولا شك أنها الآن في غاية القلق بشأن حفيدتها التي كانت تنام على ركبتها وتدللها وتهمس في أذنيها: "بنيتي حريريّة الشعر". ثم أخاطب نفسي: "يجب أن أكون على حذر، ويجب أن لا أقول لعائلتي أين أنا، لأن هناك من يتسمع لمكالماتي الهاتفية سرّاً. خاصة هذه الليلة؟ فلا شك أنهم سيتابعون اتصالاتي".

اتصلت بالبيت، وأجابتني أختي روضة. ويبدو أنها وصلت من البرلمان إلى البيت في التوّ، وسألتني بصوت مرتجف:

أخيّتي، هل أنتِ بخير؟.

نعم أنا بخير، لقد خرجت مع السيد زكي وأنا في مكان آمن.

أختي، وإلى أين ستصير الأمور الآن؟

خيرا إن شاء الله يا روضة، لا تقلقي.

وأغلقت الهاتف دون أن أطيل الحديث لوجود خشخشة يبدو أنها بسبب التجسّس"...

والتفت إلى التلفزيون، كان صوته منخفضاً، وإذا بالرئيس "دميرال" يلقي خطابا في قناة TRT1. هذا دميرال... هو يعرف خالي عن قرب لكونه من مدينة "إسبارتا". وكان يدعو والديّ إلى مأدبة عشاء في القصر الرئاسي كل سنة بصفته عميد الكلية وموظفا في رئاسة الوزراء من قبل. نعم دميرال هو الذي خرج علينا، يتكلم ويكذب على شعبه دون حرج ويقول: "إن مروة قواقجي هي السّبب في هذه البلبلة!". وخاطبت نفسي

مجدّداً: "عدلك يا ربّ؟ يا عظيم ما أكبر حلمك وصبرك، ولكن من أين لي الصّبر!!!!... كيف تخرج هذه الكلمات من فم دميرال؟ ومن الذي يلقّنه إياها؟ ومن هذا الذي يسعى دميرال في إضرائه؟ وهل من السّهل اتهام إنسان بريء على هذا النحو؟ ألم ينشأ دميرال على مخافة الله منذ كان صغيرا في قريته؟ أم أن الخوف من أسياده قد حلّ مكان الخوف من الله تعالى، نعم، هو يخاف برغم الموقع الذي هو فيه؟... ما أعظم أن يُتهم إنسان بريء ظلماً وبهتاناً!"...

على الرغم من أنّ معالجة التوترات والمشاكل هي من مهمة الرئيس بالدرجة الأولى، إلا أنه تناسى ذلك عندما دخلت مروة قواقجي البرلمان. وهذا ما أشار إليه البروفيسور الدكتور "مصطفى أردوغان" في لقائه التلفزي مع قناة 7. لكن السيد دميرال أسرع بالظهور على شاشة التلفزيون وأخذ يوجه إليّ سهامه واتهاماته. وهكذا اعتبر أنّ مروة قواقجي هي السّبب في هذه الزوبعة المثارة. ونسي في المقابل التساؤلات التي يمكن أن يطرحها النّاس: "ولماذا لم يعلن دميرال عن ذلك خلال الحملة الانتخابية ما دامت لديه شكوك حول هذه المرأة؟ وكيف تصح هذه الاتهامات بعد أن وطأت قدما مروة قواقجي قاعة اللجنة العامة للبرلمان؟ والحال أنها لم تثبت خلال عملية البحث والتحري في ماضي المترشحين في فترة ما بعد تسليم قائمة المرشحين إلى اللجنة العليا للانتخابات.

ألم يكن هذا الموقف بمثابة إهانة للشعب التركي واستخفاف به؟ ودميرال يعلم جيداً، وجميع الناس يعلمون كذلك أنه لم يكن ليتهم قواقجي لو أنها حضرت مراسم اليمين بدون حجاب، لأن المشكلة ليست مع قواقجي بل مع الحجاب الذي ترتديه. وهناك نقطة أخرى ذات أهمية أيضاً، وهي أن هذا الموقف كان يمثل تمييزا حقيقيا؛ إذ تتهم نائبة بتحريضها ضد العلمانية بسبب لباسها في حين يستطيع نواب آخرون من الحزب نفسه أداء

واجبهم في المجال الحكومي. وهذا كله دليل على مدى الحساسية التي تتميز بها قضايا السياسة والحجاب والعلمانية،ولكن بعيدا عن سياقها الصحيح.

شكلت كلمات سليمان دميرال نقطة تحول في تاريخ الحجاب في البرلمان. وأخذ الحزب يتراجع عن مواقفه، ودبّ في أوصاله الخوف والتوجس... ووهنت عزيمته، ولم يصمد حزب الفضيلة للدفاع بثبات عن قضية الحجاب... وبعد مضي ثلاث سنوات على هذا الحادث التقيت بالسيد "ترهان ألتشليك" النائب عن حزب الفضيلة في اجتماع الاتحاد العالمي للبرلمانات في "كوبا". وخلال التحضير لمراسم أداء اليمين أفادني بمعلومة مهمة لم أكن أعرفها من قبل، فقد ذكر أنّ دميرال اتصل بالسّيد رجائي في تلك الأيام وأبلغه تحذير "بعض الجهات" من عواقب دخولي البرلمان.

أصبحت الساعة كأنها لا تتحرك، وكأن الزمان قد توقف... وقلت في نفسي: "يجب أن أجرّب من جديد في نحو الساعة 12:00 ليلاً. ولا يزال الحزب صامتا لا ينبس ببنت شفة"". ولم يكن باستطاعتي الاتصال بالسيد إسماعيل أيضاً. وماذا يحدث؟ هاتف السيد أسلان كان مغلقاً، بينما السيدة نازلي مازالت في قاعة اللجنة العامة...

"أف، هناك مشكلة في التنقل أيضاً... ولا شك أن وسائل الإعلام تتبعت خطانا حتى هنا. ويجب أن أخرج بسيارة مختلفة لا يسمح زجاجها برؤية من بداخلها، وإذا لم يكن الأمر كذلك فسوف تلاحقني الصحافة وتخبر البرلمان بقدومي، وبالتالي يستعد نواب حزب اليسار الديمقراطي لـ "الهجوم! من جديد". وعليّ أن أدير شؤوني بمفردي هذه المرّة. غير أن اليأس يتغلب عليّ. ويجب أن أجد سيارة ذات زجاج أسود حتى أتخلص من وسائل الإعلام المعادية التي ترصدني في الباب مثل الذئاب الجائعة. إن هذه اللحظات مهمة للغاية، ونحن نعيش تحولات تاريخيّة حاسمة، بيد أنّني أجد

نفسي وحيدة لا يُسادني إلا عدد قليل، هم عائلتي وبضع أصدقاء والسيد زكي... وكيف لي أن أوفيه حقه وأوفي حق زوجته السيدة "مُقدّر"... لقد كانا لي نعم السّند...

قلت لنفسي: "الوقت الآن ليس وقت تهويم في الخيال". كان يجب أن أوفّر سيارة ملائمة. قامت السيدة "لطيفة" بإجراء اتصالات هاتفية. واتصلنا كذلك بالسيدة "مقدس"، وهي صديقة حميمة... واجتهد زوجها السيد علي في الاتصال هناك وهناك حتى يجد السيارة الملائمة لكي يأتي بها إلى حيث نحن. وأعيد الاتصال بالبيت لأطمئن على العائلة فتخبرني أمي باحتشاد وسائل الإعلام أمام باب العمارة. وهذا ليس أمرا جديدا بالنسبة إلينا، فقد تعودنا عليه، كانوا ينتظرونني في الأسفل داخل سياراتهم... وخرجنا من بينهم كما لو كنا ننتقل بين حشد من العساكر، وكانت مضايقاتهم لا تنتهي. وفي الحقيقة، تعجز الكلمات عن وصف التصرفات غير الحضارية الموجهة ليس ضدّي فحسب بل ضد عائلتي وأصدقائي. فهذه الجحافل لا عمل لها سوى إفساد راحة الآخرين وإزعاجهم...

لنرجع إلى موضوعنا. انطلقنا في الطريق نحو البرلمان، ودخلنا من باب مغاير هذه المرة. وجاءت السيدة نازلي فور وصولنا إلى مكتب السيد زكي. ونحن على أتم الاستعداد. وكان يجب أن ننجح هذه المرة، ولم يبق عن انتهاء مراسم اليمين سوى وقت قصير، ثم يُنادى بأسماء الغائبين من جديد في نهاية المراسم لأداء يمينهم على المنصّة. وفيما بعد علمت أنّ النواب من حزب الفضيلة ينتظرون قدومي في قاعة اللجنة العامة، ويخططون لتهيئة فضاء ملائم لأداء "يميني"، وذلك من خلال تشكيل حاجز حولي عند التوجه إلى المنصة.

وأريد هنا أن أشير إلى نقطة مهمة؛ فقد حدث انقسام بين نواب الحزب إلى ثلاث مجموعات، وهو ما اكتشفته في وقت لاحق. المجموعة

الأولى هي التي بيد الكلمة الفصل، وهي ممثلة في المجلس الرئاسي. والمجموعة الثانية جماعة توجد داخل "المجلس الرئاسي" نفسه. ويبدو أن السيد رجائي بقي وسط أطراف طأطراف "ثلاثة" أي وسط هذين المجلسين والسيد أربكان. وهناك كذلك نواب برلمان "عاديون"، وهم إما يجهلون ما يجري في المجلس الرئاسي وإما لا يستشارون في شيء، وإن كانوا على علم بالتطورات. وكان السيد "بولند أرنتش" قد أخبرني بأنه طرح أمام المجلس الرئاسي سؤالا: "ما الموقف الذي تفكرون فيه في ما يتعلق بمشاركة السيدة مروة في مراسم اليمين؟ وما هي استعداداتكم في هذا الخصوص؟ وماذا علينا فعله نحن كنواب في البرلمان؟" وكان الجواب: "سوف نقوم بما يلزم فلا تقلقوا؟" ثم أضاف السيد أرنتش: "وكنا نظن أنهم يدرسون جميع الاحتمالات، وأن الأمور تسير على ما يرام".

كانت عقارب الساعة متوقفة، ودقات قلبي تتسارع. وفجأة رنّ جرس الهاتف. كان المتصل هو السيد صالح قابوسوز، كان يتصل بنا من عند السيد رجائي، وقال للسيد زكي: "تعالوا إلينا قبل دخول قاعة اللجنة العامة". لكن الوقت كان ضيقاً، حيث اقترب وقت دخول القاعة... فقلنا "لنذهب فوراً". وأسرعنا مع السيد زكي والسيدة نازلي نحو مكتب السيد رجائي. وبينما نحن في الطريق صرّحت السيدة نازلي بالحقيقة المرة: "مروة، إنهم سوف يمنعونك من أداء اليمين!" وتعجبت حينئذ... لكننا كنا نسرع الخطى نحو مكتب السيد رجائي...

وفي في مكتب الرئيس العام قابلت وجوهاً عبوسة... وجدت السيد رجائي والسيد صالح قابوسوز والسيدة "أويا آق كوننتش"... وتكلموا فقالوا "سيدة مروة، لقد اجتمع المجلس الرئاسي" ويضيفون، وتم اتخاذ قرار بعدم دخولك قاعة اللجنة العامة". ما هذا!!! شعرت كأنهم يصبون ماء ساخناً على رأسي... ماذا يحدث في هذا الحزب، وماذا يدور في فلكه،

ومن اتخذ هذا القرار؟... وبأيّ حقّ يتخذون قراراً مثل هذا في غيابي؟... وبأيّ حجة سنظهر أمام الشعب؟ لماذا وممن يخاف أصحاب هذا القرار؟ وبينما كنت أحاول العثور على إجابة عن هذه الأسئلة رنّ هاتفي. إنها أختي روضة تسألني بصوت فيه تعب وقلق: "أختي! أين أنت؟ إنّ دورك يقترب!" فأجبتها: "أختي روضة إنهم لا يريدون دخولي" ثم أغلقت الهاتف... وخاطبتهم قائلة: "ولكن من حقي الطبيعي معرفة ما يجري هنا"...

قيل لي: لقد هددنا السيد "أيدين مندرس" بالإعلان عن وجود صلة بين هذا الحزب والسيد أربكان وأنه هددنا كذلك بالاستقالة من الحزب. كما أن كلام دميرال عنك بكونك "محرضة" لعب دوراً كبيرا في اتخاذ هذا القرار... ونقلهم لما قاله دميرال، رغم معرفتهم الجيدة بكذبه كان يوتر أعصابي إلى درجة لا توصف، كان الدم يغلي في داخلي. ثم صحتُ في وجه السّيد رجائي - وكنت أعرفه منذ سنوات طويلة باعتباره صديقا للعائلة: "سيد رجائي، أنت جبان!"...

نعم، إن قول الحق ليس سهلاً وليس جيداً في جميع الحالات، وكنت لا أتكلم بل أصيح، لأنه كان على البعض أن يقول الحق... وأن يجهر بالحق إذا اقتضى الأمر ذلك... كان ينبغي لصوت هؤلاء اللواتي يتعرضن للأذى والاحتقار على مدى سنوات طويلة بسبب الحجاب أن يرتفع عاليا. ولكن كم كان سيئاً أن أتخاصم مع حزبي بدل أن أصيح في وجه أجويد. وكان السيد رجائي يستمع إلي صامتا وهو جالس على مقعده الجلدي منكفئاً على نفسه. ثم يُخترق جوّ التوتر هذا برنين هاتفي:

أختي!! ماذا يحدث؟ الآن... الفلانة... الفلانة اتصلت... السيدة نرمين... وتقول يجب أن تدخلي القاعة وتؤدّي يمينك! ماذا يحدث يا أختي!

يا روضة، لقد انتهى!! إن أكابر الحزب خائفون!!!

وكان السيد "حسام الدّين أوزكان" سينقل إلى أعضاء حزب الفضيلة في اليوم الموالي خبر الاتصال الهاتفي الذي جرى بين السيدة نرمين وروضة بالقول: "لقد تم الاتصال ببيت قواقجي يوم أمس، وتكلمت زوجة أربكان مع أمّ قواقجي أو أختها". وكانت أختي روضة تصيح في الهاتف: "أختي، كيف ترضين بذلك؟ عليك أن تجربي حظك مرة ثانية!" ثم تذكّرني بضرورة الوفاء بالوعود التي قدمتُها إلى الشعب. وكان فؤاد أختي يحترق مثلها مثل ملايين الناس المترقبين أمام شاشات التلفزيون. وفي وقت لاحق بلغني قول بعض من كان ينتظر في الخارج: "ليتها تخرج... لنوصلها إلى قاعة اللجنة على أكتافنا". وظلوا ينتظرون انفتاح باب مكتب الرئيس العام. لكن الباب لم يُفتح، ولم أستطع أنا الذهاب إلى قاعة اللجنة العامة لأداء يميني واستئناف عملي.

وكان نواب البرلمان من حزب الفضيلة يترقبون قدومي بفارغ الصبر مع اقتراب الدقائق الأخيرة وهم يتساءلون: "أين قواقجي، ولماذا لم تأت حتى الآن؟". ونادى السيد سبتي أوغلو باسمي: "مروة قواقجي"، ولكنه يتلقى الجواب نفسه: "غائبة". كنت أنظر إلى ذلك المشهد في تلك اللحظة على شاشة التلفزيون من مكتب السيد رجائي أكتم صراخي في داخلي، وقلبي يعتصر ألما.

ليتني دخلت قاعة اللجنة العامة مباشرة ولم أستمع إلى طلب السيد صالح قابوسوز عندما اتصل بي ودعاني إلى المكتب. وكنت أشعر بأن كل شيء قد انتهى. أنا واحدة من بين مائتي ألف امرأة متطوعة أكتشف حزبي الآن جيداً... كنت أفهم جيداً لماذا تتعثر الأمور... واكتشفت في حزن شديد أنني لما اتجهت نحو البرلمان صبيحة ذلك اليوم كنت أعتقد أنني سأدخل في صراع عقلية حزب اليسار الديمقراطي لكنني وجدت نفسي في

صراع مع حزبي الخائف... جدل في الخارج... وجدل في الداخل... والنساء في دوامة مستمرة...

كانت هناك موجات من الأفكار ترد إلى فكري، وفي الوقت نفسه كنت غاضبة! لماذا، لماذا رشحت نفسي؟ ألم أُقدم على هذه الخطوة باقتراح من الحزب؟ وهل أنا طلبت أن أكون نائبة؟ ألم أقبل هذه المهمة على أساس أن نيابة البرلمان "مهمة مقدسة"؟ ألم ينصبني الشّعب في هذه المهمة؟ ألم يكلفني الشعب بوظيفتي بحجابي هذا؟ ألم تقدم لي الدّولة شهادة النيابة وأنا محجبة؟ أسئلة... وأسئلة... كان رأسي يزدحم في تلك الليلة بمئات الأسئلة. وكان "الزمن" معياراً هو الحكم الصحيح لكل شيء، وهو الفاصل بين الخطأ والصواب...

لقد انتهى كل شيء فيما يتعلق بأداء اليمين. وكان صراعي سيأخذ بعدا آخر، وأدركت في الأيام اللاحقة حجم العزلة التي كنت فيها داخل الحزب والسلبيات المحيطة بي لكوني امرأة. وبالطبع تلقيت مساندة نساء الحزب ووقوفهن إلى جانبي دائما. لكنني كنت في حاجة ماسة إلى مساندة نواب البرلمان في الحكم في تلك اللحظة التي أنا فيها. وكنت آمل في أن يعرفني الناس نائبة شابة ونشطة بغض النظر عن لباسي.. وكانت هذه المهمة "شريفة" بالنسبة إلي.

قلت للحاضرين في مكتب السيد رجائي "نعم أنتظر منكم تفسيرا". وكانت مراسم اليمين قد انتهت وأغلق التلفزيون الموجود في المكتب. وعلق السيد قابوسوز حديثه وقال: "يا سيد الرّئيس، لقد قلنا للسيدة مروة كذا وكذا عند زيارتنا إياها في بيتها". والعجيب أنه كان يستعمل عبارات مختلفة عما قاله لي أول أمس مما اضطرني إلى التدخل بالقول: "رجاءا يا سيد صالح، لنتحدث عن الحقائق إنكم لم تقولوا لي كذا وكذا". وتراجع السيد صالح عن عباراته عقب اعتراضي له ثم سكت. ودخل المكتب السيد

عبد الله بعد قليل وهو صامت، وعلى وجهه علامات الحزن. وبعد مضي وقت قصير دخل المكتب السيد مصطفى قامالاك. ولاحظت عليه اضطراباً، وحزنا لا أعرف سببه.

وبعد مرور شهرين على هذا الحادث عرفت، عند لقائي بالسيدة نرمين أربكان سبب ذلك الانزعاج، فقد كان السيد مصطفى قد تلقى تعليمات من السيد أربكان كي يهتم بموضوع أداء يميني. وأنا في الواقع لم أقابل السيد مصطفى حتى ذلك اليوم، و لم أكن على علم بأنه كان مكلفا بهذه المهمة. وكنت أريد العودة إلى بيتي، العودة إلى بيتي! فقد أصبحت مرهقة، متعبة. وكم كان ذلك اليوم مشؤوما... لا ولا... ما كان علي أن أعتقد ذلك... لا شكّ أن في ذلك خيراً... لكننا لا ندركه بعد... ولكن اليوم كان متعباً جدّاً. وكنت أريد العودة إلى البيت وتطهير ذهني من زخم تلك الحوادث. وتمنيت أن يخلو ذهني فأنام مرتاحة هادئة...

كان انتقالنا من البرلمان إلى إقامة النّواب خيالا لا أتذكره جيداً... كنت أفكر في قضاء الليلة هناك... وذلك بسبب وجود جحافل رجال الإعلام الذين يقفون لي بالمرصاد أمام باب العمارة، وأنا لا أملك طاقة لصد شرّهم. وأطلتُ الحديث مع السيدة نرمين عبر الهاتف، وأنا أتنقل جيئة وذهاباً. وحدثتها بالتفاصيل عما حدث، وترك ذلك في نفسها استغرابا ودهشة.

حسناً، هل أشق طريقي إلى البيت رغم وسائل الإعلام الموجودة أمام العمارة... لقد اشتقت إلى ابنتيّ، نعم اشتقت إليهما شوقا كبيراً... وأعتقد أهما قلقتان بشأني ومتشوقتان إلي أيضاً. وكنت أريد أن أكون بجوار عائلتي. و لم أكن أعرف أن "الفراق" سيدوم معنا طويلا... و لم أكن أتوقع أن تقضي ابنتاي ليالي طويلة بعيدة عن أمهما دون معرفة مكان وجدها. كنت سأكتشف كل ذلك بمرارة كبيرة...

ولما وصلت إلى بيتي في "مبوساولار" دخلت مسرعة. وأوجدنا للسيد عثمان مكانا ليبيت فيه، فهو الذي أوصلني إلى البيت، وهو الذي جاء بنا من إستانبول إلى أنقرة من قبل، فجزاء الله كل خير. كان رجلا رفيع الأخلاق، حاذقاً، لم يأل جهدا في مساعدتنا، بكل صدق، عندما كنا في حاجة إليه، عمل معنا متطوعا خلال الحملة الانتخابية. وكان يوصلني وأختي روضة في المواعيد بسرعة فائقة خلال الأشغال التحضيرية للانتخابات. وكنا - دون مبالغة - "طرنا" مرات عديدة بين ضفتي استانبول. وقال لي السّيد عثمان إنه يستطيع قضاء بضعة أيام أخرى في أنقرة لّما أحس بضغوط الصحافة المكثفة علينا... فجزاه الله ألف خير...

كنت أصعد في المدرجات بكل صعوبة. وكان الوقت قد تجاوز السّاعة الثانية صباحا عندما استقبلتني أمي لدى الباب. وكان أبي حزيناً، وكنت أرى في عيني جدتي الدموع... أما بنتاي فكانتا نائمتين، في حين بدا القلق واضحا على وجه أختي. ورجوت من أختي أن تحضر لنا شايا. فأنا أحبّ الشاي كثيراً، خاصة إذا كان مُركزاً. ولا أدري لماذا، وربما لأنني قضيت طفولتي في مدينة أرضروم، وأهالي هذه المدينة يشربون الشاي بكثرة. وهم يضعون السكر الصّلب في أفواههم عند شرب الشّاي... ويزداد حبّي لشرب الشاي في شهر رمضان المبارك، ويكاد يتوقف عقلي عن العمل طوال أيام رمضان نتيجة الانقطاع عن شرب الشاي. وأنا غالبا ما كنت أفتتح الإفطار بالشاي.

بينما كانت روضة تعد الشّاي انتقلنا نحن إلى غرفة الجلوس. لم أكن أدري من أين أبدأ الحديث، كان والدي غارقا في التفكير، بعيدا عنا كل البعد. وكم هو صعب أن يرى الإنسان من يحبّهم يستولي عليهم الحزن. لا شك أن المعاملة التي تعرضت لها ابنتهما قد أثرت فيهما أيما تأثير. وفي واقع الأمر لم تكن لدي القدرة في ذلك الوقت للحديث عن أي شيء...

وتكلمت فقلت: "سوف ألتقي مع السيد رجائي في مقر الحزب على الساعة العاشرة صباحاً، وسأعقد بعد ذلك مؤتمرا صحفيّا". ثم توجهت بالحديث إلى أختي: "روضة يجب أن نعيد النظر في النص الذي أعددناه معاً، ونفعل ذلك صباحا إن شاء الله". فحركت أختي رأسها إشارة إلى أنها موافقة. وشعرت بشيء من الطاقة تدب في جسمي عندما شربت الشّاي. وكان الوقت يقترب من الساعة الثالثة صباحا...

فكرت بين وبين نفسي: "متى سننام ومتى سنستيقظ، وبماذا سيطالعنا الغد؟" وقصصت على أبي وأمي وجدتي ما حدث. وكانت أختي روضة قد حدثتهم بما جرى خلال وجودها في قاعة البرلمان، لكنهم كانوا يجهلون طبيعة الأحداث خلف الكواليس: لماذا لم أذهب إلى البرلمان مرة ثانية لأداء اليمين، وما هو الحوار الذي دار في مكتب السيد رجائي. وقلت لأبي: "حسنا أنك لم تأت معنا إلى البرلمان، وإلا لكان الأمر قاسيا بالنسبة إليك". وبعد ذلك انتبه إلى أنه لا معنى لما أقوله. وكأن مشاهدهم لي عبر شاشة التلفزيون ومتابعتهم للأخبار بعيدا عني كانت أسهل بالنسبة إليهم.

تصوروا... أنكم تربّون بنتاً بكل عناية، تحرصون عليها وتحاولون بقدر الإمكان توفير ما هو ضروري من "الأشياء الطيبة". وتعتنون بتعليمها العلوم واللغات الأجنبية والموسيقى والرياضة... وترسلونها إلى أحسن المدارس وتربّونها على الإسلام في البيت، وتشترون لها زلاجة عند فتح أول قاعة للتزلّج على الجليد في تركيا، وتوفرون لها دروسا خاصة، وتعلمونها سياقة السّيارة منذ بلوغها الـ 12 سنة من عمرها، وتجلسونها أمام المقود كلما كانت الفرصة مناسبة. وتصحبونها معكم إلى المنتديات العلمية والزيارات التعليمية، وتفخرون بها عندما تطرح أسئلة حول المواضيع المختلفة.

ولإدراككم بأنّ حرية الفكر مهمة جداً في تكوين شخصية الأبناء فإنكم تحرصون على تطوير ملكتيْ الاختيار الصائب والدفاع عن العقيدة لديها منذ الصغر بممارسة تلك الحرية داخل البيت. وتقوى آمالكم حول مستقبل مشرق لابنتكم عندما ترون مقالاتها السياسية تنشر في الصحف الأجنبية، وعندما تنشر ترجماتها لبعض المقالات الإنكليزية في مختلف المجلات والصحف رغم صغر سنها. وترون أنها تستفيد من كبار الشخصيات من المفكرين والعلماء مثل "محمد حميد الله" و"طيب أوكيتش" و"آن ماري شيمّال" و"كايا بيلكه كيل". وتصحبونها معكم إلى محاضرات هؤلاء الأعلام منذ الصّغر. ولكن يأتي اليوم الذي يحاول فيه بعض الأشخاص، الذين تشبعوا بالحقد والكراهية والعداوة ضدّ الدين، إطفاء شمعتكم هذه...

وفجأة تكلم أبي فقال: "ما كان عليك الخروج من قاعة اللجنة العامة"... وأكاد أتجمد... كان أبي على حقّ، ولكن لا أستطيع قول شيء بعد الآن... وكانوا يزدادون استغرابا كلما حدّثتهم عن الأحداث التي جرت.

ورغم المحاولات فإني لم أستطع النوم في تلك الليلة. وكانت الساعات شبيهة بكوابيس لا نهاية لها، كوابيس لا تنتهي، وسوف لن تنتهي قريباً. واستيقظت من نومي الخفيف مع فلق صبح اليوم الموالي. وعندما وصلنا إلى المركز العام للحزب كانت الساعة تشير إلى العاشرة وبضع دقائق، وكانت وسائل الإعلام لنا بالمرصاد كالعادة. ورأيت وجوها عبوسة في انتظارنا عند دخول مكتب السيد رجائي مع أختي "روضة" سندي وساعدي. ورأيتُ وجوها جديدة حول طاولة الاجتماع: السيد رجائي كوتان وجميل تشيتشك وعلي جوشكون وإسماعيل ألبتكين وصالح قابوسوز وعبد الله غول ومصطفى قامالاك، كانوا كلهم جالسين.

وكان التعب والإرهاق باديا على وجه السّيد رجائي، وعلمت في الأيام اللاّحقة أنه أجرى مكالمة هاتفية مع السيد أربكان في تلك الليلة واستغرقت وقتا طويلا. وكان وضع السيد رجائي داخل الحزب صعبا جدًّا، إذ أنه شخص ليّن الطبع، متواضع وهو ما جعله فريسةً في أيدي من كانوا يستغلون نواياه الحسنة. ولا بد أن يحذر كل من هو في مقام الأمير أو الرئيس أو القائد لأنه يتحمل مسؤولية كبيرةً. وكان الناس يتناقشون حول ما كتب في الصحافة عندما دخلنا المكتب. وسألتهم عما كُتب؟ هل هو شيء سيّء؟ فقال لي السيد صالح قابوسوز: "من الأفضل أن لا تطلعي على ما كتب، لا شك أنه سوف يوتّر أعصابك؟... واتّضح لي أنّ الأمور أسوأ مما توقّعت.

ونطق السيد رجائي وكأنه مهموم: "لقد استدعاني الرئيس إلى مأدبة العشاء اليوم. من الأحسن أن لا أشارك فيها". وتناول هاتفه وقال للسكرتيره الخاص: "أخبروه بأنني أعتذر عن الحضور لوجود التزامات لديّ". ثم اتصل بعد ثوان قليلة، وقال: "لا، لا تقدموا أي تبرير وقولوا فقط إنه لن يحضر". وكان الانزعاج ظاهراً في وجه هذا السّيد المحترم الذي يحتج على ما فعله دميرال.

كنت من ناحية أستمع إلى كلامهم، ومن ناحية ثانية أحاول استعادة قوتي. وفكرت في الوقت نفسه، في ما يجب عرضه خلال المؤتمر الصحفي وهل ثمة كلمة أعدّوها لألقيها خلال المؤتمر؟ وكتشفتُ مع مرور الوقت عدم وجود أي نصّ مدوّن مسبقاً، وعدم وجود أيّ محاولة جادة في هذا الخصوص. وقاطعتهم - في أسلوب هادئ يخفي انفعالي بالأمس - بالقول: "أيّها السّادة، لقد كتبت بعض الكلمات، لكنّها في حاجة إلى المراجعة والتنقيح. وإذا شئتم أتلوها عليكم لتبدوا آراءكم حولها". واستحسن الجميع اقتراحي، وكأنه مثل المخرج بالنسبة إليهم. وكانوا يشيرون إلى

بعض النقاط المهمّة، وبدوري كنت أسجّل بعض ملاحظاتهم.

ولفت انتباهي طلب السّيد "جميل تشيتشك"، فقد طلب منّي أنني أن أقول في كلمتي: "إننا لم ننس حادث فندق كوناش...". غير أنني رفضت ذلك، وبينت أنّ هذه العبارة لا تنسجم مع شخصيتي. وشعرت بأن بعض الناس يريدون مني أن أصرح بكلام يستعصي عليهم هم أنفسهم الإفصاح به أمام الناس. ومن ذلك إصرار السيد إسماعيل ألبتكين أن أدرج في نص كلمتي: "لقد خرجتُ من البرلمان بإرادتي الشّخصية"، وبذلك يلقي بالمسؤولية على عاتقي أنا. ورددت عليه بالقول: "من أين لك هذه الجرأة يا سيدي، لقد منعني المجلس الرئاسي من أداء اليمين رغما عنّي".

وبقي نص الخطاب على أصله فيما عدا بعض التعديلات الطفيفة. نعم، أشعر أنني مستعدة لإلقاء الكلمة التاريخية في البرلمان. هيا إلى المجلس مباشرة... والتحق بنا السّيد زكي قبل مغادرة مبنى الحزب. ووصلنا إلى البرلمان بعد وقت قصير. وصعدنا أولاً إلى مكتب الرّئيس العام لأخذ قسط من الرّاحة. وانضمّ إلينا السيد "عبد اللّطيف شنَار". وانتبه إلى عدم مجيء أيّ شخص من هؤلاء النواب الذين كانوا معي قبل قليل في مقر الحزب ما عدا السيد عبد الله... والغريب أنني لاحظت كذلك أنّ السّيد عبد الله كان يتوارى من الكاميرات عند النزول إلى قاعة الصحافة. وبلغني فيما بعد أن أختي روضة سألت السيد عبد الله: "ألا تجلس بجانب أختي باعتبارك نائب رئيس الحزب؟"، فأجابها بالإشارة إلى المكان المنزوي عن الكاميرات قائلاً: "أنا سأجلس هناك".

واشتد خوفي عند دخول قاعة الصحافة، وشعرت وكأني فريسة أمام الذئاب الجياع من جحافل الصّحافة الذين تلقوا أمراً من أجويد بالحكم علي بالإعدام دون "محاكمة"، وذلك في وقت لا أزال أشعر فيه بالصّدمة بسبب ما حدث مساء أمس. يجب أن أزن جميع حركاتي وأن لا تفارق


المؤتمر الصحفي بالبرلمان

الابتسامة وجهي، وإن كانت ليست صادرة من الأعماق. وحدثت نفسي قائلة: "لا تنسي يا مروة! فأنت تحملين شرف الحجاب وتمثلين المحجبات أمام أصحاب الاستبداد الفكري الذين لا يستطيعون فهمك خارج إطار الحجاب الذي تضعينه على رأسك". وجلست بهدوء على الكرسي الذي قدمه لي السيد عبد اللطيف، وكنت أعلم أنني لن أجيب عن الأسئلة في الوقت الحالي. وقرأت دعاء سيدنا موسى عليه السلام: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ (سورة طه: 25 - 28).

"حضرات السّادة المحترمون من الصحفيين، أحييكم جميعاً وأعرب عن شكري على حضوركم، وأشكركم كذلك على هذا الاهتمام الذي أبديتموه. لقد شهد المجلس الوطني الكبير يوم أمس حدثا مؤسفا يستدعي التوقف عنده، وهو حدث لا يمكن أبدا أن يقع في أيّ بلد ديمقراطي يحترم قوانينه ومؤسساته. لقد مُنعت نائبة من نواب الشّعب من حق التمثيل داخل المجلس، وتم الاستخفاف بإرادة الشعب داخل مجلسه. لقد تم انتهاك الدّستور أولاً وأحكام النظام الداخلي ثانيا في المجلس الوطني الكبير يوم أمس رغم عدم وجود أي نص قانوني يمنعني من أداء اليمين سواء في الدستور أو في النظام الداخلي للبرلمان، أو في أي منظومة قانونية أخرى. لقد رشحت نفسي لدى اللجنة العليا للانتخابات بهذا الشكل الذي ترونه، ووافقت اللجنة على ترشّحي بزيّي هذا أيضاً. وخرجت أمام الشعب بهذا

الشكل وشاركت في الانتخابات بهذا الشكل. وتفضل الشعب بمنحي حق تمثيله وأعطاني صلاحية دخول البرلمان مثل باقي النواب. وتسلمت "شهادة النيابة" وفق التراتيب الجاري بها العمل، وسجّلت في البرلمان مثل باقي النواب. وتسلمت كذلك الشهادة المصادق عليها التي تثبت أنني نائبة، ودخلت قاعة اللجنة العامة للمشاركة في مراسم اليمين مع زملائي.

السادة ممثلو الصحافة المحترمون، إنّ هذه الوثيقة التي ترونها في يدي الآن قد صدرت عن الرئاسة الإدارية للمحاسبة وشؤون الموظفين لدى الأمانة العامة للمجلس الوطني الكبير، وهي تنص على ما يلي: "إنّ السيدة مروة صفا قواقجي تم انتخابها من مدينة استانبول خلال الانتخابات النيابية العامة بتاريخ 18 نيسان/أبريل 1999، وهي لا تزال نائبة في البرلمان".

لقد دخلتُ يوم أمس قاعة اللجنة العامة لأداء اليمين مثل بقية النواب، وشاهد شعبنا ما جرى من الأحداث. أنا بنت هذا الوطن، وأقف أمامكم اليوم باسم هذا الشعب الذي منحني حق تمثيله في المجلس. لكن أصحاب العقول المستبدة الذين يحاولون تنميط العقول وجعلها نسخا موحدة منعوني من أداء اليمين ومنعوني من تحقيق إرادة الشّعب، وأبوا أن يكون الحكم للشعب وحده. وهذا الحجاب الذي يستر رؤوس النساء والأمهات اللواتي يفتخرن بكون أبنائهن فدوا هذا الوطن بأرواحهم، يقف اليوم حاجزا أمام مروة قواقجي عند دخول البرلمان. ويزعم البعض أنه رمز سياسي. أريد أن أبين بكل وضوح أنّني محجبة بسبب عقيدي وديني، وقد اخترت هذا الحجاب باختياري الشخصي، وهو حق مكفول بالقانون الدولي والدستور التركي. وكل ما أريده هو تحقيق ما تتضمنه المادة الثانية من الدستور، وتنفيذ الحقوق والواجبات التي تنص عليها الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان والديمقراطية والتي وقعت عليها تركيا. وهذا الأمر يعتبر "حكما واجبا" كما نصّت عليه المادة رقم 90

من الدستور. لو أنني تمكنت يوم أمس من قراءة نص اليمين الذي ورد في المادة 81 من الدستور، لتجلى بوضوح مدى معارضة ما حدث هناك مع الحكم الموجود في نص اليمين: "المساواة بين الجميع في الحقوق والحريات الأساسية". والذين وصفوا موقفي الديمقراطي المنسجم مع القانون الدولي والدستور والنظام الداخلي بـــ "العمل التحريضي" في البرلمان بالأمس، لو استطاعوا تقييم الأحداث بموضوعية وبعيداً عن الأحكام المسبقة لاكتشفوا أن هذا الوصف ينطبق على الذين عملوا منعي من أداء اليمين. وبصفتي بنتا لأبوين أكاديميين أخلصا للعلم واتخذاه شعاراً لهما في الحياة، وبصفتي حفيدة ضابط شارك في حرب الاستقلال في كلا الجبهتين أقف هنا لخدمة هذا الشعب بما أحمله من رصيد ثقافي ومعرفي على أحسن وجه. وعلى الشعب أن يعلم جيداً أن الذين كانوا يتغنون بالديمقراطية خلال الحملة الانتخابية بالأمس، وكانوا يتخذون من الحجاب دعاية لهم، قد تخلّوا اليوم عن مروة قواقجي وتركوها وحدها منسحبين بأنفسهم، ولم يواجهوا الظلم الذي رأوه بأعينهم.

لم يتحمل نواب البرلمان رؤية النائبة المحجبة الوحيدة مروة قواقجي رغم أنهم انتخبوا من قبل المحجبات اللواتي صوتن لجميع الأحزاب في بلد 75% من نسائه محجبات. كم هو مؤلم أن أدرس بهذا اللباس هندسة الكومبيوتر بأميركا ثم أُمنع في بلدي من خدمة هذا الشعب في مجلس الشعب. يوم أمس، حدث في المجلس الوطني الكبير مشهد يتنافى تماما مع مساعي بلادي للتقدم نحو الديمقراطية والتحضّر. ثم إنّ هذا الاعتداء وقع كذلك باسم الديمقراطية والتحضّر. وللأسف فالمجلس الوطني الكبير قد تراجع، يوم أمس، خطوات إلى الوراء في طريق الديمقراطية.

ويبدو أنّ هذا الموقف المسالم للمؤمنات المحجبات مثلنا سوف يتحول إلى كفاح مثل الكفاح الذي خاضه الزنوج في أميركا قبل سنين من أجل

الحصول على المساواة في الحقوق والحريات. وباعتباري نائبة في البرلمان أتحمل المسؤولية أمام شعبي فحسب.

أيها السادة المحترمون، اعلموا أنني سأدافع عن حق التمثيل الشريف الذي منحني إياه شعبي بما يتناسب مع طبيعة امرأة شريفة، سوف أواصل طريقي بهذا الشكل الذي أنا عليه إلى النهاية، مع مراعاة مساحة الديمقراطية وبما ينسجم مع القوانين. لكنني قررت عدم حضور الجلسات القادمة في البرلمان رغم دعوتي إلى أداء اليمين ليلة أمس، وذلك خشية حدوث مزيد من التوتر وخشية استغلال المستغلين لهذه الفرصة ذريعة لتحقيق أهدافهم. وأتوجه بالشّكر إلى شعبي العزيز الذي ساندني منذ إعلان ترشحي عبر الاتصالات الهاتفية والفاكسات. وسأحاول أن أكون وفية له. وألتمس من شعبي العزيز التمسك بالحكمة وعدم منح فرصة لهؤلاء المحرضين العملاء الذين يحاولون أن يشعلوا الفتنة بيننا. أحييكم ولكم فائق الاحترام وجزيل الشكر".

وبعد أن ألقيت كلمتي غادرت القاعة مع من حضر من النّواب دون أن أجيب على أسئلة الصحفيين. وأصبحت أشعر بخفة وراحة لأنني تمكنت من التعبير عما كان يختلج في صدري من جهة، ولأنني لم أضعف أمام العقلية المستبدة والشمولية من جهة أخرى. وكنت أشعر أنني تخلصت من عبء كان يثقل كاهلي، نعم لقد أصبحت خطواتي أكثر ثباتا وأكثر هدوءا. وسوف تتحول هذه الكلمات وذلك الحدث الذي كان البرلمان مسرحا له أول أمس إلى جزء لا يمحى من ذاكرة التاريخ.

وودعاني السيد عبد اللطيف مع أختي روضة إلى الغداء، وتوجهنا نحو مطعم البرلمان. واقتربت مني امرأة لطيفة تعمل في البرلمان وقالت لي منفعلةً: "أهنئك يا سيدة مروة، إنك نائبتنا" وصافحتها شاكرة.

ووعلى إثر ذلك التقيت بعدد من النساء في أماكن مختلفة، فهنأنني

وعبّرن لي عن مساندهن. وكانت بعضهن محجبات وبعضهن غير محجبات، ولكن القاسم المشترك بينهن أهن يحملن أفكار نظيفة، وعقولهن منفتحة، بحيث لا يحكمن على المرء من خلال مظهره الخارجي... ونسأل الله أن يحفظنا من هؤلاء النّاس أصحاب الفكر الشمولي المنغلق.

دخلنا مكتب أحد نواب الرئيس بعد أن صعدنا إلى الأعلى. وكان السيد "مصطفى باش" والسيد "عبد الله غول" والسيد "مَحمد علي شاهين" جالسين في المكتب إلى جانب شخص رأيته من قبل ولكن لا أذكر بالضبط أين رأيته. وهذا السيد وعبد الله غول كانا يجلسان بجانب الطاولة، وتقدمت مع أختي وجلسنا. وبدأنا نتحدث عما يتعين عمله بعد الآن، فتقدم السيد مصطفى باش باقتراح غريب، وقال: "نُرسل السيدة مروة إلى استانبول لتؤدي يمينها أمام النّاس في استانبول". لكن البعض رفض هذه الفكرة وعلق بالقول: "لا، هذا لا يمكن أبداً...".

ثم تقدم السيد محمد علي شاهين ببعض مقترحات ذات صبغة شرعية. وكان اجتماعنا في المكتب لا يحمل أي صفة رسمية، كما كان الجميع يبدون آراء مختلفة. ولا أدري إن كان كلامهم ينبعث من قلوبهم أو هو مجرد كلام للاستهلاك. وفي الواقع كان يمكن القيام بأشياء مهمة في هذه المرحلة: من ذلك مثلاً، كما جاء على لسان بعض أصحاب الرأي، الرّجوع إلى الشعب واستشارته. وإذا كان بالإمكان منع نائبة من أداء واجبها بطريقة غير شرعية فإن بإمكان نواب هذا الحزب الآخرين أن يفوضوا الشعب الذي انتخبهم ليحكموا في الأمر. لكن وضع الحزب آنذاك لم يكن قوياً، وبالتالي لم يسعه الوقوف إلى جنبي.

وبينما كنت أحاول استرجاع ذاكرتي لمعرفة السيد الذي يجلس مع السيد عبد الله، قال لي السيد عبد الله: "سيدة مروة، هذا السيد أورخان من قناة "ستار" التلفزيونية،". فقلت في نفسي: "نعم... طبعاً، إن برنامج السيد

أورخان موضوعيّ جدّاً". وسلمت عليه، وخاطبته قائلة: "تشرّفت بمعرفتك". وعلق السيد عبد الله: "كنت أتحدث مع السيد أورخان حول مشاركتك في برنامجه هذه الليلة". وخاطبت نفسي: "هكذا إذن، إنه شيء جميل أن أرى من يسعى للوقوف إلى جانبي". بيد أنّ موعد البرنامج اليوم كان يزعجني نوعا ما، لأنني كنت متعبة جداً إلى درجة الشعور بإرهاق شديد، والقلق يساورني حول مدى استعدادي للمشاركة في هذا البرنامج في الوقت الحالي.

وطلب السّيد عبد الله من مخرج البرنامج أن أشارك في نشرة الأخبار الرئيسية في "قناة 7" التلفزيونية على الساعة التاسعة مساءا قبل برنامجه في قناة "ستار" والذي يبدأ على الساعة العاشرة. لكن السيد أورخان رفض ذلك، ثم أُلغي هذا البرنامج.

وكانت أختي روضة تجيب عن المكالمات الهاتفية التي تأتي بين الفينة والأخرى، وبلغنا خبر قدوم قريبي السيد "أحمد" وصديق العائلة الحميم السيد "محمد أكساي" من استانبول. وقد سرّني هذا الخبر، وهما سوف ينضمان إلينا بعد قليل. وقال الحاضرون: "إن المكتب أصبح مزدحماً، ولننتقل إلى قاعة الاجتماعات". لكن الانتقال من مكتب إلى آخر داخل البرلمان كان بمثابة حرب بالنسبة إلينا، فبمجرد فتح الباب يهجم علينا الصحفيون بالكاميرات التي تسلط علينا أضواء ساطعة. وهم في حالة تأهّب مستمرة. كنا نعاني كثيراً حتى نقطع مسافة خطوات قليلة ونصل إلى المكتب المجاور. ورأيت أنه من الضروري بالنسبة إليّ أن أتعود على الأحكام المسبقة والنظرة غير التلقائية في التعامل معي.

انتقلنا إلى المكتب المجاور في شكل مجموعات صغيرة. والتحق بنا السيد عبد الله والسيد صالح قابوسوز بعد وقت قصير. وفي هذا المكتب الكبير الذي يطل على الحديقة الأمامية للبرلمان توجد طاولة اجتماع

مستديرة. وعندما جلست وضعت رأسي على يدي، واستندت إلى الطاولة وأنا أفكر في ما إذا بالإمكان أن آخذ قسطاً من الراحة ولو لبضع ثوان. وكانت السيد عبد الله في حوار مع السيد صالح حول الاتفاق مع قناة تلفزيونية أخرى بدلاً من برنامج قناة ستار الذي تم إلغاء المشاركة فيه. وأخبرتهما بأنني على غاية من الإرهاق إلا أنهما لم يعبآ بذلك لأنه من الضروري توضيح هذا الموضوع للناس. فتركيا كلها اهتزت بسبب موضوع لباسي، وهما يعتقدان أنه من اللازم عرض الأسباب التي قادتنا إلى اتخاذ هذا الموقف وتوضيحه على الملإ أمام الشعب. ثم قالا لي: "يمكنك أن تعودي إلى البيت لتستريحي قبل بدء البرنامج".

فكرة جيدّة ولكن الوقت لا يسمح بذلك. وهنا يطرح السؤال نفسه: في أي قناة سيكون هذا البرنامج؟ وكانت القنوات التلفزيونية التي تنتظرنا في الخارج في تنافس من أجل نيل "موافقتنا"، أما أنا فلا أستطيع متابعة هذه التطورات نظرا لكوني في صراع مع نفسي. وكان أبي وأمّي وجميع أقاربي أمام شاشة التلفزيون.

كان السيد عبد الله يفضل "قناة atv"، ورأى أنه من المناسب أن يكون اللقاء في نشرة الأخبار المسائية التي يقدمها الصحفي "علي كيرجا". وحاولنا الاستفادة من العلاقة الطيبة التي تربط السيد عبد الله بقناة atv، وكنا نفكر في طبيعة الأسئلة التي سوف يسألها: "سيسأل كذا وكذا، وسوف لن يدخل في مواضيع كذا وكذا، هل أنتم موافقون؟ وسألني السيد عبد الله سؤالا غريبا: "هل ثمة موضوع لا تريدين إثارته؟، فلكل إنسان ما لا يريد أن يطلع عليه الآخرون". فأجبته بالنّفي. ثم تذكرت سؤال الصحفيين عند كل دخول وخروج، وهو: "يُقال إن لك جنسية أميركية، فماذا تقولين في ذلك؟" وقلت للسيد عبد الله وللسيد صالح: "في الحقيقة، لا أريد إثارة هذا الموضوع". وأجبت السيد صالح على سؤاله حول ما إذا

كان هذا الأمر يشكل مانعا لتولي منصب النيابة في البرلمان، فقلت له: "لا، إنّ الحصول على جنسية مزدوجة حق طبيعي لكل مواطن تركي بما في ذلك النواب في البرلمان". وعلق السيد صالح على ذلك بتعليق غريب فقال: "قولي ذلك في برنامج السيد كيرجا هذا المساء إن شئت، ولا شك أن خبر جنسيتك المزدوجة سيفرح الشعب التركي". فقلت له: "لا أرى ضرورة لذلك، ولكن إذا طُرح هذا السؤال فسوف لن أخفي هذا الأمر".

كان ثمة موضوع آخر يشغل بالي: ماذا عن قناة 7؟ وإذا كنت سأخرج أمام الشعب في قناة 7 فما الحاجة إلى قناة atv؟ فأنا أعتقد أنه يكفي تقديم رسالتي إلى الشعب التركي عبر قناة 7 التي لا أشك في نزاهتها. ثم تساءلت بيني وبين نفسي: "لماذا لا أكتفي بالحديث في قناة 7 فحسب؟... وحرّك السيد عبد الله رأسه في إشارة إلى عدم موافقتي على هذا الرأي، وقال، وهو على حقّ: "الحديث في قناة أخرى له فائدة كبيرة، فينبغي توجيه الخطاب إلى أوسع شريحة من الشّعب. وقناة 7 لا تشاهدها سوى فئة معيّنة". ثم خطر لي اقتراح آخر، فقلت له: "إذن، أشارك اليوم في قناة 7 ما دمنا وعدنا أصحابها، وأشارك غدا في قناة أخرى". غير أنه لم ير ذلك مناسبا.

وهناك مشكلة أخرى أيضاً، فنشرة الأخبار في قناة 7 تكون على الساعة العاشرة مساءاً، في حين أن النشرة في قناة atv على الساعة السابعة مساءا. ويبدو أنني سأحضر قناة atv أولاً... ثم إنّنا لم نعلم السيد "أحمد خاقان" الذي سيأتي بالطائرة من استانبول إلى أنقرة خصيصا لإجراء هذا اللقاء معي. وقلت للسيد عبد الله: "أنا لا أستطيع أن أقبل ذلك". بيد أنهما لم يقبلا لأنه لم يكن لديهما حل آخر.

كان يجب أن نؤدي صلاة الظهر، وفرشنا على الأرض بعض الأوراق، بعد أن تأكدت أنا وأختي من جهة القبلة، وصلينا على تلك

الأوراق. وبعد الصلاة نظرنا من نافذة المكتب الذي توجد فيه أختي روضة وقريبي أحمد. كانت حديقة البرلمان تمتد أمامنا، منظر جميل ولكنه حــزين. كان الجو يبدو هادئا من هذه النافذة. واستنشقتُ الهواء بكل عمق ثم قلت: "اللهم كن معي".

ومع دخول السيد عبد الله إلى المكتب مصحوبا بمراســل قنــاة atv انقطعت أفكاري وخيالاتي. وكان السيد المراسل سعيداً مثل الطفل الصغير الذي فاز بجائزة في إحدى العروض المدرسية. وأبلغه السّيد السيد عبــد الله بعض التعليمات راجيا إياه الالتزام بها، وهو يبدي موافقته، بهذه العبــارة: "حاضر يا سيدي". وتساءلت بيني وبين نفسي: "ترى، هل سيلتزم السّــيد علي كيرجا بهذه الملاحظات؟".

كان الوقت يقترب من المساء، واتجهنا نحو "مركز كاروم للأعمــال" حيث كان يوجد مقر قناة atv. وتعقبنا رجال وسائل الإعلام كالعــادة... وعند الوصول إلى "كاروم" حدث ازدحام في حركــة المــرور، إذ كــان الصحفيون يحاولون دخول مأوى السيارات المغلق لالتقاط صور لنا، وكان حالنا "كوميديا" مضحكاً. وعند الوصول أمام باب المصــعد الآلي وســط أنظار الناس المُحملقة، حدث شيء من الهرج المفتعل من عدد قليــل مــن المجتمعين المتهورين، وأطلقوا بعض العبارات الاستفزازية. "اللهم إني أسألك الصبر والقوة".

وبعد أن صعدنا إلى الأعلى استقبلنا، لدى الباب المدير العــام لقنــاة atv. وبعد قضاء مدة قصيرة في مكتبه، وشربنا الشاي وأخذت شيئاً مــن الراحة ذهبت إلى دورة المياه لأغســل وجهــي، والكــاميرا لا تفــارقني. وحاولت أن أخفي علامات الغضب من على وجهي، وقلت في نفســي: "صبرك يا ربّ"!. نعم، إن المؤمن يجب أن يصبر، وصدره رحــبٌ ملــيء بالخير، والفوز له إن شاء الله. وانتقلت بعد ذلك إلى أستوديو البث المباشر.

وجدت السيد "علي كيرجا" خلف طاولته التي يقدم منها نشرة الأخبار وهو يشير إلى مقعد بالقرب منه لأجلس عليه، دون أن يتحرك من مكانه، ودون أن يسلّم عليّ. وكان الجوّ خانقا جداً، والأضواء مزعجة للغاية. ورغم مشاركتي في برامج تلفزيونية في العديد من المرات، إلا أنني في هذه المرة كنت أشعر بانفعال زائد، وأحسست في عيني الرّجل كراهية تجاهي، وفوضت أمره إلى الله.

بدأ كيرجا حديثه بالقول: "نعم، أيها المشاهدون.." ومدّ يده نحوي، وقال: "مرحبا بك"، ثم أضاف: "عجباً، لقد صافحتني وكنت أعتقد أنك لن تصافحيني". فرددتُ: "النساء هن اللاتي يمددن أيديهن أوّلاً وفق آداب المصافحة الجاري بها العمل في الغرب. لكنك خالفتَ ذلك". وكنت أتوقع من كيرجا صدور تصرف غير مناسب، مثلما فعل عند مصافحتي وهو جالس وأنا بجانبه. وقلت في نفسي: "حسابات صغيرة لعقول صغيرة ولأناس صغار".

حاول كيرجا في ذلك المساء إيقاعي في موضوع حرج بطرح أسئلة كثيرة: مِن الاجتماعات التي شاركت فيها بصفتي رئيسة العلاقات الخارجية في الحزب، إلى نوع اللباس والماركات التي أختارها. وأنا بدوري أجيب على أسئلته بكل دقة، وكنت متحسبة لما يمكن أن يأتي من أسئلة.

أمر مؤسف فعلاً من هذه العقلية "المتعالية" التي تعتبر التدين وتطبيق مبادئ الإسلام سبباً لـ "التخلف"، لماذا لا يُعتزّ بهذه السياسية المتدينة التي خاطبت مجموعات كبيرة تصل أحياناً إلى 40 ألف شخص، وزودهم بمعلومات عن قيمة عن وظيفتها لإعطاء صورة جيدة عن تركيا في الخارج.

حظي هذا اللقاء باهتمام ملايين المشاهدين، وحققت فيه نجاحا واضحاً، بينما وقع كيرجا في هزيمة لم تكن في الحسبان. وكان تكتيكه معروفا حيث يحاول حصر الآخر في زوايا ضيقة حتى يجعله لا يستطيع

الدفاع عن نفسه. لكن بعون الله ودعاء المحبين لم يجر الحوار على هوى كيرجا. وقد غاضه ذلك الأمر الشيء الذي دفعه أحياناً إلى الانفعال وتقليب الأوراق في غضب، بل أخذ في بعض الأحيان الأخرى يتمتم ونسي بعض أسئلته حتى كاد يستسلم. وعند اكتمال البث المباشر اتخذ كيرجا نفس الموقف الوقح، وعند المغادرة بخل عليّ حتى بكلمة "مع السلامة".

أخبرتني أختي روضة أن السّيد عبد الله والسيد صالح قابوسوز كانا يتابعان البرنامج في انفعال وكأنهما يشاهدان مباراة في الملاكمة. كانا يحصيان النتيجة حسب الجواب الذي يلقاه السيد كيرجا إيجابا أو سلبا: "1 - 0، 2 - 0 الفوز لنا". كما فكرا في إجراء مقابلات تلفزيونية أخرى لما رأياه من نجاح في هذه المناسبة. وبعد انتهاء البرنامج تلقت عائلتي في البيت اتصالات ثمانٍ عبر الهاتف من قبل العديد من الأصدقاء.

غادرنا مقر قناة atv متوجهين نحو قناة 7 للمشاركة في برنامج آخر هناك. ورافقتنا مراسلة شابة من قناة atv عند النزول في المصعد الآلي. وخاطبتني قائلة: "سيدة مروة، يقال إنك لا ترسلين بنتيك إلى المدرسة!"، فقلت في نفسي: "ما أسخف هذه الملاحظة! ومن أين يأتون بمثل هذه السخافات؟". ورددت عليها في نبرة استغراب: "لا أساس لذلك، إنما أردت إبقاء بنتيّ في البيت لبعض الأيام في الظروف الحالية".

عندما وصلنا إلى مقر قناة 7 لم ننتقل رأساً إلى البثّ المباشر. وتلقيت اتصالا هاتفيا من المسؤول عن الأخبار الخارجية السيد "سفر توران" وقال لي: "سيدة مروة، لقد سُئلت في لقائك مع قناة atv حول حضورك في اجتماع عقد في أميركا حضر فيه نائب برلماني اشتهر بمساندته التامة للفلسطينيين ويدعى إسحاق فرحان". فقلت: "هذا صحيح". وأردف قائلاً: "لقد اتصلت بالسّيد إسحاق قبل قليل، وأخبرني بأنه زار تركيا سنة

1991 مع مجموعة من نواب البرلمان الأردنيين وأجروا لقاءا خاصا مع دميرال وأجويد". وشكرته على هذه المعلومة التي ستفيدني فيما بعد، فسوف أوضح هذا الموضوع خلال مشاركتي في نشرة الأخبار الرئيسية لقناة 7، وأشير إلى أن النائب المذكور قد اجتمع مع دميرال وأجويد. وبذلك نقطع دابر "الاتهامات" التي أثارها السيد كيرجا خلال البحث عن الثّغرات.

بمجرد الانتقال إلى مكتب السيد "زاهد أكمان" رميت بنفسي على المقاعد السوداء. وكان اليوم طويلا بالنسبة إلي وإلى الجميع. وعندما انظم إلينا السيد أحمد خاقان كانت علامات الحزن بادية على وجهه. وكان قد غضب منا بسبب "المفاجأة" التي قمنا بها. عبرت له عن تأسفي على ما حدث مبينة أنّ ذلك مخالف لمبادئي، لكن الأمور تجري على مسؤولية زملائي. وكان بعض أقارب السيد أحمد قد تعرض لحادث مرور مما كان سبباً إضافيا في حزنه.

ألقيت نظرة على الصّحف عندما ذهبت إلى البيت في وقت متأخر من الليل، وفوجئت بما رأيت: "يا إلهي ما الذي كتبوه! ما أسهل بالنسبة إليهم الكذب والتزييف؟ ما أقبح تلك العبارات والكاريكاتورات! وهؤلاء الذين كتبوا هذه الأشياء ألا يخافون الله، أليست لهم ضمائر؟". نعم لقد تحولت حملات الصّحافة لتصبح معادية بعد عقد المؤتمر الصحفي في ذلك اليوم. لقد شرعت في إيذائي وإيذاء عائلتي عبر تزييف الحقائق. وكان سبب ذلك واضحاً، فقد ظنت هذه الصحافة: "أنّ قواقجي أصبحت تخاف كثيراً بعد أن طردت من البرلمان، وبعد تعرضت للاتهام من قبل دميرال، وبعبارة أخرى: بعد أن أخذت درسها أصبحت هذه المرأة المسلمة الشابة خائفة خوفا ألجأها إلى الندم". والحقيقة أنني مؤمنة بأنني لم أرتكب أيّ خطإ حتى يحدث ما حدث، وأنني دخلت البرلمان بجهودي التي بذلتها وبمساندة من

الشعب وبموافقة الدولة، وأهم من ذلك أنني دخلت البرلمان بإذن من الله تعالى.

كان علي كيرجا قد سألني خلال تلك الليلة: "لماذا تتسببين في توتير الأوضاع في تركيا؟"، وكان يجب أن يكون معلوما لدى الجميع أنني أعمل قط على "توتير الأوضاع" مثلما يقولون. وكان من المفروض أن يوجه هذا السؤال إلى السيد أجويد: نعم، يا سيد أجويد لماذا توتر الأوضاع في تركيا؟ ولماذا تحدث هذا الاضطراب في البلاد بشنّك الحرب على نائبة في المجلس انتخبها الشعب؟ هل السبب كونها امرأة؟ أم لأنها تحترم القوانين والدستور؟ ألم يكن هذا الشعب قد انتخب هذه السيدة بعد أن تعرف عليها بلباسها الذي دخلت به البرلمان؟ وكان من الواجب أن توجه إلى أجويد أسئلة عن الأسباب التي دعته لإثارة تلك العاصفة.

ينبغي أن لا ننسى أن مروة قواقجي تمثل طموحات تركيا، وأعتقد أنها طموحات نبيلة! على عكس ما يقدمها أصحاب الاستنساخ الفكري. وكانت العبارات التي جرت على لساني في المؤتمر الصحفي قد أظهرت مدى ثباتي في الطريق الذي أسير فيه. ولهذا السبب كانت القوى الخفية في تركيا تحرض الجهات المعنية في الأيام الموالية بتشديد الضغوط والاعتداءات عليّ عبر الصحافة.

إذا ألقينا نظرة على ما تناولته الصّحافة التركية في تلك الأيام نجد: أنّ الصحافة "المحافظة" تنشر أخبارا "موضوعية" تحت عناوين: "أنت تاج رأسنا" و"بطلة حقوق الإنسان" وما شابه ذلك. بينما الصحافة المنحازة تشدّد مناهضتها لمروة بمئات الافتراءات والأكاذيب وتنشرها في صفحاتها الرئيسية. ولم تكن حملة التشويه تستهدفني أنا فحسب بل شملت أفراد عائلتي أيضاً. وكلما نفدت أكاذيبهم ابتكروا أكاذيب جديدة.

كانت الصحافة تنشر أخبارا لا أساس لها من الصحة، حتى إنها كانت تعارض في صفحاتها الداخلية ما ورد في صفحاتها الرئيسية. وتفتري عليّ الكذب وتحاول تشويه الحقائق في الصفحة الأولى ثم تفعل ذلك لأفراد عائلتي، وعلى رأسهم والداي، في الصفحتين الثانية والثالثة. وهل هناك أكثر وقاحة من أن يكتب عن أمي بأنها إرهابية وعن والدي بأنه من "منظمة حزب العمال الكردستاني" (PKK)، وكتبت عني بأنني وفرت لخالي الذي كان يعمل في ليبيا مقاولاً فرص عمل في تركيا، وذلك قبل سنة من ولادتي أي عام 1968! وغيرها من الأخبار العجيبة. وإلى جانب ذلك، نجد كتّابا صحفيين يكتبون في وسائل الإعلام المنحازة ولكنهم لا يترددون كذلك في الوقوف إلى جانب الشعب بانتقاد المظالم المرتكبة ضدّي.

وإلى جانب الصحافة والإعلام، كان يوجد أيضاً أساتذة من "مصاصي الدماء" يقفون ضدّ المحجبات في المجالات الأكاديمية، مثل السيد عميد كلية الطب بجامعة أنقرة الذي أنكر وجود محجبات اضطررا إلى الانفصال عن الجامعة بسبب منع الحجاب. ويوجد كذلك رجال العلم "الحقيقيون" الذين يقفون في وجه الظلم. ومن بينهم: البروفيسور الدكتور مصطفى أردوغان والبروفيسور الدكتور باقر تشاغلار.

يوم الثلاثاء، 4 أبريل/نيسان

في تلك الليلة التي تربط يوم الاثنين بالثلاثاء فزعنا من النّوم في حدود الساعة الثانية والنصف أو الثالثة مع رنين متواصل لجرس الباب... وأسرعت أمي نحو الباب قائلة "خيرا إن شاء الله، ما الذي يحدث!؟" ثم نادت عبر مكبر الصوت:

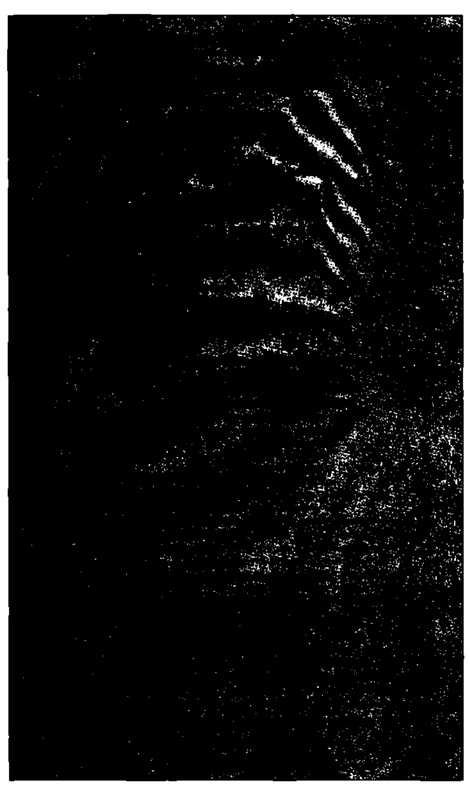
تفضل... من بالباب؟

أنا المراسل الفلاني من صحيفة "حريّت"، هل بإمكاني الحديث مع السيدة مروة؟

يا بني، أتريد لقاءها في هذه الساعة، أليس عيبا ما تفعله؟ إن في البيت امرأة عجوزا وطفلتين صغيرتين، عيب عليك!

يبدو أنّ هؤلاء الصحفيين الذين يقبعون داخل سيارتهم أمام بيتنا قد تلقوا تعليمات من بعض الجهات بأن تكون وظيفتهم هي "إزعاج مروة قواقجي وعائلتها من جميع النواحي لإتعاهم وإجبار مروة على التراجع عن هذا النضال الذي تخوضه".

وبعد مدة قصيرة يتكرر رنين الجرس بكل وقاحة، وكأنه لم يسمع شيئاً مما قالته أمي! ويتكرر ذلك دون انقطاع... ورأينا أن الحلّ عزل خيوط الجرس عن بعضها لوقت ما. وعلى إثر ذلك أخبرت أختي روضة السيد عثمان – وقد غادر بيتنا قبل وقت قصير ليستريح قليلاً – بما حدث، فجاء السيد عثمان وبقي يحرس داخل السيارة إلى الصباح حتى لا تتكرر تلك الوقاحات.


صحيفة "العقد"، يوليو/تموز 1999

بعد صلاة الصبح أخذني النوم لمدة من الوقت، وعند القيام من النوم شعرت لأول مرة بالراحة منذ ذلك الاعتداء المُرعب. ويبدو أن قضاء برنامجين تلفزيونيين بنجاح يوم أمس كان عاملا مهما في نزول هذه السّكينة عليّ. وكانت الاتصالات الهاتفية للتهاني لا تنقطع، إذ يتصل بنا الناس من كل مكان... وليس من داخل تركيا فحسب بل من مختلف بلدان العالم، من إنكلترا إلى جنوب أفريقيا، ومن أناس نعرفهم ومن آخرين لا نعرفهم... وجل الاتصالات الهاتفية من أوروبا كانت من قبل الجالية التركية. وبعضهم كان يقول: "إذا أردتِ المساعدة فإننا مستعدون لذلك، نحن مستعدون لنأتيك بالطائرة على الفور!". كما أنّ الاتصالات الهاتفية والفاكسات الموجهة إلى مقر الحزب لا تعد ولا تحصى. و99 % من الفاكسات كانت للتهاني، والقسم الآخر للإعراب عن الأسى: "ليت أيدينا غُلت حتى لم نصوّت لحزب الحركة القومية MHP"، وأخرى للثناء والمدح: "لقد كنت فخرا لنا وعزّا"، و"نشد على يديك أيتها المجاهدة". وكانت الصحافة المحافظة تنشر يومياً برقيات التهاني المرسلة إليّ في صفحة كاملة. كما استمر هذا الاهتمام ما يزيد على شهرين كاملين بالكثافة نفسها.

وكان الدعم الخارجي يعكس ردود فعل الشرائح الاجتماعية المختلفة، وذلك بالاستنكار والتنديد إزاء الحملات الشرسة التي تشن ضدّي. وكانت ردود الفعل تصدر من مختلف أنحاء العالم وعلى رأسها بلدان العالم الإسلامي، حيث تقوم النساء في الأردن وإيران بمسيرات احتجاج. وقد قدم نواب البرلمان الكويتي مقترحا إلى برلمانهم بقطع العلاقات التجارية مع تركيا، واعتبرني رجل أعمال قطري نموذجاً لابنتها، ويعتبر أن قيمة الحجاب الذي دخلت به البرلمان التركي تساوي خمسمائة ألف دولار. وقد تأثرت كثيراً بالرسالة التي وصلتني من باكستان، وتم نشرها بعد ذلك في صحيفة باكستانية. وتضمنت هذه الرسالة انطباعات إحدى النساء التي تعيش في مدينة حدودية بين باكستان وأفغانستان، وأنا لم أرها ولا أعرفها.

وقد أخبرنا أحد الذين نعرفهم عقب عودته من القدس بأنّ الناس دعوا لنا إثر خطبة صلاة الجمعة التي أقيمت في ذلك المكان المبارك بعد مرور أيام قليلة على ما حدث في المجلس الوطني التركي. كما أخبرتنا السيدة أمينة أردوغان بخبر مماثل في الأيام اللاحقة، فعندما زارت المسجد الأقصى التقت مع امرأة عجوز سألتها عن بلدها. ولما قالت لها: "أنا تركية، أتيت من تركيا" سألتها أيضا: "هناك امرأة تدعى مروة قواقجي. هل تعرفينها؟". ولما أجابت بـ "نعم" قالت لها: "قولي لها إنني أدعو لها".

وكانت الوفود التي تضم رؤساء "المجلس الأميركي للعلاقات الإسلامية" (CAIR) و"التجمع الإسلامي لأميركا الشمالية" (ISNA) و"المجلس الأميركي للعلاقات مع الشعوب الإسلامية" (MPAC) و"مجلس النساء المسلمات في أميركا الشمالية" (NACMW) و"اللجنة الأميركية للتمييز العربي" (ADC) قد اجتمعت مع الرئيس الأميركي "كلينتون" ووزيرة الخارجية "أولبرايت". كما كانت منظمة "الإخوان

المتحدون من أجل مروة "Sisters United for Merve" (SUM) التي تترأسها امرأة أميركية شابة هي "منال أومار" تقوم بمظاهرات احتجاج أمام سفارة تركيا بواشنطن وأمام البيت الأبيض على مدى أيام طويلة. وأعلنت الجمعيات الطلابية في جامعتين أميركيتين بقيادة "جمعية الطلبة المسلمين" "Muslim Student Association" عن "أسبوع التضامن من أجل الحجاب"، كما تم توزيع الحجاب في الأحياء الجامعية.

تابع الناس أخبار مروة قواقجي صبيحة يوم الثلاثاء في الصحف والقنوات التلفزيونية. إنه حقيقة أمر لا يُعقل!!! وكأن مشاكل البلاد قد حلت كلها ولم يبق أمام الناس سوى مشكلة هذه المرأة الشابة المحجبة المتدينة. ففي أيّ عصر نحن، وأية حضارة هذه؟ لا يمكن للعقل أن يستوعب ذلك. فلا أحد يتحدث عن موضوع تشكيل الحكومة، ولا أحد يشير إلى الوضع الاقتصادي البائس للبلاد. كل ما في الأمر مروة قواقجي و"حجابها" الذي يهز البلاد. وكأن الوطن وقع تحت احتلال العدو، والعدو هو ذاك الحجاب الذي تحمله السيدة زبيدة والسيدة لطيفة والسيدة نينه خاتون والجدة فاطمة، وهو ذلك الحجاب الذي دافع عنه الإمام "سوبجو" من قبل. لقد تحول أحفاد الدولة العثمانية الشامخة إلى حالة بحيث لا يعترفون بالدين ولا بالإيمان ولا بالحجاب. كنت أشعر بالأسى لهذا الوطن كلما شاهدت الأخبار المكررة عنّي صباحا وظهرا مساء وليلاً، ثم يخلّف الشعور بالصّدمة مكانه للتّعجب والاستغراب.

ويبدو أن بعض جيراننا "الصغار" كانوا يتعاونون مع الصحافة، حيث يدلي البعض بتصاريح لا أساساً لها من الصحة، ويؤوي البعض أناسا من الصحافة في بيوقم لاستراق السّمع. ولما أتى السيد عثمان ليأخذنا لاحظ "فضول" الصحفيين، فقال: "هذه الليلة أيضاً سوف أبقى داخل السيارة".

The Truth Behind Hijab- Uncovered

By: Hiba Abdul-Rahim

Freedom is a right belonging to everybody
I can't take it from you and you can't take it from me
Yet today there exists and ideology
That preaches injustice and depravity
It strips some of liberties that are theirs naturally
And forces upon them immorality
This scarf that I wear, symbolizing modesty
Adorns me with beauty and humility
With a splendor that shines so radiantly
With an eminent confidence- with security
It protects me from judgement and mockery
And grants me a feeling of autonomy
A feeling of worth and dignity
A feeling of what it means to be free
There are places today where I can live contently
And express who I am, and dress freely
There are places where I am accepted- accepted for me
There is exist in the world simultaneously
Some regimes that claim democracy
Yet are cruel, and very unfortunately
Strip a female of her right to decree
Her faith- and force her to seek sanctuary
From regimes that wrongfully
Deprive a lady of her liberty
Horrid stories you hear, and wonder, "How can this be?"
The truth, however, is that unfortunately,
Lies and deception are abundantly
Spreading- yet very tyranically
They hide the truth, and think we can't see
The situation of a person, who could have been me
And so my hijab, I stand confidently
I stand strong and vow to work diligently
To ensure justice and freedom... and liberty
For myself, for my sisters, and for humanity

شعر "هبة عبد الرحيم"، طالبة من جامعة Florida State،
في أبريل/نيسان 2002 بفلوريدا

كنا نتجه إلى البرلمان في ذلك الصباح تتبعنا قوافل الصحفيين. وكان السيد رجائي والسيد صالح في مكتب الرئيس العام فكثر عدد زوار المكتب بعد وصولنا إليه. وكنت أريد التحدث مع السيد رجائي لتحديد الإستراتيجية الضرورية بعد هذه المرحلة. لكنه بدا غير مستعد للخوض في هذا الموضوع في ذلك الوقت. كما رد السيد صالح على سؤالي حول كيفية حل هذه المشكلة عابسا وقال: "سوف ننظر في هذا الأمر. لدينا الآن أعمال مهمة، وسوف يُنظر فيها". وتنهدتُ، وأنا أتأمل في بعد الشّقة بين ما أفكر فيه وما يفكّرون.

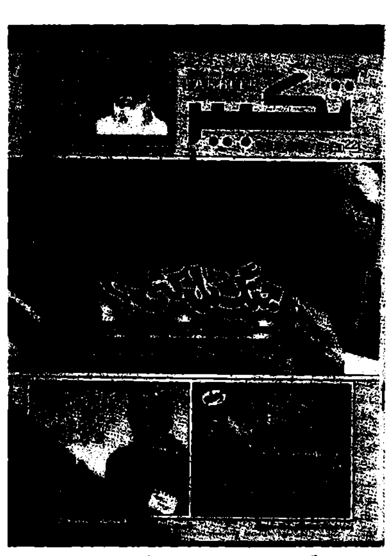
وعندما تحدثت إلى السيد صالح قابوسوز عن سلوك وسائل الإعلام التي تنتهج سياسة التنفير ضدي وضدّ العائلة، ووضعتنا تحت الرقابة الدائمة، وأصبحت إزعاجاها لا تنقطع صباح مساء، وكثرت اعتداءاها عبر الاتصالات الهاتفية، علق في برودة دم قائلاً: "أين المشكلة، اعزلي الخيط عن الهاتف... وقد فعلت أنا أيضاً ذلك ذات مرة، فعلته عندما أزعجوني لبعض الأيام". وتساءلت بيني وبين نفسي: "بالله عليكم، هل ثمة من الرجال من تعرّض لمثل هذا القدر من الاعتداءات والاتهامات من قبل؟". إنّ هذا الأمر لم يسبق له مثيل... لأنّ الحجاب، أي رمز الإيمان لأول مرة يظهر على الواجهة على هذا النحو. وبمشيئة الله تعالى سوف يعلو ويصبح شامخاً...



مجلة "Foreign Policy" إصدار صيف 1999 في واشنطن دي. سي.

كان السيد صالح يستطيع أن يقول بأكثر وضوح: "أين المشكلة، لتنتظر دورها مثل بقية الناس". وعندما اشتدت اعتداءات الصحافة ضدّي وضدّ عائلتي في الأيام اللاحقة، اضطرني ذلك إلى طلب الانتقال إلى إقامة نواب البرلمان في أسرع وقت لوجود "وضع خاص" يهدد أمني وأمن عائلتي. ولا أزال أتساءل: لو كانت أخته أو ابنته أو إحدى قريباته في مثل الوضع الذي أنا فيه هل كان سيقول لها بأن تنتظر دورها بتلك اللامبالاة؟

وانضم إلينا في البرلمان في ذلك الصباح السيد أحمد (أحد أقاربي) والسيد محمد أكساي. وكنت قد اتخذت قرارا بعدم إجراء لقاء مع الصحافة التركية بعد اليوم، إذ لا جدوى في الحوار الصحفي معها لأنّ الصحف التركية كانت تكتب ما تريد ولا تنقل كلامي بصدق لأنها تلقت الأوامر من فوق والتي مفادها: "ضيّقوا على مروة الخناق وأفسدوا عليها الحياة"!. ولذلك تركزت اتصالاتي مع الصحافة الأجنبية فحسب، حيث أجريت صبيحة يوم الثلاثاء لقاء مع قناة "سالجزيرة" التي تلتقط في جميع دول الشرق الأوسط، ثم لقاء آخر مع مجلة "Der Spiegel" الألمانية الشهيرة.



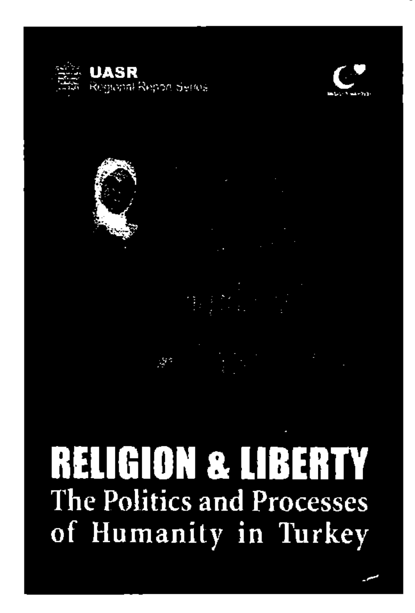
مجلة "تكبير" الصادرة في باكستان، عدد يوليو/حزيران 2002.

وكان سبب موافقتي على إجراء حوار مع الصحافة الأجنبية واضحاً، لأن الصحافة الأجنبية سواء أكانت غربية أو شرقية تتبنى أخلاقية المهنة مما يجعلها موضوعية. أما صحافتنا التركية فتسودها عقلية "زوّر الأخبار واصنع الكذب لتنال

النجاح". ولولا وجود عدد قليل من الأقلام النظيفة التي تحترم نفسها وتخاف الله لكان حالنا يرثى له.

وكان اشتهار تركيا بهذا الحدث البشع الذي ارتكب ضد نائبة عن الشعب يحزنني من جهة، ومن جهة أخرى كنت أفكر في استثمار هذه الفرصة لأكون صوت آلاف النساء الشابات المحجبات المتضررات في وقت توجهت أنظار العالم إلى تركيا. ثم إنني لم أكن أنا التي سعيت إلى تصعيد المشكلة إلى هذا الحد، حتى أصبح موضوع الحجاب حدث مركزيا ضمن أحداث الساعة، بل السيد أجويد هو الذي دفع به إلى هذا الحد!

بينما كنا في حوار صحفيّ في أحد المكاتب دخل السيد عبد الله غول وفي يده ورقة. وكانت الورقة نموذج توكيل، وطلب مني أن أوكل عدداً من المحامين العاملين في مكتب المحاماة لإحدى البلديات التابعة لحزب الفضيلة. وكان اتخاذ محام ليمثلني موضوعا مهما وقع إهماله من قبلي خلال فترة ترشّحي رغم طرح الموضوع أمامي في بعض المناسبات. وقد ندمت بعد ذلك لأنني لو اتخذت محاميا قبل الانتخابات تحسّبا لما سيجري في المستقبل لما سارت الأمور بشكل سلبييّ، ولربما كان الوضع مختلفا اليوم. ووقّعت على أوراق التوكيل التي أحضرها السيد عبد الله، وبذلك أصبح لي محامون في استانبول لم أرهم ولا أعرفهم.



كتيب "الدين والحرية"، UASR

لكن هؤلاء المحامين الذين منحتهم حق تمثيلي سوف يوقعون على أخطـــاء كبيرة.

ولما رجعت إلى البيت مساء فاجأتني مؤامرة صحفية جديـــدة، فقـــد كنت أتخلص من مضايقات الصحافة بمجرد الدّخول من بـــاب العمـــارة وأصعد الدرج بكل اطمئنان. لكن هذه المرة لما وصلت إلى الطابق الثالـــث فتح باب وخرج منه صحفيّ وتبعنا... وأفشل الســـيد عثمـــان مســـاعيه لدخول بيتي والتقاط صور. وأغلقت أمي الباب بكلّ صعوبة بعد أن دخلتُ البيت.

يوم الأربعاء 5 مايو/أيار

"يجب أن يلقن الدّرس لمروة وابنتيها أيضاً"

لم تستطع ابنتاي الذهاب إلى المدرسة منذ يومين، وفكرت في إرسالهما اليوم حتى لا تتأخرا عن دروسهما كثيرا. وكنت أجهل طبعاً ما حدث في المدرسة قبل ذاك، فقد أخبرني معلموهما فيما بعد أن عناصر من الصحافة أتوا إلى المدرسة عقب حادث البرلمان وأزعجوا المعلمين والتلاميذ، وسرقوا صور ابنتيّ من لوحة الصور التي تعلق على جدران الصفوف، كما وجهوا أسئلة إلى معلميهما حول ما إذا كانت ابنتاي البالغتان 8 و9 سنوات ترتديان الحجاب أم لا؟ وكلمتني معلمة بكل انفعال عما جرى فقالت: "لقد حيرني هؤلاء الصحفيون، فأنت لا تدرين ماذا فعلوا!".

وعند تناول الفطور قلت لابنتيّ: "سنذهب اليوم إلى المدرسة، جهزا نفسيكما". وفرحتا لذلك كثيراً، لأن البقاء في البيت على مدى أربعة أيّام مع يومي عطلة نهاية الأسبوع كان مقلقا جداً بالنسبة إليهما. وهما تدرسان في "المدرسة الابتدائية عنتبه Anıttepe" التي تبعد عن البيت بحوالى 70 أو 75 متراً. وهما تدرسان في نفس المدرسة منذ مرحلة الروضة. وكانت المعلمة في الروضة السيدة "كولاي" قد استطاعت أن تحبّب إليهما المدرسة في وقت وجيز بفضل خبرتها وصبرها. وكانتا تدرسان في السنة الثالثة، فابنتي الصغيرة "مريم" أرادت أن تذهب إلى المدرسة مع أختها "فاطمة" التي تكبرها بـ 11 شهراً. ولذلك كانتا في الصفّ نفسه. ولئن كان خبراء

التعليم يرون من المناسب أن لا يدرس الشقيقان في الصف نفسه فإنني أردت أن تتلمذ ابنتاي على يدي المعلمة "موكه إينجه أوغلو" التي تعرفتُ عليها واكتشفت قيمتها. فمن الصعوبة بمكان العثور في تركيا على "معلمين مقتدرين" في المرحلة الابتدائية، ولأن هذه المرحلة لها تأثير كبير في نمو الطفل وصقل مواهبه.

كنت أتابع وضع ابنتي في المدرسة عن كثب رغم كثافة أعمالي، وكنت أتصل بالمعلمة "موكه" وأسألها عن دروس ابنتي خلال السفرات التي أقوم بها بموجب مهامي داخل الحزب. وبفضل ذلك الاهتمام طورنا علاقة "المعلم وولي الأمر" بشكل جيد. وكنت أرافق ابنتي إلى المدرسة ذهابا وإيابا خارج أوقات السفر قبل تولي منصب النيابة في البرلمان. وكنا نذهب إلى المدرسة على أقدامنا لقربها من البيت. وأردت كالعادة أن أصاحبهما إلى المدرسة في ذلك اليوم متمنية أن تستمر الأمور كما كانت سابقاً. لكنّ السيد عثمان الذي كان كثيراً ما يدخل في "شجار" مع الصحفيين أقنعني بقوله: "يا سيدة مروة، إنّ هؤلاء الرجال سيزعجون ابنتيكما إذا ذهبتن إلى المدرسة مترجّلات".

وأخبرت ابنتي بأننا سنتقابل في الأسفل مع الصحفيين والصحفيات الذين يرغبون في التعرف عليهما في هذه الأيام، وأننا سنتوجه إلى المدرسة بعد تعرف قصير. صدقوني، رغم مضي ما يزيد على أربع سنوات على ما حدث فإنّ فؤادي يدمع دماً حين أتذكر هذه الأحداث...

ولما نزلنا واصلت حديثي رغم استفزازهم، فقد سمعت أحدهم يقول: "مرحبا أيتها الأخوات"، ثم عرّفتهم بابنتيّ قائلة: "ابنتاي فاطمة ومريم"، وركبنا السيارة بعد أن ألقت ألقتا السلام على الصحفيين. ولما وصلنا إلى باب فناء المدرسة القريبة من البيت طلبت من السيد عثمان أن يتوقف، لأنني لم أرد دخول فناء المدرسة. وبعد النزول من السيارة

أمسكت بيدي ابنتي مريم وفاطمة، واحدة على يميني والأخرى على شمالي، وتوجهت نحو المدرسة بخطوات سريعة. ووقع حينذاك حدث كان شديد الوقع على قلبي، وكان أبشع من الاعتداءات التي تعرضت لها داخل البرلمان.

كان أحد المراسلين لإحدى القنوات التلفزيونية قد دخل إلى فناء المدرسة وكلّم مجموعة من التلاميذ وقال لهم: "عند قدومهنّ إلى فناء المدرسة قولوا بصوت واحد: تركيا علمانية وستظل علمانية! فإننا سوف نظهركم في نشرة الأخبار المسائية في التلفزيون". واستطاع أن يخدع عقول هؤلاء التلاميذ الصغار. وفوجئنا باحتجاجات التلاميذ الذين تلقوا "إشارة انطلاق" من هذا الرجل. والتف حولنا ما يقارب مائة تلميذ يمشون معنا ويردّدون كلمات الاحتجاج التي حفظوها. وكانت ابنتاي المتشبثتان بيديّ بقوة ترتجفان خوفا من زملائهما. ويل لمن دبّر وفعل تلك الفعلة الشنيعة! ولم يكن في وسعي سوى أن أفوض أمري إلى الله تعالى...

ولما دخلت باب المدرسة استنفدت جميع طاقتي، وبدأت أتساءل: كيف ارتكبت هذا الخطأ؟ وكيف لم أستطع منع ذلك؟ وكيف لم أتخيل أن تبلغ بهم "القساوة" إلى هذه الدرجة؟ واستقبلنا عند الباب مدير المدرسة السيد "نهاد"، وأخذ ابنتيّ إلى صفهما وقال لي: "لا تخافي يا سيدة مروة، إنّ ابنتيك أمانة عندنا". وصعدت إلى مكتب السيد المدير. وكان المدير متعجباً أيضاً... وجلست بعض الوقت دون معرفة ما سأفعل؟! واتصلت بالبيت وأجابني أبي. كنت أبكي، وفي الوقت نفسه أحاول الحديث مع أبي. ولما سمع أبي صوتي المترجرج، سألني:

ماذا حدث يا بنيتي! ماذا حدث؟!

أبي! لقد ثاروا محتجين في وجه ابنتي بالمدرسة.

بُنيّتي، سوف آتيك على الفور.

وكان الغضب واضحا في صوت أبي.

لا يا أبي!! لا، لا تأت!!.. قد لا تستطيع امتلاك نفسك. وبكيت عندما قلت له إنّ هؤلاء الناس يريدون ارتكاب جريمة، وأبكي كلما أذكر تلك الوقائع.



Öğrencilerden protesto

ANKARA

صحيفة "حريت" 6 مايو/أيار 1999

ولا أدري كم لبثت في مكتب السيد المدير، وكان لا طاقة لي للخروج من عنده. وركبت السيارة داخل في فناء المدرسة هذه المرة وسط أنظار الأساتذة الحزينة والمستغربة. وكنت أشعر بانهيار كبير. وهل كان بالإمكان أن أعفو عن الذين فعلوا ذلك لابنتي البريئتين في المستقبل؟ لا أظن أبداً. وعند الذهاب إلى البرلمان بعد ظهر ذلك اليوم، اتصل بعض المراسلين الواقفين في ممر البرلمان والذين شاهدوا هذا الحدث بأختي روضة وأعربوا عن أسفهم لذلك وعدم توقعهم أن تؤول الأمور إلى ما آلت إليه. وكانت أختي روضة قد اكتفت بالصمت فقط. ويبدو أن ضمائر مدبري هذا الأمر لم تتألم قط حتى إنّ هذه الاحتجاجات استمرت ما بين عشرة وخمسة عشر يوماً.

وتواصلت الاحتجاجات أمام البيت لما منعت إدارة المدرسة أن يقع ذلك في المدرسة، كما رنّ جرس بابنا على مدى أيام طويلة. وكنت أحزن في البداية على ابنتي اللتين تعرضتا لهذه المعاملة الوقحة ظلماً، لكنني فكرت في أنه لا ذنب لبقية الأطفال لأنه وقع استغلالهم من قبل أشخاص فكروا تفكيراً شيطانياً، وهم يفتقرون إلى أدنى القيم الأخلاقية. كما لن أعفو عن الذين اتهموني بـ "العرض والتمثيل" عبر استغلال ابنتي في ذلك الحدث، وسأفوض أمري إلى الله فيهم. أنا وابنتاي لا نريد أبدا أن نتذكر ذلك الحدث. وبعد مضي وقت طويل على الحدث قالتا لي يوما: "كم كان ذلك اليوم سيئا

قواقجي تتحدث عما حدث لابنتيها لمجلة Aktuel

أليس كذلك يا أمّي؟". وقالت مريم بعد مرور سنتين على ذلك: "إنّ ذلك اليوم كان أسوأ يوم في حياتي يا أمي... "

وبعد ذلك اليوم ذهبت فاطمة ومريم إلى المدرسة بالسيارة وبرفقة حارس لمدة سنة واحدة رغم أنهما كانتا لا تحبذان ذلك. كما كانتا لا تخرجان إلى فناء المدرسة في أوقات الرّاحة. وأنا بدوري اضطررت إلى تسويد زجاج سيارتي للتخلص من رجال الصحافة الذين كانوا يتابعونني ويحاولون التقاط صوري بالكاميرات عند وقوفي في الأضواء الحمراء.

يوم الخميس 6 مايو/أيار

كانت الأحداث تأخذ بعدا لا يطاق بالنسبة إليّ، ودخول بيتي "تحت الرقابة" لا يزعجني أنا فحسب بل يجعل عائلتي في وضع صعب. وكان الحل بعد أن لقيت ابنتاي ما لقيتا هو أن أتغيب عن البيت وقتا ما. وانتقلت أولاً إلى بيت السيد زكي الواقع في إقامة نواب البرلمان بدعوة منه. وكنت آمل في أن يتراجع الصحفيون عن الإساءة إلى عائلتي إذا يئسوا من رجوعي إلى البيت. لكنه وقع عكس ذلك، حيث كانت عائلتي لا تستطيع استقبال الضيوف فضلا عن الخروج من البيت، لأن الصحفيين "الأوفياء" لأعمالهم كانوا يتبعون كل من يخرج من الباب ويتبعون الذين يأتون بسياراتهم حتى بيوتهم ويضايقونهم بأسئلتهم. وفي المقابل كان الحزب لا يحرك ساكنا. ولا أحد من الإخوان الذين كانوا يشاهدون على شاشات التلفزيون أعمال الصحفيين البشعة ضدّ ابنتي ومحاولتهم لالتقاط صور بيتي، يبدي أيّ كلام إزاء ما يحدث، سوى عدد قليل منهم في بعض التعاليق التلفزيونية. وكأنهم صمّ عمي إذ لا أحد يسألني: "أختي مروة، هل لك حاجة؟"، ما عدا بعض المتطوعين الذين اصطحبوا السيد عثمان بعض الليالي داخل السيارة أمام العمارة... وهؤلاء لن أنساهم من دعائي أبدا...

وكان رجال الإعلام الذين يتعقبوننا دائماً لا يستطيعون الدخول من الباب الرئيسي لإقامة نواب البرلمان الواقعة في منطقة "أوران" بسبب الحراسة المشددة. لكن أحد الصحفيين استطاع الدخول في الأيام اللاحقة

بواسطة نائب برلمان من "حزب اليسار الديمقراطي" بصفة "ضيف" حتى وصل إلى بيت السّيد زكي.

وذات ليلة وأنا في إقامة النواب اتخذنا مع السيد زكي قرارا بدعوة السيد رجائي لتقييم الوضع. واتصلنا كذلك بالسيد "بشير أتالاي" والسيد "عبد الله" والسيد "صالح". وقال لنا السيد رجائي: "تعالوا لنتحدث هنا"، ثم بلغنا بأنّ الاجتماع سيعقد في بيت السيد "أوغوزخان أسيلترك "بدلاً من بيت السيد رجائي وذلك في وقت متأخر من الليل. وانضم إلينا والداي وتراجع السيد بشير عن المشاركة في الاجتماع لما سمع بانعقاد الاجتماع في بيت السيد "أوغوزخان أسيلترك".

وكان السيد أوغوزخان بعيدا عن كل هذه الأحداث إلى ذاك الوقت. كما كان خارج تركيا خلال مراسم أداء اليمين يوم 2 مايو/أيار. ولأول مرة كنت ألتقي معه في ذلك اليوم بعد مضي فترة طويلة من الزمن. وكان السيد أوغوزخان بمثابة رئيس الجلسة في تلك الليلة. ولم يتحدث السيد رجائي إلا قليلا. وكان السيد أوغوزخان يوصي بالصبر ويضرب أمثالا من حياته مركزا على المعنويات خلال حديثه دون الإشارة إلى أية خطوة ملموسة يمكن اتخاذها. وكأنه هو الأستاذ والمستمعون عبارة عن تلاميذ، وجلسنا بهذا الشكل. ولا شك أن المسائل المعنوية كانت هامة لكن يجب القيام أيضاً بمتطلبات الواقع السياسي، وذلك عبر وضع حسابات لما يمكن حدوثه ومناقشته. وهكذا اكتمل اجتماع آخر "غير مجد" من حيث بلورة ما يجب فعله غدا وبعد غد واليوم الذي بعده.

وبعد قضاء بعض الأيام في إقامة نواب البرلمان توصلنا إلى أن البقاء في أنقرة إلى يوم افتتاح البرلمان لا يفيد في شيء. وكنت أستعد للذهاب إلى استانبول مع السيد أحمد والسيد محمد. وعقب وقوع الأحداث المؤلمة في المدرسة أخبرني مدير المدرسة السيد عمر بأن تغيّب ابنتي عن المدرسة وقتا

ما سيكون أنسب، ولذا قررت أن تصحباني إلى استانبول. وكنت مع ابنتيّ في إقامة النواب يوم السفر، واستدعاني السيد "زكي" والسيدة "مقدّر" مع السيد "تيمال كاراموللاأوغلو" وزوجته وبناته إلى مأدبة عشاء في مطعم "حاجي بابا" بأنقرة، وذلك للترفيه عني وعن ابنتيّ، لكنني كنت أرغب في السفر في أقرب وقت، كما حضر المأدبة والداي أيضاً.

وبقيت مع السيدة "مقدر" لنخطط معاً، وقررنا الانطلاق في السفر إلى استانبول مع أخذ أختي روضة التي حبست في بيتنا تحت أنظار الصحافة. ودعوت إلى إقامة النواب صديقتي السيدة "هوليا" التي كانت بمثابة مساعدة متطوعة لي وقتا ما عقب الانتخابات. وكانت السيدة هوليا تشبهني في المظهر الخارجي ولذلك ألبستها أحد ملابسي مع غروب الشمس وأرسلتها مع السائق السيد عثمان لخداع الصحفيين. واتبعها جنود الصحافة كما خططنا... وتجولت السيارة داخل أنقرة وقتا يسمح لنا بالخروج من الإقامة والانتقال إلى سيارة السيد "محمد أكساي" في المكان المحدد من قبل والانطلاق في الطريق نحو استانبول. ولما وصلت السيارة الأخرى إلى بيت هوليا في منطقة "جباجي" ونزلت منها امرأة أخرى وليست مروة أصيب الصحفيون بخيبة أمل.

وقد يسأل السائل: ما الحاجة إلى هذه الألعاب "البوليسية"؟ ولكنني أقول: يجب ووأقول ويجب أن تعيشوا تلك الأيام حتى تفهموا ذلك. إن المرء لا يعرف قيمة ما عنده حتى يفقده، وأنا كنت لا لم أكن أعرف قيمة الحرية عند الخروج من البيت والتجول حيث أشاء، إلا بعد هذه الحوادث.

وكنت أعتقد أن خروجي من أنقرة سوف يخفف العبء عن سائر أفراد عائلتي الذين يعيشون تحت رقابة وسائل الإعلام، فقد كان الصحفيون يتبعون خالي وزوجته وحتى السيدة "زبيدة" التي تأتيني لمساعدتي في شؤون البيت ويزعجونهم بأسئلتهم. وكانت أربع أو خمس سيارات للصحفيين

تترصد أمام باب العمارة ليل نهار، وتتبع كل من يخرج من البيت. وبذلك عرفوا بيوت أقاربي أيضاً. كما تمركز الصحفيون في حديقة جيران خالي ليزعجوا كل من يدخل بيت خالي ويخرج منه. ولذلك كنت أتحدث مع الزملاء والأصدقاء عبر الهاتف ولا أقبل زيارة أحد إلى بيتي حتى لا يتحرجوا بسببي.

وجدّ لأختي حدث آخر مضحك بعد مضي حوالى ستة أشهر على دخولي البرلمان، ففي ذات يوم خرجت أختي من البيت وكان الوقت مساءا. وتبعها أعضاء الصحافة. وأثناء السير في الطريق انفعلت أختي وأعطت الإشارة لتوقف سيارتها على يمين الطريق. واتجهت نحو سيارة الصحفيين التي وقفت بدورها خلف سيارة أختي فورا وانحنت نحو زجاج السيارة وقالت للصحفيين وسط أنظارهم الحائرة: "إنني أذهب لأستقبل أمي القادمة من استانبول. وأما أنتم فإلى أين تذهبون؟" وأجابوها بالقول: "إننا مجبرون على تعقبك". وأضافت أختي: "أيها الإخوان، إنني سآخذ أمي من محطة الحافلات القريبة هناك، واصلوا انتظاركم أمام العمارة فحسب. سوف لن أذهب إلى مكان آخر، بل إلى محطة الحافلات فقط". لكنها لم تستطع إقناعهم، وتبعوها ذهابا وإيابا. ولم يتحرجوا لسؤالها عند العودة: "هل ستتجهان من هنا إلى البيت مباشرة؟".

ووسط تلك الحالة النفسية التي حاولتُ التعبير عنها، انطلقنا في الطريق نحو استانبول مطمئنين لعدم متابعتنا من قبل الصحافة تاركين أختي روضة في أنقرة بعد التأكد التالتأكدركد من عدم إمكانية إخراجها من البيت الواقع تحت رقابة الصحفيين دائما. وكانت تلك الرحلة أشق وأطول رحلة في حياتي. وكانت ظلمة الليلة مختلفة تماماً، إذ كان يلفنا الخوف. وكنت أبحث عن مكان أستند إليه وأجهش بالبكاء. كنت جالسة في الخلف أستمع إلى حديث السيد أحمد والسيد محمد وابنتاي على جنبيّ تنامان متكئتين

عليّ. وكان السيد محمد يرى بأن "العملية – الخداعية" كانت ناجحة. وكنا نسير في الطريق بحذر وأنا أفكر في الأخطار التي ستنجم عن اكتشاف الصحفيين مكان إقامتي في استانبول. وتفتح ابنتاي مريم وفاطمة أعينهما أحياناً وترفعان رأسيهما وتنظران إلى وجهي ثم تبتسمان وتعودان إلى نومهما، ثم تدنوان مني أكثر فأكثر.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل قبل قليل عندما وصلنا إلى استانبول. وكان من المتعذر أن نذهب إلى بيت أختي روضة لأنها لم تأت معنا. وبالتالي كان بالإمكان أن يكون بيتها تحت الرقابة أيضاً حيث إنّ الكثير كانوا يعلمون أن تلك العمارة لنا. كما أن البيت هو أول مكان للتفقد إذا علم الصحفيون غيابي في أنقرة. ولذلك توجهنا إلى بيت السيد أحمد الذي يسكن فيه مع زوجته "زينب" وأبنائه في منطقة "موضة". واستقبلتنا زينب عند الباب.

وبعد أن رحبت بنا سألت: "مروة، كم كنت تبدين جيدة ومرحة في التلفزيون، أما الآن... لقد تعجبت، هل أنت بخير؟" مستغربة لعلامات التعب التي بدت عليّ. وقلت لها: "لا تسألي يا زينب! ولا أدري كيف عملت تلك اللقاءات التلفزيونية. إن الله يمنحني قوة عندما أخرج أمام الكاميرات وأنا أتعجب من أمري أيضاً. وإن سألت عن الواقع فإنني لست بخير، خاصة بعد الواقعة التي وقعت في المدرسة. يا زينب من فضلك أعدي لنا شايا جيدا". واتجهت نحو المطبخ بعد أن أجابت بالقول: "طبعاً يا سيدة مروة، أعدّه حالا". وبعد ذلك اليوم أصبحت الستائر الزرقاء لنوافذ ذلك البيت الذي يطل على مياه بحر مرمره مسدلة ليلا ونهاراً.

وعندما استيقظت من النوم مع تسرب أضواء الشمس إلى داخل الغرفة في اليوم الموالي كنت أشعر بثقل المسؤولية التي أحملها على كتفي وأقول في نفسي: "يا ربي ما الذي سيجابهنا اليوم؟ أسألك أن تجنبنا

المساوئ". ورغم كل شيء كنت أستطيع أن أبتسم عندما أنظر إلى ابـــنيّ النائمتين بجانبي مثل الملكين. وكان السيد أحمد وأسرته قد استيقظوا قبـــل ذلك حيث اطلعوا على الجرائد وشاهدوا نشـــرة الأخبـــار في التلفزيـــون، فتغيرت وجوههم بسبب ذلك. هجوم جديد! فقد تناولـــت الصـــحافة في صفحاتها الرئيسية عناوين "خطاب قواقجي في ولاية أوهايو الأميركية عـــام 1996" وخطاب قواقجي في "شيكاغو" الأميركية عام 1997...

كنت أدرك أنّ مهنة السياسة "ملطخة"، كنت أدرك ذلك شيئاً فشيئا. وكان بعض الناس ينبهون الحزب حتى لا أدخل البرلمان محجبـــة، وكـــانوا يرسلون إليّ رسائل هاتفية ويبعثون الوسطاء ويبثون الخـــوف في أعضـــاء الحزب في تلك الليلة، قد أجروا تحقيقا مفصلا حولي عقب الإعـــلان عـــن ترشحي وجمعوا كل المواد التي سوف تخدم مآربهم الدنيئـــة. وبـــدؤوا الآن يأتون بكل ما لديهم، واستجابوا للأمر "أوقفوها عند حدها". ولذلك كان السيد "عبد الرحمن دليباك" قد اتصل بي في بـــدايات الحملـــة الانتخابيـــة وأخبرني بذهاب البعض إلى أميركا للنّبش في حيـــاتي الزوجيـــة الســـابقة، وكنت قد أعلمتـــهُ بأنني لا أملك في حياتي ما يستدعي إخفاءه. ولله الحمد لم يكن لدي ما أخفيه حول حياتي الخاصة وحول مهنتي. لكنني كأيّ امرأة ملتزمة بدينها لن أقبل أن يطلع أحد على أسرار حياتي الزوجية. كمـــا أن هذا الجانب يدخل في إطار الحرب النفسية.

ونظرت في الصحف على طاولة الفطور: ماذا؟ يا إلهي ما هذا؟ لقـــد كتبوا عني العجب العجاب، من ذلك مثلاً: إنّ قواقجي ألقـــت خطابـــا في مؤتمر ISNA في دورته الثالثة والثلاثين بصفتها ممثلة عن حـــزب الرفـــاه، وتحدثت فيه عن الاستراتيجية التي حملت الحزب إلى القمة في 1994، كمـــا تناولت التضامن الذي يجب أن يكون بين البلدان الإسلامية. فعندما ألقيت هذا الخطاب أمام عشرين ألف شخص كنت أمّا شابّة. وكنت "جندية" في

حزب الرفاه الذي كان يخطو نحو السلطة، وكان فيه للنساء دور فعال رغم اتهام الحزب بأنه "متخلف" و"رجعيّ". كما تم إرسالي إلى هذا الاجتماع من قبل إدارة الحزب بصفة مسؤولة رفيعة المستوى، "سيدة" لا "متخلفة" وكنت مستدعاة إليه لأبين للعالم منهج عمل النساء الرفاهيات في الوقت الذي كان زعماء باقي الأحزاب في تركيا ينصحون نساء أحزابهم بأن "يعملن مثل نساء حزب الرفاه". لكن الصحفيين الأتراك كانوا حريصين على الالتزام بالعقلية التي تقول "يجب أن نظهر مروة قواقجي أمام الشعب بأنها خائنة الوطن، ويجب أن ندمر آمال الشعب العالقة بها بسبب نضالها النسائي والإنساني".

وعندما فتحتُ التلفزيون وجدت السيد "أيدين مندرس" يتكلم ويقول: "إذا لم يتم توضيح ما يحدث فإنني سوف أستقيل". وكيف لهم أن يوضحوا الأكاذيب والافتراءات؟ وفي النهاية استقال السيد مندرس من الحزب بعد الظهر. وكانت التلفزيونات تزين شريط خطابي في ISNA بشتى المؤثرات وتبثه مع التهويل. وليس مرة أو مرتين بل عشرات المرّات، وذلك قصد غسل أدمغة الناس وزرع التفكير المسبق في عقولهم. وكنا نتابع وسائل الإعلام مع أفراد العائلة لتقييم الوضع نظراً إلى عدم تعيين الحزب شخصا ليساعدني في هذا الخصوص.

وما كان الأمر ليستمر هكذا، إذ كان من الضروري تقديم رد قانوني على كل هذه الاتهامات التي وردت في الصحف. واتصلنا فوراً بمكتب محام بواسطة السيد عبد الله. وكذلك اجتمعنا مساء ذلك اليوم ببيت السيد عبد الرحمن دليباك في مجموعة كبيرة. وكان من بين المجتمعين: محامون وكتاب صحفيون ورجال أعمال ورؤساء بعض الجمعيات. وكنت منزعجة في تلك الليلة بسبب التطورات الجديدة في ذلك اليوم. كما أن عرض خطاباتي في شاشات التلفزيون مع تعاليق مدهشة وكأنها جرائم كان يزعجني أكثر

فأكثر. وكنت أفكر في ضرورة "وضع حد" لكل هذه الأمور. لكــن بــلا جدوى! حيث كانت حملة الاستئصال تتزايد وتقوى باستمرار. وفي المقابل اتصل بنا بعض رجال القانون هاتفيا ليؤكدوا عــدم وجــود أي "عنصــر مخالفة" في خطاباتي المنشورة مع تأكيدهم بأنه: بإمكانهم "التوقيع" على هذه الخطابات.

وبرمجنا لقاء تلفزيونيا مع قناة TGRT بواسطة السيد عبد الله غــول. وكنت في حاجة إلى لباس خاص لأنني لم أمرّ بالبيت في أنقرة قبل المجــيء هنا. وأعطتني السيدة زينب لباسا من ملابسها وجزاهــا الله كــل خــير. والتحقنا بالبرنامج في وقت متأخر في تلك الليلة. وكان الناس قد تهافتوا إلى أمام مبنى قناة TGRT لّما سمعوا مشاركتي في بث مباشر. وكانت الســيارة تهتز بسبب الازدحام عندما ركبناها بعد انتهاء البرنــامج. وأقــول بكــل وضوح: إنّ ذلك الاهتمام الكبير في تلك الليلة كان بمثابة "مسحة لطيفــة" من قبل الشّعب، فقد كان هؤلاء الناس يذكــّرونني بأنني مع الحق في هــذا النضال الذي أرهقني وأنني لست وحيدة. ورغم أنني كنت أحظى باهتمــام الناس في مختلف دول العالم بفضل "الطريق الذي أنا فيــه"، إلا أنّ هــؤلاء الناس المجتمعين أمام مبنى TGRT قد تبوءوا مكانة خاصة في قلبي...

وكان السيد "هولكي جويز أوغلو" يقدم برنامجا حول قــواقجي في الليلة نفسها. وشاركت في هذا البرنامج عبر الهاتف وأجبت على ســؤاله حول ما إذا كنت أتمتع بالجنسية الأميركية أم لا؟ بــ "نعم" لأنني اتخــذت الصدق شعاراً. وكانت الحكومة ستتخذ ذلــك ذريعــة لإعطــاء حملــة الاستئصال بعدا جديدا مع التمسك بــ "أنني متجنسة بالجنسية الأميركية" لأتخلى عن نضالي الحق. لقد استفدت من حق "الجنسية المزدوجة" الذي لا ترى الدولة التركية فيه مانعاً، فأنا مواطنة تركية ذهبت إلى الخــارج لأدرس محجبة وعشت هناك سنوات طويلة. ومثل سائر نواب البرلمان من أصحاب

الجنسيات المزدوجة استفدت من هذا الحق الذي يشمل جميـــع المـــواطنين الأتراك بمن فيهم نواب البرلمان، كما لا يرى الدستور في ذلك مانعا.

وكان الذين يبحثون عن ثغـــرات جديـــدة لإلصـــاق التهمـــة بي لا يستطيعون إيجاد حجج ملموسة في خطاباتي السابقة، ولذا انطلقوا في القدح لما سمعوا بأنني مواطنة أميركية أيضاً. وطالبوا بسحب الجنسية التركية مـــني بدعوى أنني لم أستأذن من السلطات التركية عنـــد الحصـــول بالجنســـية الأميركية. وأصبحت الصحافة التركية تتناقل أخبار سحب الجنسية التركية مني. واتصلت بالسيد البروفيسور "جمال شانلي" مـــن جامعـــة اســـتانبول وسألته حول شروط التمتع بالجنسية المزدوجة. وفسر لي الجانـــب الـــتقني للموضوع، ثم أضاف: "يجب إعلام الحكومة التركية بالحصول على الجنسية الجديدة من الناحية الإجرائية فقط". ولأول مرة كنت أسمع عن وجود هذا الإجراء القانوني البسيط كسائر آلاف الأتراك المقيمين في أميركا. وقلت له: "سأفعل ذلك إذن".

وكانت أميركا على خلاف عدد من البلـــدان الأوروبيـــة تســـمح بالحصول على الجنسية المزدوجة مثل تركيا. ولذلك كانت تركيا لا تطبـــق في الواقع هذا القانون الذي كان منسيا ضمن القوانين الموضـــوعة خـــلال الحكومة العسكرية سنة 1981 على الأتراك المقيمين في أميركا والمتمـــتعين بحق الجنسية المزدوجة. بينما كانت تطبق على الأتراك المقـــيمين في ألمانيـــا "اضطراريا" نظرا لعدم تسامح ألمانيا مع الجنسية المزدوجة. وكانت تركيـــا تسحب الجنسية التركية ممن يرغب في الحصول على الجنســـية الألمانيـــة ثم تعطيه الجنسية التركية من جديد عقب إتمام إجراءاته القانونيـــة في ألمانيـــا. وكان الأتراك المقيمون في أميركا والذين يبلغ عددهم حوالى أربعمائة ألف تركي، لا يجدون حاجة في "إعلام" تركيا بهذا الخصوص ويملكون جوازات سفر أميركية بسبب موقف أميركا المختلف في هذا الشأن.

لكن عندما تعلق الأمر بنائبة برلمان محجبة وصلت إلى برلمان الشعب بشهادة النيابة التي استلمتها من الدولة وبأصوات الشعب!... تغيرت الأمور، حيث أثير ذلك القانون المنسي الذي لم يطبق على أحد من نواب البرلمان إلى هذا اليوم ليكون وسيلة "تخلّص" من قواقجي. وَيْحكُم، تعدون أنفسكم "رجال القانون" و"رجال الدولة"! لقد وصف السيد البروفيسور "باكير تشاغلار" هذا الحدث بـ "الجريمة القانونية" لكن لا أحد التفت إليه.

وبعد تنبيه السيد البروفيسور جمال شانلي هذه النقطة، تشاورت مع عائلتي، وتبين أننا لم نقم بهذا الإعلام عند الحصول على الجنسية الأميركية مثل آلاف الأتراك... كما لم نسمع من أحد من أصدقائنا الأتراك في أميركا بأنه أعلم الحكومة التركية عند الحصول على الجنسية. وعلى كل حال كنت أفكر وأقول: "خيراً إن شاء الله، فإني سأقوم بذلك في أقرب وقت". وأنا كنت أفكر في ذلك، لكن الأمور كانت تجري على غير ما توقعت.

إقتراح محيّر

كنت لا أزال في استانبول. وكان المجلس سيفتتح أعماله خلال بضعة أيام. وكان النواب الذين أقسموا بشرفهم على قيامهم بالدفاع عن حقوق الإنسان سيبدؤون بممارسة مهامهم.

كان قسم من هؤلاء هو الذي منعني من ممارسة مهـــامي فعليـــاً. والقسم الآخر التزم الصّمت إزاء ما قام به القسم الأول. وكان النواب الذين لم يستطيعوا الحضور في الجلسة الأُولى أو لم يقسموا لسبب مـــا، سيؤدون القسم في الجلسة الثانية. وهذا كان يعني فرصة جدية بالنســـبة إليّ. طبعاً إن لم يتخوف الحزب وإستغل هذه الفرصة. وكـــان أخـــي الأكبر أحمد والأخ محمد في أنقرة يجريان لقاءات مع السيد صالح والسيد عبد الله. وكانا يقولان "حذار أن تأتي". وبدوري لم أكن أذهـــب إلى أنقرة. وكان هناك في تلك الأثناء من يطالب بتوقيعي على كتاب أقـــر فيه بتنازلي عن صفتي كنائبة. ولكن تحقيق هذا المطلب لم يكـــن ممكنـــاً بالنسبة إلي. فلا يمكن التفكير في مثل هذا الأمر والشعب هـــو الـــذي اختارني.

وكان السيد أحمد خاقان ذاهباً من استانبول إلى أنقرة. واتصل بي بعد أن التقى هناك بأفراد الحزب، وأعلمني بلقائه مع السيد صـــالح قابوســـوز والسيد عبد الله غول. وأعلمني أنّ كليهما قد التقى بحسام الدين أوزكـــان من حزب اليسار الديمقراطي. وأكد لي في الهـــاتف أن الموقـــف عصـــيب بالنسبة إلي. فأجويد وحسام الدين أوزكان يقولان لمسؤولي حزب الفضيلة

"يجب أن نهيب بمروة قواقجي أن تذهب خارج البلاد، فإذا سقطت عنها الجنسية وبالتالي صفتها كنائبة في المجلس، سوف تفقد حصانتها البرلمانية. وبعد ذلك سوف يشرع في مقاضاتها عن دخولها المجلس متحجّبة، وعن خطاب لها ألقته في أميركا عام 1996، لذا ينبغي أن تذهب خارج تركيا حالاً".

غير أنّ أعضاء حزب الفضيلة كانوا يتحرجون من إبلاغي بهذا العرض. ورجوا السيد أحمد خاقان أن يعرضه علي، وكنت أستمع إلى السيد أحمد في الطرف الآخر من الهاتف وأنا في حالة ذهول وجمود.

لم أصدق ما سمعته بأذنيّ. من الذي يسير جنباً إلى جنب هذه المرة؟ ما الذي جعل حزب اليسار الديمقراطي الذي أراد تدميري يفكر في مصلحتي وسلامتي؟ كيف يمكن للحزب الذي أنتمي إليه، نعم الحزب الذي رشحني، أن تنطلي عليه هذه اللعبة؟ والحجة هي "أنني في خطر". ويجب أن يعرف الذين حملوا إليّ هذا العرض أنّ الحقوق لم تكتسب عبر التاريخ سوى بالتضحيات. ألم يكن مخطئاً من كان يظن أنه سوف لن يلاقي أية صعوبات في هذا الطريق. ولم يكن مثيراً للحيرة أن يأتي عرض من قبل أجويد وحسام الدين أوزكان قبل الانتخابات ومفاده "فلتأتي مروة قواقجي إلى المجلس، ولكن لا تدخل إلى الجمعية العمومية، بل تتردّد على غرفتها فقط". ولكن قبول حزبي لهذا الاقتراح هو الذي حزّ في نفسي كثيراً. وكنت أعلم أنّ مثل هذا العرض الذي عرضه أفراد الحزب بشأن خروجي من تركيا كان بحسن نية. فقد كانوا يفكرون في سلامة أُختهم بالطبع. وبالرغم من ذلك فلم يكن ممكناً أن أقبله. كنت أتخيل تماما العناوين الكبرى في الصّحف: "هربت مروة إلى أميركا، فرّت، ذهبت!".

بعد أن أغلقت سمّاعة الهاتف، أذكر جيداً أنّني ذهبت إلى والدي

الذي كان جالساً في الصالون، وأخبرته بما قاله لي السيد أحمد. وقلت له:" أبي، إنني سوف لن أذهب، لن أهرب". ورفع أبي رأسه وعلى وجهه أمارات الحيرة ممّا سمعه، وقال: "برافو يا ابنتي!، وأنا رأيي أيضاً أن لا تذهبي. وأن تمكثي هنا وتستمرّي في نضالك لوحدك إن اقتضى الأمر". وقبّلني من جبيني. وأصبحت أعرف جيداً الحزب الذي أنتمي إليه.

برنامج "إسكله سنجق" على قناة 7

كان السّيد أحمد خاقان راجعاً إلى استانبول بسرعة من أجل تصوير لقاء معي في برنامجه "إسكله سنجق". وكان هذا البرنامج يعرض مباشراً مساء كل يوم جمعة. وبالرغم من ذلك كان السيد أحمد يميل إلى إجراء التصوير في مكان خفيّ. واتخذنا قراراً بتصوير اللقاء قبل يوم الجمعة في مكان خفيّ غير قناة 7؛ وذلك خشية قيام بعض القوى الخفية بما لا تحمد عقباه.

وكانت هناك بعض الحقائق الكامنة وراء هذا السلوك المتحفظ. فالغريب أنه بعد خروجي من أنقرة سرّاً، طُرق باب بيتي من قبل الشرطة خلال ثلاثة أيام متفرقة، سائلين عن مكان وجودي. وأجابتهم أسرتي بعدم معرفتهم بمكاني، وقد عادت الشرطة في يوم آخر سائلةً عني أيضاً. وأعلموهم هذه المرة بأنه يتعيّن تسليم جواز السفر الأخضر الذي بحوزتي كي يتم استخراج جواز السفر الأحمر الذي يمنح للنواب. ولكن أُسرتي أجابت "إنّ السيدة مروة ستسلم جوازها بنفسها عندما تعود إلى أنقرة". وجاء شرطيان في المرة الثالثة، ودخلا البيت هذه المرّة وجلسا قليلاً لتبادل أطراف الحديث وقالا: "نما إلى علمنا أنّ حياة السيدة مروة في خطر. ونحن هنا من أجل حمايتها. وبالطبع أنتم تثقون بنا، وستكون برفقتها شرطية ليلاً ونهاراً سواء في أنقرة أو في استانبول، أو في أي مكان آخر". ولكن لماذا كانت حياة السيدة مروة في خطر، وضدّ من؟ أضد الشعب الذي انتخبها وأدخلها المجلس؟ أم ضد أولئك الذين قالوا "أوقفوها عند حدّها" متّهمين

إياها بالجاسوسية. إنّ مثل هذا الفعل يقال عنه بـالتعبير الشـعبي الـدارج "ائتمان الذئب على الحَمَلْ".

وكان التصنت على مكالماتنا الهاتفية يسبب إزعاجا كبيراً في البيـت. وقد أُجبرت أن أبقى مدة طويلة بعيداً عن أُسـرتي وأطفـالي متخفيـة في عشرات الأماكن المختلفة. وكان مستحيلاً خلال تلك المدة إجراء الاتصال الهاتفي والاستعلام منهم وسماع صوت أطفـالي. فقـد نشـرت إحـدى الصحف موضوعاً مهماً منقولاً بالنص عن مكالمة جرت بين والدتي وبـين أحد الأقرباء. وعدم الاتصال ولو هاتفياً، كان يسبب القلق الكـبير لـدى أطفالي، ففي حين كان أقرانهما يلعبون ويمرحون، كانت ابنتاي الصـغيرتان قلقتين خائفتين على أمّهما. وفي إحدى المرات كانت مـريم ذات السّـبع سنوات تشاهد خبراً في التلفزيون عن مواجهة بين أفـراد الشـرطة وبـين المتحجبات، فلم يكن منها إلاّ سألت زوجة أخي وهي خائفة: "أبلة زينب، أبلة زينب! هل إن والدتي وسط هؤلاء".

ولنرجع إلى برنامج "إسكله سنجق"، فقد كانت حكومـة أجويـد وسط كلّ هذه الأحداث تبحث عن وسيلة لرفع الحصانة عني. بل كانـت التحضيرات تجري للبدإ في مقاضاتي. وتم اتخاذ قرار بتصـوير البرنـامج في منـزل السيد علي بايرام أوغلو رئيس جمعية رجال الأعمال المستقلين الـ "موصياد"؛ وذلك خشية وقوع إلقاء القبض عليّ بعد رفع الحصانة عنّـي. وكنت قد تعرفت على السيد علي وحرمه بواسطة الأخ محمد آكسـاي. وكان السّيد علي في الوقت نفسه صديقاً لأخي الأكبر أحمد. وكنـا قـد عقدنا في السابق عدداً من اجتماعاتنا في منـزله الكائن في منطقة بَبَـكْ في أكثر الأوقات صعوبة.

كان لقاؤنا الأول في بيته استمراراً للقاء تم في وقت سـابق في بيـت السيد "عبد الرحمن ديلي باك". ولا تزال تلك الليلة ماثلة أمام عيني حـتى

اليوم. فقد كنا جالسين على سطح المنــزل، وكنت أنا وروضة، وأخــي الأكبر أحمد، والسيد محمد آكساي، والسيد عبد الرحمن، والسـيد أحمـد طاش كتيران، وأحد أقربائي. وتم تحديد استراتيجية خلال تلك الليلـة بمـا ينبغي عمله، ومن سيقوم بالعمل. ولكن كان هناك سؤال يبحث عن إجابة في الأذهان. أين كان حزبنا عندما كانت التطورات تجري يوماً بعد يـوم متخذة أبعاداً مختلفة؟ وتم الإتصال فوراً عبر الهاتف بالسيد نعمان قُورتُولُوش رئيس الحزب في المدينة. وقد جاء متأخرا وحضر اجتماعنا، وعلل تـأخره بأنه كان في اجتماع آخر. وجلس كضيف خجول لفترة قصيرة، ثم استأذن في الانصراف، وبعدها لم يتصل و لم يسأل عنا.

في الليلة التي كنا سنجري فيها تصوير البرنامج كنت أنا وأبي في غرفة المكتب في بيت السيد علي. وكنا في انتظار السيد أحمد خاقان الذي كـان ينوي الرجوع إلى استانبول في طائرة الساعة الثانية عشرة بعـد منتصـف الليل، وذلك بعد أن أجرى لقاءاته مع أفراد الحزب. وكانت في تلك الليلة تنتابني أحاسيس سيّئة. كيف لا، وهناك من يقول "هيا غادري هذا الوطن، وإلا سوف تسجنين". ماذا ستفعلون عندما تجابهون بمثل هذا الموقف؟ وقد كنا أرسلنا الأطفال إلى أنقرة بعد فترة انتظار طويلة كي يبدأوا دراسـتهم. وشعرت بفقداهم، وكنت في شوق شديد إليهم. وعند التفكير في السّجن وافتقاد الأطفال تنتاب القلب مشاعر مزعجة. ووردت إلى ذهني خـواطر مفادها أنّ رؤية الأطفال لأمهم وهي في السجن سيؤثر عليهم تأثيرا سـلبيا جدّا. ثم سرح عقلي لبرهة مع الآباء والأمهات الذين قبعـوا في السـجون لأيام وشهور وسنين في سبيل معتقداهم وإيماهم. وأولئك النساء اللائي كن ضحايا للضّرب والإهانة، إنه أمر مؤلم، وسـألت الله تعـالى ألاّ يعاقبنـا بالسّجن...

وبينما كنا في انتظار قدوم المسافرين، نـزلت إلى الطـابق الأسـفل

لأجلس قليلاً مع السيد علي وحرمه وأقربائه. وغفوت قليلاً وأنا جالسة على المقعد. وبمجيء السيد أحمد خاقان تحولت الغرفة إلى استوديو. وكانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف بعد منتصف الليل. والآن كان ينبغي أن أُهيئ نفسي. وغسلت وجهي كي أزيل آثار قلة النوم والإرهاق. وبدأنا في التصوير، وكان هدفنا هو الرد على ما نشر عني في الإعلام المنحاز، والإجابة عمن أكون أنا، ونجحنا في ذلك. فقد مضيت بكل ما أستطيع في الكلام بصراحة، وحاولت كشف الحقائق قدر الإمكان. واعترضتني صعوبات كبيرة في ما يتعلق بالحديث عن حياتي الخاصة ومحيط أصدقائي، وهو الأمر الذي سعيت باستمرار في عدم الخوض فيه، والأمر نفسه بالنسبة إلى أُسرتي وأطفالي وزواجي الذي إنتهى.

فجأة تحدث أحمد خاقان عن موضوع حفظي للقرآن، فما كان مني إلا أن أجبته بالقول: "يجب أن تكونوا شغوفين بهذا الموضوع إلى حدّ الجنون". "فإذا لم تهتموا بالقرآن إلى حدّ الشّغف لا يمكنكم حفظه". إنّ هذا الأمر يثير في داخلي الفرح والسّرور مهما كانت معنوياتي هابطة. وأنا أوصي الجميع بحفظ القرآن لأنه يريح المرء الذي يجد فراغاً في حياته الرّوحية. إنّ هذه حقاً معجزة. والمعجزة الأكبر هي أنني بدأت في حفظ القرآن وعمري 26 سنة على يد "سلمى" أستاذتي في الحفظ التي كانت عيونها تتلألأ عندما تحدثني عن القرآن. كانت تقول لي "إنّ هذه إشارة على أنك ستكملين حفظه".

كنت قلقة من عدم قدرتي على إكماله. لذا ثابرت لمدة خمسة شهور، وكنت أعرض عليها يومياً خمس صفحات من القرآن. ولم أتحدث في هذا الأمر لأحد، حتّى أهلي لم أحدثهم بذلك. وعشت الفترة اللاحقة وهي مزدحمة بالنشاط الحزبي من جهة، وبحفظ للقرآن الكريم من جهة ثانية، واستمر هذا الأمر طيلة أحد عشر شهراً. وعندما قاربت من إكمال حفظ

القرآن في آخر ثلاثة أشهر، كثفت من نشاطي. وفي هذه الفترة استأذنت الحزب في الذهاب إلى والديّ في أميركا لأستقدمها كي ترعى أطفالي.

عند انتهاء التصوير في ساعات الصباح الأولى كان البرنامج مفيدا وثريًا، وبعد يوم من عرض البرنامج وصلت طلبات كثيرة لعرضه مرة أخرى. ولكن جاء إنذار من جهات عليا إلى قناة 7 يهدد بغلقها إن عرضته مرة أُخرى. وهنا كانت كلمات أحدهم ترن في أذني وهو يقول: "هذه هي تركيا المعاصرة... نعم... تحيا المعاصرة... يحيا فكرنا الإعلامي الحرّ!. الواضح أنّ إلزام "التوقيف عند الحد" لم يطل مروة قواقجي فقط؛ وإنما طال الذين يريدون إيصال صوتها عبر الشاشة أيضاً.

شاهدت تركيا كلها هذا البرنامج، وأعلم جيداً أن طالبات ثانوية الأئمة والخطباء في مدينة بورصة شاهدن البرنامج، وهن فرحات وباكيات في الوقت نفسه. فهن فرحات لأنهن شاهدن لأول مرة صرخاتهن تتجسد وتعرض على الشاشة، ورأين أن آلامهمنّ تخاطب إلى المشاهدين، وسمعن قضيتهن في حرمانهن من التعليم تدوّي في الآفاق. وكن باكيات لأنهن يعلمن أن مشكلتهن عويصة؛ بل إنّ الظلم الذي لحق بهن أصبح أمرا واقعاً.

عندما كنا نصور مع السيد أحمد خاقان كان العم بشير يتحدث مع والدي. والعمّ بشير كان قد أتى على عجل من أنقرة إلى استانبول إلى درجة أنه أخذ حقيبة أحدهم خطأ بدلاً من حقيبته الحقيقية. كل ذلك ليلتقي بي. وكان الموضوع هو مساندتي لأخرج من البلاد.

تركت الحكومة شؤون الشعب وأصبحت منشغلة بموضوع مروة قواقجي وحجابها، وكيفية إسقاط الجنسية عنها. وكأني أصبحت أهم قضية في تركيا. وبدوري كنت أجادل محاميّ حول ما إذا قام بإرسال "إعلام" أم لا. وهو الاقتراح الذي ورد من السيد جمال شانلي. وقد اتصل السّيد عبد

الله جول بأخي الأكبر أحمد قائلاً: "ينبغي على السيدة مروة أن تذهب فوراً لاستلام مرتبها. ومن فضلكم لا تهملوا هذا الموضوع". ورفضت هذه الفكرة لأن هذا الموضوع سوف يتحول إلى مشكلة في حدّ ذاته، سوف يقولون: "أنظروا! دفعوا لها وستعيد تفكيرها". وفهمت أنّ هذه الخطوة سوف تكون في محلها تماماً. ولو لم يكن ذلك الإصرار من قبل السيد عبد الله لما خطرت ببالي تلك الفكرة، خصوصاً وسط هذا الهرج والمرج.

ذهبنا إلى البنك فوراً، واستلام مرتبي هو ترسيخ لحقيقتي كنائبة في المجلس. ولكن لم تجرِ الأُمور بهذه البساطة. فقد بدأت العراقيل في الظهور بالرغم من كون الجميع قد استلم مرتبه منذ مدة طويلة. فالبنك يقول إنّ المجلس لم يصدّق على مرتبي. وسكرتارية المجلس العامة تؤكد أنّ المبلغ موجود في البنك، أما نحن فبقينا نسعى جيئة وذهابا. وأخيراً استطعت أن أحصل على المرتب بعد ثلاث محاولات، واستلمت المرتّب ولكن... بدأ الإعلام المنحاز يكتب: "كيف تُمنح قواقجي مرتباً؟" كما بدأت الضغوط تمارس على المجلس. وبعد هذا الضغط لم يكتفِ رئيس المجلس السيد يلدرم آقبُولُوط بقطع مرتبي؛ وإنما عزل السكرتير العام للمجلس من منصبه، وهو الذي منحني أوّل وآخر مرتب لي في المجلس. والحال أنّ مرتبات النّواب تصرف لهم حتى لو لم يؤدّوا القسم. بل ويحتوي أرشيف محاضر المجلس على نصوص تفيد باستلام خمسة من الشيوخ المرشحين بالتزكية لمرتباقم بالرّغم من عدم استطاعتهم حضور مراسم أداء اليمين ولأسباب مختلفة، بل وهناك شيخان من هؤلاء الخمسة لا تزال زوجة أحدهما تستلم مرتبه، بعد أن توفي، إلى حدّ الآن.

ونشرت هذه القائمة في تلك الأيام على صفحات جريدة "العقد".

وأسماء الشيوخ الذين استلموا مرتباقم دون أداء اليمين هي كالآتي:

م. سنجر، أ. بايوجَنْ، ب. جنكجي، ج. مَنْتَشْ، ف. مَلَنْ.

وفي فصل جديد من هذا الكتاب، سوف يدور الحديث حول رئـــيس المجلس السيد "يلدرم آقبُولُوط"، والذي ذكرني كغيره في كثير من المـــرات بعبارات غير مناسبة.

İşte Yemin Etmeden Senatör Maaşı Alanlar



KAMURAN AKKUŞ-ANKARA

Akıt: "Bu hanıma haddini bildirin" hezeyanlarını savunan linç mantığının maskesini düşüren vesikaları açıklıyor.

12 Eylül öncesi CHP'nin itirazı nedeniyle yemin ettirilmeyen, sadece bir ay görev yapan, ancak buna karşın özlük haklarını tıkır tıkır alan 5 senatörün maaş durumlarını ve sicil numaralarını Akit ele geçirdi.

Merve Safa Kavakçı'ya yemin ettirmeyenler, seçildiği halde özlük haklarını gasp ederken; TBMM kayıtlarındaki 5 senatörle ilgili veriler, dayatmacıların maskesini düşürüyor.

YEMİN ETMEDİĞİ HALDE MAAŞLARI ÖDENEN SENATÖRLER

1) Beyhan Cenkçı: Emekli Sandıgı Sicil Numarası: 35425028. Ölü. Maaşı alacak kimsesi yok.

2) Cevdet Menteş: Emekli Sandığı Sicil Numarası: 15931010. Yaşıyor. Maaşını İzmir'den alıyor. Maaş tutarı: 717 611 000. TL.

3) Ferit Melen: Emekli Sandığı Sicil Numarası: 06111090. Ölü. Mesude Melen. Hanımı. Ankara Beşevler Ziraat Bankası'ndan maaşını alıyor. Maaş tutarı: 322.625 000 -TL

Olcay Melen - Kızı (Maaş

جريدة "العقد" 3 ديسمبر 1999

الأحد 9 مايو 1999: عيد الأُمهات

قبل عودتي إلى أنقرة اجتمعنا مرة أو مرتين مع مجموعة المتطوعين التي كوّنها الأخ محمد آكساي. وشاركنا الإجتماع قريبي السيد أحمد، والسيد أحمد خاقان، والسيد علي بايرام أوغلو. وعقدنا أحد هذه الاجتماعات في طريقنا وسط المياه في استانبول. قمنا بتمشيط جميع نشرات الأخبار المعروضة على شاشات التلفزيون لمتابعة التطورات هذا اليوم.

وبمناسبة عيد الأُمهات الذي يصادف 9 مايو، قام وفد كبير من وقف الشباب الوطني مع منبر العاصمة بوضع أكاليل من الزهور أمام بيتي في أنقرة. وزار بيتنا ذلك اليوم أشخاص عديدون على شكل وفود لتقديم التهنئة بهذه المناسبة. وعلمت فيما بعد أنّ أُسرتي لم تستطع أن تستقبل الوفود داخل البيت بسبب المحاذير الأمنية. ولكنها استلمت رسائل التهنئة الواردة إليها. وتحولت مقدمة العمارة إلى حديقة زهور. وعندما شاهد العلمانيون هذه المشاعر الدافئة تجاهي، قاموا على الفور بوضع إكليل أسود أمام باب منزلي. ولكنني أشفقت على هؤلاء المساكين لأنّ مروة قواقجي استطاعت دخول القلوب في العديد من البلدان في العالم بسبب ما يفعله هؤلاء الذين يفكرون على شاكلة أجويد، ولكنهم لا يدركون ذلك. لم يكونوا يعرفون حجم المساهمة التي قدموها لخدمة القضية التي أسعى من أجلها.

وفي النهاية غدت قضية الظلم الذي لحق بالمتحجبات موضوع الساعة على مستوى العالم...

وكان هناك حديث قصير أدلت به والدتي إلى قناة 7 كان يعــرض في أمسية ذلك اليوم الأحد. وقد كانت تتحدث في تلك الأمسية بحالة نفسـية مختلفة جداً عن تلك الحيوية والنشاط المعروفين عنها. فقد كانت تتحـدث عن الأحلام الذابلة لابنتها.

وعرضوا في تلك الأمسية أيضاً لقاءً تلفزيونياً مع زوجـي السّـابق، وعُرض اللقاء بالمحتوى الأصلي مع تبلجة كتابية باللغة التركية. ولكن الفرق كان واضحا بين الحديث الأصلي وبين الترجمة الكتابيـة السـفلية. وقـد اكتشفَ هذا الأمر كل من يعرف الإنجليزية. وهكذا رأيت بأمّ عيني مـرة أخرى الانحياز المشين لبعض وسائل الإعلام، هذا الإعلام الذي يزعم المناداة بالحيادية ونقل الخبر الصحيح.

أمّ العـــام

مروة، نحن حزانى،

فقد خرجنا من الحقول،

مذنبون وعلى غير انتظار،

من الزوايا التي ننظفها،

من غرفنا،

من الغرف التي ربينا فيها الشهداء،

الشهداء الذين يسقطون من أجل الوطن،

وعلى غير انتظار،

نسينا يا مروة،

ثمن تغيير الصورة التي في الواجهة،

تجاسرنا وقرأنا،

تجاسرنا وأصبحنا رجالاً، أصبحنا أُمهات،

ولكن نسينا،

نسينا التشبه بالمرأة في الصورة الحقيقية،

لا يكفي أن نكون من قلب محلّي،

في خضم المغامرة من أجل البقاء،

خرجنا بدون قلب يا مروة،

لم نستطع أن نملك شرف أصواتنا،

ولا شرف وقفتك،

ولم تكف قوتنا أن نرى ما في ذاكرتك،

ولا لحماية الأمل في نظرات الأطفال،

ولكنك أم يا مروة،

أنت الأمل،

أنت امرأة،

قوية،

اصمدي وابتسمي،

لكي يُعرف أن،

"المروات" لا تنتهي،

فمن أمّ مروة واحدة،

تولد آلاف المروات،

أوزدن زهراء سونمز، فاطمة آقدوكور، خديجة كولَرْ، هدايت توكسال، أوزنور جيفي، فاطمة أونسال، أوزدن كولتكين، أمينة أوزجليك، هالة دوغان، خديجة أركمن، خديجة جليك، آيلا أوزتورك، خديجة قيليج، زينب كوزل، عائشة دوغان، صيلا بكتاش، نجلاء حاجي أوغلو، صفية أزوديمير، فاطمة آلتوُغ، فاطمة شفيقة آرابالي، معزز ينيلماز، سلمى ياسي، تُوبا آرابالي، خديجة أوزديمير، نورية أوزصوي، أمينة كونوللو، عائشة خطيب، تُوركان جوكورجا، وسيلة دميريل، آيتان بولات، حمَّيتْ ديمير، شاكرة تتار أوغلو.

جريدة "العقد"، 9 مايو 1999

إسقاط الجنسية التركية عني

لقد بدأت في البحث عن محام جيد حين انتابني قلق بشأن البدء بمقاضاتي قانونيا. والمحامون الذين وجدتهم بواسطة السيد عبد الله كانوا صغارا في السن فضلا عن كونهم قليلي التجربة. وكانوا كذلك يعملون اعتمادا على ما يعتقدونه، ويبذلون جهدهم بناء على ذلك. وكنت على يقين من حسن نيتهم، ولكنني كنت أحمل في داخلي شكوكا بخصوص كفاءتهم وخبرتهم المهنية. وللأسف تبين بعد فترة وجيزة أنني كنت على حق في شكوكي.

وكان البروفيسور جمال شانلي قد أكد لي ضرورة قيامي بـ "إبلاغ الحكومة بالمعلومات" عن امتلاكي لجنسية مزدوجة كإجراء شكلي بسيط، وأن الإيفاء بذا الإجراء يتم عن طريق كتابة عريضة في هذا المعنى. إلا أن المحامين الذين ينظرون في قضيتي لم يقوموا بهذا الإجراء بالرغم من أنني أبلغتهم بذلك. وهكذا أضيعت هذه الفرصة التي كان من الممكن أن لا تكلفني فقدان جنسيتي. وأصبحت مضطرة للبحث عن محام آخر يكون أكثر قدرة. وبعد أن أمضيت فترة من الوقت في البحث عن محام سألت السيدة نازلي عمن يمكن أن يقوم بهذا الدور. وعلى هذا النحو تعرّفت على السيد سالم أوزديمير، وهو نفسه الذي تولى فيما بعد الدعاوى التي رفعتها ضد حكومة أجويد. أما أخبار الافتراء والمبالغة والتضليل التي نشرت في الصحف فقد كلف مكتب محاماة آخر تعقبها.

وهذه الحكومة التي شرعت في سحب الجنسية التركية مني سعت إلى

التحري عن الجنسية الأميركية التي أحملها متجاوزة بذلك حدود ما أعلنته بضرورة "إلزامي حدودي". وعند سماعي بهذه الأنباء كنت في زيارة للسيدة أمينة أردوغان، وفي ذلك الوقت كان طيب بك في السجن. وكانت السيدة أمينة قد دعتني لزيارتها قائلة: "تعالي، لنجلس ونتحدث عما ستؤول إليه الأمور وعما تخبؤه الأيام". ولبيت هذه الدعوة، ورافقتني روضة في هذه الزيارة. وبينما كنا جالسين رن هاتفي المحمول، وكان أحد المراسلين هو الذي يتكلم، وقال: "حق الجنسية الأميركية سوف تفقدينها، ما تعليقك على ذلك؟". ترى ما الذي يمكن فعله سوى اللجوء إلى الله عز وجل القادر على كل شيء. ويبدو أن هؤلاء أصحاب الرأي الواحد يعتقدون أنهم قادرون حتى على تغيير القوانين الأميركية.

* * *

وعند رجوعي إلى أنقرة، كان المجلس قد افتتح بغيابي. وحسب ما سمعت في تلك الأيام فإن نائبات حزب الشعب الديمقراطي كن مستعدات للهجوم عليّ وتمزيق ملابسي في صورة ما إذا شاركت مرة ثانية في افتتاح المجلس وصعدت إلى المنصة. ولم يفاجئني هذا الخبر لأن هذا السلوك غير مستبعد منهنّ، بل هو سلوك يليق بهنّ.

وبما أن منزلي كان محاصرا بجحافل الصحفيين فقد كنت أبيت في منزل الخالة "مقدّر" وزوجها العم زكي أونال، وكانا بمثابة الوالدين الحميمين بالنسبة إليّ. وكان منزلهما يقع في المساكن الخاصة بالمجلس. وكان والدي وأطفالي وجدتي لأمي ينتهزون الفرصة لزيارتي في هذا المنزل. وكانت الصحافة قد علمت بخبر عودتي إلى أنقرة، ولكنها لم تستطع أن تتخطى حواجز الشرطة الموجودة في مدخل المساكن التابعة للمجلس، واستطعت أن أبقى هناك في أمان من شرّها.

وبينما كانت الأخبار المنتشرة في الصحافة والمتعلقة بإسقاط الجنسية

التركية عني تزداد يوماً بعد يوم، كانت الحكومة تسعى دون تأخير لعقـــد مجلس للوزراء. وكان قرار "حرماني من الجنسية التركية" قد أعد وينتظـــر عرضه على الوزراء للتوقيع عليه. وقد استند القرار على "مطبوعة حاسوب" غير رسمية أرسلت من قبل القنصلية التركية في "هوستون"، وكأنه لا شـــغل للوزراء سوى هذا التوقيع. وبالفعل تم التوقيع عليه خلال وقـــت قصـــير.

Sayfa : 34 RESMİ GAZETE 16 Mayıs 1999 – Sayı : 23697

Bakanlar Kurulu Kararı

Karar Sayısı : 99/12827

Ekli listede kimliği yazılı Merve Safa Kavakçı nın Türk vatandaşlığının kaybettirilmesi; İçişleri Bakanlığı'nın 12/5/1999 tarihli ve 27400 sayılı yazısı üzerine, 403 sayılı Türk Vatandaşlığı Kanununun 25 inci maddesinin (a) bendine göre, Bakanlar Kurulu'nca 13/5/1999 tarihinde kararlaştırılmıştır.

Süleyman DEMİREL
CUMHURBAŞKANI

Bülent ECEVİT
Başbakan

H. H. ÖZKAN Devlet Bak. ve Başb. Yrd.	H. ULUĞBAY Devlet Bak. ve Başb. Yrd.	Prof. Dr. Ş. S. GÜREL Devlet Bakanı	M. YILMAZ Devlet Bakanı
H. GEMİCİ Devlet Bakanı	F. ÜNLÜ Devlet Bakanı	A. TÜMEN Devlet Bakanı	Prof. Dr. S. ÖZTEK Adalet Bakanı
Prof. Dr. H. S. TÜRK Milli Savunma Bakanı	C. BAYAR İçişleri Bakanı	İ. CEM Dışişleri Bakanı	Prof. Dr. N. ÇAĞAN Maliye Bakanı
M. BOSTANCIOĞLU Milli Eğitim Bakanı	A. ILIKSOY Bayındırlık ve İskan Bakanı	M. G. KARAHAN Sağlık Bakanı	H. B. AKTAN Ulaştırma Bakanı
M. ERDİR Tarım ve Köyişleri Bakanı	H. TARTAN Çalışma ve Sos. Güv. Bakanı	M. ŞAHİN Sanayi ve Ticaret Bakanı	Prof. Dr. A. Z. AKTAŞ Enerji ve Tabii Kay. Bakanı
I. TALAY Kültür Bakanı	A. TAN Turizm Bakanı	A. SEZER Orman Bakanı	F. AYTEKİN Çevre Bakanı

13/5/1999 Tarihli ve 99/12827 Sayılı Kararnamenin Eki

LİSTE

Sıra No :	Soyadı :	Adı :	Baba Adı :	Doğum Yeri ve Tarihi :	
00001	KAVAKÇI	Merve Safa	Yusuf Ziya	Ankara	19/8/1968

Yürütme ve İdare Bölümü Sayfa : 34

Abdi İpekçi ... Merkez
İşhanı 13/31 Sıhhiye-ANKARA
Tel : 229 78 01 - 2?0 86 06
Fax : 230 47 93

İŞBU BELGE TARAFIMDAN
Türkçe den İngilizceye
ÇEVRİLMİŞTİR
Yeminli Mütercim
Orhan Öztekin

قرار مجلس الوزراء المنشور في الجريدة الرسمية بخصوص سحب الجنسية التركية من مروة

وكان من بين الموقعين على هذا القرار حسن بصري أقطان، وكان قد شغل منصب المدير العام للواردات في عهد حكومة "الرفاه يول". (حكومة الائتلاف بين حزب الرفاه وحزب الطريق القويم)، ووزيرا للمواصلات في حكومة بولند أجويد. وهكذا أسقطت عني الجنسية التركية بعد توقيع رئيس الجمهورية على القرار بتاريخ 13 مايو سنة 1999. وكانت الحيثية التي استند عليها القرار تنص على: "تم إسقاط الجنسية بسبب إتباع سلوك يتعارض مع الوفاء للوطن" بموجب الفقرة "أ" من المادة 25 من قانون الجنسية.

إن "إتباع سلوك يتعارض مع الوفاء للوطن" يتم التعامل معه على اعتبار أنه خيانة للوطن بموجب المادة 66 من الدستور. ترى هل قامت مروة قواقجي بنهب أموال الوطن، أم أنها كذبت على الأمة لكي تسقط عنها الجنسية؟ وقد كان هناك الآلاف من حملة الجنسية المزدوجة التركية والأميركية وجهوا لأجويد السؤال التالي، عند زيارته لواشنطن في سبتمبر 1999: "ترى هل ستسقط عنا الجنسية التركية لأننا لم نخبر الحكومة التركية بحملنا للجنسية الأميركية"؟ وكان جواب أجويد واضحا وقاطعا: "كلا، لقد تم إسقاط الجنسية التركية عن قواقجي بسبب وضعها الخاص". انظروا إلى جواب هذا الذي يدعي أنه ممثل للأمة، ويدعي أنه يؤمن بسمو العدالة وأن القانون فوق الجميع. الوضع الخاص لقواقجي، فما هو هذا الوضع الخاص؟ هل هذا يعني أن احترامنا للدستور هو مجرد شعار، وأن احترامه مرتبط بأمور أخرى؟ أم كان يعني أن القوانين التي تطبق على المحجبات تختلف عن تلك التي تطبق على غيرهن؟... ترى ما هو "الوضع الخاص" المذكور بالنظر إلى القانون؟

نعم... لقد تم إسقاط الجنسية التركية عني بعد 11 يوماً من دخولي قاعة البرلمان بقرار موقع من قبل أعضاء حكومة بولند أجويد السادسة

والخمسين. وكان من بين الموقعين السيد إسماعيل جمْ الذي نعرفه بأفكاره المؤيدة لانخراط النساء المحجبات في الحياة العامة. وصادف أن التقى العم زكي بك بعد فترة بالسيد إسماعيل جمْ، وعندما بادره بالقول: "لقد أدهشتنا بتوقيعك على القرار يا سيد جم، فنحن نعرفك صاحب فكر منفتح وتقدمي". وإزاء هذا الموقف بين إسماعيل جم بحزن عدم قدرته فعل أي شيء. وبعد مرور أيام قليلة صرح العم زكي في إحدى اجتماعات لجنة الموازنة التي هو عضو فيها أن القرار المذكور غير قانوني. ونتيجة لإصراره عليه ساد جو من التوتر في اجتماعات اللجنة، وعبر أعضاء الحكومة عن امتعاضهم وعدم ارتياحهم من موقفه هذا.

والظاهر أن أحدهم في الحكومة الأميركية قد أمد حكومة أجويد - ربما لقاء مقابل ما - بمعلومات خاصة تتعلق بجنسيتي الأميركية. وربما يأتي ذلك في إطار مساعدة الحكومة التركية، وبذلك يكون هناك تجاوز لقانون Privacy act المعمول به في أميركا. وعندما اتصلت بالسفارة الأميركية وكذلك بالحكومة الأميركية واستفسرت عن الموضوع، وعن الجهة التي سربت هذه المعلومات الخاصة بي لم أتلق أي إجابة. والحقيقة أن ثمة تساؤلا يتبادر إلى الذهن وهو "ما هو الشيء الذي أخذته الإدارة الأميركية من تركيا لقاء توفير مثل هذه المعلومات؟ ترى هل كنّا مجرد مربع صغير ضمن كلمات متقاطعة كبيرة"؟

نواب لا يحملون الجنسية التّركية

بإسقاط الجنسية التركية عني بدا في حياتي عهد جديد. وجاء هذا التطور ليصبح مادة دسمة تلوكها وسائل الإعلام في البلاد. وهناك من أصبح يرى انه يتعين علي الحصول على تأشيرة إقامة باعتباري أصبحت مواطنة "أجنبية". وطرح التساؤل التالي: "هل يمكن أن يصبح من ليس مواطنا تركيا نائبا في البرلمان"؟ أما الحكومة ذات الاتجاه الواحد في النظر فقد أوجدت لنفسها الإجابات متجاهلة القوانين. أما أنا فقد كان ينطلق من داخلي تساؤل مرير: "ألا يوجد من رجال القانون من يخشى الله؟"، وكل ما أريده أن أعامل معاملة عادلة أمام القانون مثلي مثل غيري.

كان لموضوع إسقاط الجنسية عني صدى واسعا في الصحافة العالمية، وقد عمدت الحكومة إلى محاولة إخفاء الخطإ القانوني الذي ارتكبته في المجلس، وبدأوا يصورون الأمر على أنه لا يمكن لمواطنة أميركية أن تكون نائبة في البرلمان التركي. وأصبحت القضية قضية جنسية لا مسألة حجاب، والأغرب من ذلك أنهم تغافلوا عن الآخرين الذين يحملون الجنسية الأميركية وركزوا اهتمامهم حولي فقط. والأمر الآخر أن إسقاط الجنسية عني يعتبر إجراء مخالفا للقانون لأنني نائبة في البرلمان، وعضويتي في البرلمان تمكنني من التمتّع بالحصانة.

إن هذه الحكومة الممثلة للفكر الشمولي قامت بتوضيح هذا الأمر على صعيد الدولي وفق أسلوب "ربما أخدع" وهو ما جعلها أضحوكة أمام العالم. وقام الاتحاد البرلماني الدولي بإجراء تفتيش حول ما فعلته حكومة

أجويد بحرماني من حقوقي كنائبة في البرلمان. إلا أن الحكومة أصرت على أنه ليس بإمكان قواقجي أن تكون نائبة في البرلمان وهي تحمل جنسية مزدوجة. وبالرغم من ذلك فقد كانت النتيجة إلى جانبي، حيث نصت على أن: "حقوق النائبة قواقجي وحقوق الناخبين في دائرتها الانتخابية باستانبول قد وقع الإخلال بها، وإلغاء عضويتها من المجلس لم يتم وفق الإجراءات الدستورية التي نصت عليها القوانين". وسوف أركز بعض الشيء على أشياء تثير انتباهكم، فيما يتعلق بالتطورات التي حصلت على صعيد الاتحاد البرلماني الدولي، وكذلك بشأن زيارتي إلى كوبا.

وبالرغم من مرور أسبوعين على ذلك كانت أنقرة لا تزال تعيش أصداء أزمة قواقجي. وفي الحقيقة لم تكن هناك علاقة مباشرة بين إسقاط الجنسية عني وبين عضويتي في المجلس، لذا سعت الحكومة من أجل إسقاط عضويتي في المجلس. وكانت الغاية أن يُشرع في مقاضاتي لإسقاط الحصانة عنّي، وبالتالي إسقاط إلغاء عضويتي. وكانت هناك مطالب بمقاضاتي وفق للمادتين 312 و169 من قانون العقوبات التركي استنادا إلى سببين وهما: تحريضي على التفرقة الدينية والعرقية واللغوية بسبب دخولي إلى البرلمان وأنا محجبة وكذلك بسبب اعتناقي للفكر الغرهابي بسبب كلمة ألقيتها في اجتماع نظمه المجمع الإسلامي بولاية أوهايو الأميركية. وكانت المطالب تتمثل في سجني لمدة 12 عاماً على جميع هذه القضايا. وكانت الحكومة تسعى لبدإ المقاضاة القانونية ضدي بسرعة. لذا قامت أولاً بمراجعة اللجنة الانتخابية العليا التي أثبتت عضويتي في المجلس ومنحتني مضبطة العضو البرلماني، وقدمت لها طلبا لإسقاط عضوية قواقجي بسبب كونها تحمل الجنسية المزدوجة. وكانت جميع قنوات التلفزيون منتشية بأصداء هذا الخبر، وهذه الأحداث كانت تنقل على شاشات التلفزيون لحظة بلحظة.

أما رئيس المجلس يلدرم أق تونا فكان يضفي على التلفزيونات طابعـــا متميزا بتصريحاته المتناقضة. وكان منتسبو القضاء والجيش يدلون بدلوهم في الموضوع. بل إن رئيس مجلس الدولة في أحد الاجتماعات لم يتـــوان عـــن تعبيره عن الحقد الدفين إزاء الحجاب.

قرار اللجنة العليا للانتخابات وإحالة الموضوع إلى البرلمان

(من الآن فلاحقا سوف أواصل كتابة القسم الموالي من الكتـــاب في بوسطن، بعد أن كتبت الأجزاء السابقة في واشنطن ودالاس. سوف أكون ضمن برنامج إدوارد م. فيلو في كلية كيندي التابعـــة لجامعـــة هارفـــارد الحكومية. وخلال هذه الفترة سيكون شارلز ريفر شاهدا على ما أقولـــه، وهو ما سوف يبعث فيه الحيرة والدهشة من المعارضة التي ثارت في وجهي بسبب مبادئي الدينية).

بالنسبة إلي هناك يوم آخر من الأيام التي قل أن رأيـــت مثلـــها، قضيتها في الخوف والرعب. اجتمعت اللجنة العليا للانتخابـــات في 17 مايو سنة 1999 برئاسة السيد "طوفان ألكان". وكان ينـــاقش مســـألة إسقاط العضوية البرلمانية عني. وكنت أتحدث مع بعض الضيوف، وكنت في الوقت نفسه أنتظر القرار ببالغ القلق. ومرة أخرى جـــاءني اقتـــراح للقيام بجولة خارج الوطن، فرفضت هذا الاقتراح مثلما فعلت من قبل. فالواقع أنه لم يكن يوجد أي سبب لكي أغادر الوطن. وفي ذلك المساء كان في ضيافتنا السيد مراد مرجان والسيدة كريستين وود من السفارة الأميركية.

كانت علاقتي بالسيدة كريستين قد بدأت قبل دخـــولي البرلمـــان. تعرفت عليها عندما كنت رئيسة للعلاقات الخارجية في حزب الفضيلة.

وكانت هي مكلفة من السفارة بمتابعة الحزب ونشاطاته. وقد تعرفت عليها أثناء أدائي لوظيفتي في هذا المجال، وتناولنا الأكل معاً، وتبادلنا وجهات النظر. ولم يدر في خلدي على الإطلاق أنني سوف ألتقي بكريستين مرة أخرى في ذلك اليوم الذي يمثل بالنسبة إليّ نقطة تحول في حياتي.

في هذا اللقاء لم نتحدث، كما كان الأمر في السابق عن السياسة الخارجية لحزب الفضيلة، بل كنا نتحدث عن قرار اللجنة العليا للانتخابات، وعن الموقف القضائي في حالة إسقاط عضويتي من البرلمان، وكذلك كنا نناقش مدى إمكانية تدخل الحكومة الأميركية باعتبار أنّ لديّ جنسية أميركية أيضاً. كانت كريستين قلقة، فالحكومة الأميركية نادراً تقدم المساعدات لمواطنيها إذا سجنوا في تركيا، فلم تكن تحدث زيارات رسمية إلى السجن إلا مرة واحدة كل ستة أشهر. وفي الوقت نفسه لم تتدخل في صورة ما إذا وقعت انتهاكات داخل السجن.

رنّ الهاتف، وكان المساء قد حلّ منذ وقت طويل، وقام العم زكي ليأخذ الهاتف. كانت دقات قلبي تتسارع بقوة. وبالرغم من محاولتي البقاء هادئة، وبالرغم من تفويضي الأمر لله تعالى إلاّ أنني لم أستطع إخفاء قلقي وخوفي. كان "صالح قبوسوز بك" هو الذي يتكلّم من الناحية الأخرى، وقد بشر العم زكي بأن اللجنة العليا للانتخابات أحالت موضوع إسقاط عضويتي إلى البرلمان. وفي الهاتف كلمني صالح بك قائلاً: "هنيئا لك، وأرجو أن يكون الأمر خيرا". وهذا القرار أشاع في البيت روحا من الفرح. ولكن، كلا، كلا، فحسب رأيي لا مجال للفرح. كان الخبر الذي أبلغنا به قد نشر داخلنا شعوراً ما بالارتياح. ما زلت أذكر جيداً ملامح كريستين في تلك اللحظات،

فبالرغم من أن الخبر كان إيجابياً فإنها أطرقت تفكر كأنها تعلم أنّ نهاية الأمر لم تحن بعد. وكان شعورها مشابها تماما لما كان يعتمل في داخلي. وقد ازداد هذا الشعور بعد الزيارة المفاجئة التي قام بها في تلك الليلة إلى بيتنا المدعي العام في محكمة أمن الدولة بأنقرة السيد نوح متا يوكسال.

وفيما بعد، ووفقا لما أخذته من أخبار من أحد المصادر الموثوقة فإن اجتماع اللجنة العليا للانتخابات مرت في جو عاصف. وقد كان أعضاء هذه الهيئة "يطلقون النار" ضدي، ويسعون جاهدين من أجل إسقاط عضويتي من البرلمان. وحسب هذه الرواية، فإن هاتفا وصل في تلك الليلة، وطلب قائلاً: "هذه القضية يجب أن تنتهي الليلة". فتكلم رئيس المجلس طوفان ألكان بالقول: "لنستدع مروة قواقجي، ولنأخذ إفادتها في الموضوع". وقد احتج عدد من النواب، وعبروا عن رفضهم قائلين: "إذا جاءت هي إلى هنا محجبة نخرج نحن من هذا المكان". بالله عليكم انظروا هذه المهزلة، لو صحت هذه المعلومات فأي بلاد هذه! أي قضاء مستقل هذا! وعلى إثر ذلك رد عليهم طوفان ألكان بشدة قائلاً: "وهل يستقيم هذا؟ إذا أردتم أن تخرجوا فاخرجوا، وسوف آخذ إفادتها بمفردي. فحتى المجرم، هل يستقيم أن يحاكم قبل أن يستمع إلى إفادته".

وعلى هذا النحو رمت اللجنة العليا للانتخابات الكرة في ميدان المجلس، وترك موضوع إسقاط عضويتي من البرلمان لهذا المجلس. ومثلما سوف نرى سوياً لاحقاً، فإن اللجنة العليا للانتخابات سوف ترفض هذا القرار وتعتبره لاغياً...

T.C.
YÜKSEK SEÇİM KURULU
Karar No : 1585
İtiraz No :

- 2 -

Olayda, Merve Safa KAVAKÇI'nın Türk vatandaşlığını kaybettiğine ilişkin 99/12827 sayılı Bakanlar Kurulu Kararı aday listeleri kesinleştikten, 18 Nisan 1999 tarihinde Milletvekili Genel Seçimleri yapıldıktan sonra 16.05.1999 tarihli Resmi Gazete'de yayımlanmış bulunduğundan seçilme yeterliğinin kaybının seçimlerden sonra oluştuğunun kabulü gerekir.

Bu durumda, Merve Safa KAVAKÇI'nın milletvekilliğinin düşürülme yetki ve görevinin Anayasının 84. maddesi ışığında Türkiye Büyük Millet Meclisi'ne ait olduğuna karar verilmelidir.

S O N U Ç:

Açıklanan nedenlerle;

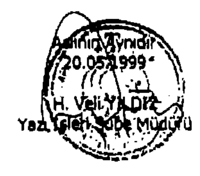
1- 13.05.1999 gün ve 12827 sayılı Bakanlar Kurulu Kararı ışığında seçimden sonra oluşan seçilme yeterliğinin kaybı nedeniyle Merve Safa KAVAKÇI'nın milletvekilliğinin düşürülmesine karar verme yetki ve görevinin Türkiye Büyük Millet Meclisi'ne ait olduğuna,

2- Karar örneğinin Türkiye Büyük Millet Meclisi Başkanlığına ve Başbakanlığa gönderilmesine,

17.05.1999 tarihinde oybirliğiyle karar verildi.

Başkan	**Başkanvekili**	**Üye**	**Üye**
Tufan ALGAN	Sabri COŞKUN	Resul ASLANKÖYLÜ	Kadir TOKMAN

Üye	**Üye**	**Üye**
Harun ÇETİNTEMEL	Yılmaz TAŞDELEN	Oktay İZGİEY



قرار اللجنة العليا للانتخابات

مداهمة أوغور دوندار

كما هو معروف فإن قضية مروة قواقجي قد أسالت كثيراً من الحبر في النصف الأول من عام 1999. وقد قال أحد الصحفيين بعد عام كامل من تلك الحادثة "لقد ارتفع معدل سحب أعداد صحيفتنا منذ أن دخلت مروة إلى البرلمان".

ومن خلال الهجوم الذي تشنه علي وسائل الإعلام كانت تسعى إلى ضرب عصفورين بحجر واحد؛ فهي من ناحية كانت تستجيب للدعوة التي أطلقها أجويد عندما قائلاً: "أوقفوا هذه المرأة عند حدّها"، ومن ناحية ثانية تعمل على زيادة شدّ انتباه الناس إليها وحشد شعبيتها.

في تلك الفترة كان أوغور دوندار يشغل المدير العالم للأخبار في "قناة D"، وقد طالت حملة التشويه التي يشنها ضدي أحوالي أيضاً. ففي أحد الأيام قدم السيد دوندار إلى مكتب خالي برفقة رجلين كان كل واحد منهما يحمل قطعة سلاح زاعمين أنها في زيارة مجاملة. فتح الموظف الشابّ باب المكتب، ولم يفهم ما الذي يحدث، وأصابه الاستغراب. ولم يعرف ما الذي يقوله لأغور عندما سأله عن خالي. وقد بلغت الوقاحة بأغور هذا إلى أن يفتش جميع غرف المؤسسة، ثم غادرها خاوي الوفاض، ولم يعثر على شيء. وفي وقت لاحق زعم أنني حصلت على إحالة من الحكومة الليبية لفائدة خالي الذي كان يعمل في المقاولات. وقد زعم أن ذلك كان في عام 1967 والحالي أنّ ولادتي كانت في عام 1968.

هذه المزاعم التي لا أصل لها أوقعت أخوالي في مشقة لا داعي لها. ومن دون أي سبب حُرموا من السفر إلى خارج البلاد. هل تعرفون ماذا يعني أن يقع أناس طاهرون في مثل هذه المواقف، أناس لم يُطعموا أبناءهم لقمة واحدة من الحرام، أناس شيمتهم العفّة؟ هل بإمكانكم أن تدركوا المدى الذي تستطيع الدعاية القذرة أن تصل إليه..؟

* * *

حتى الآن لا أستطيع أن أعود إلى بيتي. إلى حدّ الآن أقيم مع خالتي "مُقدّر" وعمّي زكي بك في بيتهما الواقع في المساكن المخصصة لأعضاء البرلمان في منطقة "أوران". وفي عطلة نهاية الأسبوع يأتي إلى هناك أبنائي وأمي وجدتي. وبارك الله في خالتي "مقدّر" وعمي زكي بك لقد كانا يعتبرانني مثل بنتهما. كان لديهما أربعة أبناء، وفي هذه الأثناء كنا نحاول الحصول على بيت خاص بي في هذه المساكن لكي أنتقل إليه مع أسرتي ولأنه مكان آمن، يحرسه رجال الشرطة فلا تدخل إليه وسائل الإعلام. ثم إن أطفالي سوف يرتاحون في هذا المكان. وكنت أقول في نفسي إنّ الانتقال إلى هذا المكان يريحنا من أذى وسائل الإعلام، فقد كنت ما إن أخرج من بيتي حتى نتعرض لهجمات جحافلهم بلا رحمة. وقد التقى زكي بك بإدارة الحزب لكي تحل مسألة السكن، بيد أن جهوده لم تسفر عن نتيجة. وأقبل اليوم الذي تُجرى فيه القرعة بخصوص المساكن ولكن لم أعط شيئاً، وفي الوقت نفسه لم يصدر أيّ تصريح بهذا الشأن. لا معاش ولا مسكن، ولا أحد غير أسرتي "لديه الاستعداد لعمل شيء ما".

كانت الأيام تتعاقب، وكنا نحس بالحزن بسبب الأخبار الملفقة التي تصدر من وسائل الإعلام. أما أنا فقد أصبحت حبيسة البيت، ولا

أستطيع الخروج وحدي إلى أيّ مكان. ولم يكن بوسعي قيادة السيارة. أما أبنائي فيذهبون إلى المدرسة في السيارة، ويدخلون إليها مصحوبين بموظف خاص بحمايتهم. وفي أوقات الرّاحة يظلون تحت رقابة معلميهم. وكان أكثر وقتي يمضي في المقابلات الإعلامية التي تجرى معي من أنحاء مختلفة من العالم، سواء كانت لقاءات تلفزيونية أو ريبورتاجات هاتفية. وكان اهتمام العالم الإسلامي بهذا الموضوع أكثر منه لدى العالم الغربي. فبعد عشرين عاماً من منع الحجاب في تركيا أصبحت هذه القضية محل نقاش في المحافل الدولية. ومن جانبي فقد كنت عازمة على استثمار هذا المناخ من أجل إنهاء الظلم الموجود في تركيا. إن الذين كانوا سبباً في كل هذا لم يضعوا في حسبانهم أن صدى ما ارتكبوه من ظلم سوف لن يبقى محصوراً في مكان واحد وإنما سيبلغ الآفاق ويفيض ليصل إلى العالم كله... صدى هذا الظلم سوف تردده الأيام، وعنه تكتب الأقلام، وعن برلمان الإنكليز سوف يصدر الشّجب والملام... هم لم يعرفوا أن الحق يعلو ولا يعلا عليه، وأن البقاء للخير فقط. ولكن في خضم هذا الزحام كانت بعض أصوات الإعلام، رغم قلتها، تنطق أيضاً بالحق. وكمثال على ذلك اللقاء الذي أجريته مع مجلة "أكتيال" بمساعدة من السيد عبد الله غول. وفي الحقيقة فإن المجلة نشرت اللقاء كما هو دون أيّ تحريف أو تغيير. وأنا ممنونة لها بذلك.

في شهر حزيران عام 1999 كنت أستعد لرفع دعوى إلى المدعي العام من أجل إثبات أن إسقاط عضويتي من البرلمان مخالف للقوانين. وكان محاميّ السيد سالم والسيد شرف مالكوتش والسيد مصطفى كاملاك وخالي قد اجتمعوا لعدة مرات للإعداد لهذا الموضوع. كنت أفكر في موضوع إسقاط البرلمان لعضويتي من البرلمان وما سوف يعقب ذلك من شكاوى وقضايا. ووفقا للمادة رقم 84 من الدستور، ووفقا

للمواد من 135 - 138 من النظام الأساسي للمجلس فإن الموضوع ينبغي أولاً أن ينظر فيه من قبل اللجنة المختلطة المتكونة من أعضاء لجنة العدالة والدستور. وفي هذه الأثناء ينبغي أن يسمع إلى دفاعي. وبعد أن تصوت اللجنة عليها ترسل إلى اللجنة العامة. وقبل المصادقة عليه بالأغلبية يتعين أن أقدم دفاعي.

إن الذين طردوني من اللجنة العامة للمجلس بسبب ارتدائي للحجاب، والذين منعوني من الصعود إلى المنصة هم أنفسهم مجبرون على الاستماع لدفاعي قبل التصويت. لكن هذا الأمر لم يتحقق، ولن يتحقق في أي وقت من الأوقات. فلو تكلمت فإن ذلك سوف يكون آخر كلامي في المجلس أمام الشعب التركي، لكن في الوقت نفسه كنت سوف أعلن نهايتهم وإفلاسهم في عيون الشعب. فهل يعقل أن تسقط العضوية عن نائبة تمثل تاريخ المرأة التركية وعاداتها وتقاليدها لأنها ظهرت أمام الناس وهي ترتدي الحجاب؟

ما الذي يمكن أن ينجزه أناس كانوا قبل الانتخابات يقولون: "نحن من سوف يحل مشكلة الحجاب". وبعد الانتخابات لا يستحون حتى من نزع حجاب النائبات التبعات لهم؟ كيف يمكن لهؤلاء الذين خدعوا شعب الأناضول عندما ارتدت بعض نسائهم الخمار على رؤوسهن، بل وكانوا يوزع غطاء الرأس في الطرقات، كيف يمكن لهؤلاء أن يظهروا مرة أخرى أمام الناخبين؟ فهل يستطيع هؤلاء أن يخدعوا الشعب مرة أخرى؟ ولهذا السبب، فهؤلاء لا يستطيعون إسقاط عضويتي من البرلمان عند الالتزام بالقانون؟

في الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة 1999 قدم النائب رفعت سردار أوغلو من حزب "الوطن الأم" اقتراحا يتعلق بالنظام الداخلي للمجلس عن القيافة (الزّي).ووفقا لهذا الاقتراح يتعين إضافة عبارة

"ضرورة أن يكون رأس النائبات مكشوفاً". ما أعظمها من خطيئة! تصدر عن نائب في البرلمان، اقتراح يؤكد المعاملات غير القانونية. ما هو السبب الذي دعا إلى إضافة مثل هذه العبارة إلى "النظام الأساسي" للمجلس (الدستور)؟

وكان هناك اقتراح آخر لتغيير الدستور شبيه بهذا عرض على البرلمان من قبل عمر إزكي النائب عن حزب "الحركة القومية"، وعلي إلكسوي النائب عن حزب اليسار الديمقراطي ونجاة أرسفان النائب عن حزب الوطن الأم. وقد جاء في الاقتراح إضافة عبارة تفيد بأن رؤوس النواب ينبغي أن تكون مكشوفة. وهذان الاقتراحان يؤكدان أن تصرفي لم يكن أبدا مخالفا للدستور. غير أن هذه الاقتراحات لم تعرض على اللجنة العامة من أجل التصويت عليها. فالتصويت عليها في المجلس ليس سهلاً. وهذا الاقتراح رفض مرتين في اللجنة الدستورية، كما أن نواب حزب الحركة القومية وأعضاء حزب الفضيلة صوتوا بالرفض. لكن وفي الدورة الثالثة، وبسبب الضغوط التي تعرض لها نواب الحركة القومية من الشركاء في الحكومة لم يشاركوا في التصويت، وفي النهاية اضطروا بالتصويت بنعم.

(وفي هذه اللحظات وبينما أن اكتب هذه السطور، وصل إلى سمعي صوت الراديو الذي كان موجودا بجانبي. كان المذيع في إذاعة "البي بي سي" (هيئة الإذاعة البريطانية) يقول: "رئيس الحكومة في تركيا بلند أجويد يتعرض لضغوطات من أجل الاستقالة، واليوم استقال من حكومته مساعده حسام الدين أوزكان و19 نائبا". نعم، حسام الدين أوزكان الذي كان يلازم أجويد ملازمة ضله. وعندما كنت أدخل إلى المجلس أذكر جيداً ضرباته بيده على المقاعد.

Yeni Şafak Online POLİTİKA

ANAP'tan inanılmaz teklif

ANAP, kadın milletvekillerinin Meclis Genel Kurulu'na başları örtülü olarak girmesini yasaklayan bir hükmün içtüzüğe konulması için ilk adımı atan parti oldu.

Ankara- ANAP, kadın milletvekillerinin Meclis Genel Kurulu'na başları örtülü olarak girmesini yasaklayan bir hükmün içtüzüğe konulması için ilk adımı atan parti oldu. Teklifi ANAP İzmir Milletvekili Rıfat Serdaroğlu hazırladı. Bu teklif ile birlikte, İstanbul Milletvekili Merve Kavakçı'nın Meclis'e girmesini engelleyen bir içtüzük hükmü olmadığı, Kavakçı'yı fiilen engelleyenlerin hukuk-dışı hareket ettikleri kabul edilmiş oldu. Serdaroğlu'nun hazırladığı teklifte, içtüzükün kıyafet ile ilgili 56. maddesinde, TBMM Başkanı veya vekilliğine kadın milletvekili seçildiğinde ortaya çıkacak "frak giyme sorununa" çözüm getirilirken, Meclis'e başörtüsü ile girilmesi de yasaklanıyor.

Mevcut içtüzükte bir kadın milletvekilinin Meclis Başkanı veya Başkanvekili seçildiğinde bu görevler yapılırken giyme zorunluluğu olan frak yerine ne giyeceği belirtilmezken, Serdaroğlu'nun hazırladığı teklifle kadın başkanın kıyafetine açıklık getiriliyor. İçtüzük değişiklik teklifinde, "Başkanlık kürsüsünde erkek başkan, TC'nin merasim kıyafeti olan beyaz kelebek kravat ve siyah yelek üstüne siyah frak, kadın başkan siyah uzun etekli tayyör ve beyaz açık yakalı bluz giyer" deniliyor.

Başörtüsüne yasak

Başörtüsünü engelleyen bir yasa olmamasından hareketle, FP İstanbul Milletvekili Merve Safa Kavakçı, Meclis'in 21. dönem ilk toplanısına başörtüsü ile girmiş, ancak yemin etmesi, başta Başbakan Bülent Ecevit olmak üzere DSP'liler tarafından hukuk-dışı olarak fiilen engellenmişti. ANAP'lı Serdaroğlu tarafından hazırlanan teklifle, başörtüsü açıkça yasaklanıyor. Teklifte, "Genel Kurul Salonu'nda yer alan milletvekilleri, bakanlar, Türkiye Büyük Millet Meclisi Teşkilatı memurları ve diğer kurum personeli, ceket giymek, kravat takmak ve başı açık olmak zorundadırlar. Kadınlar, başları açık ve tayyör giyerler" deniliyor.

صحيفة يني شفق، 11 يوليو 1999

زلزال 17 أغسطس 1999

كنت مع أختي روضة في قونية، بدعوة من إحدى صديقاتي. وفي الليل أخذتنا إلى بيت لنقيم فيه. كنّا في غاية التّعب والإرهاق. ونمنا باكراً لأنّ ثمّة نشاطات كثيرة تنتظرنا في اليوم الموالي. وفي الصّباح نهضنا على صوت مفاجئ لهاتف صديقتي، وسألنا: "لا بأس إن شاء الله؟"، فأجابت لقد حدث زلزال في استانبول، وتحرّكت بنا الأرض". وفي تلك اللحظة لم أفكّر سوى في أبنائي. واستيقظت روضة أيضاً. وأمسكنا بالهاتف ونحن ندعو: "رحمتك يا رب". وطلبنا بالهاتف، ولكن ما من مجيب في بيت روضة الكائن في "إتْشَرَان كوي". لا أمّي تجيب ولا جدّتي تجيب، ولا فاطمة ولا مريم، ولا أروى ابنة فاطمة، ولا أخوالي في بايقوز ولا أبناء أعمامي وعمّاتي... "اللّهم ألطف بهم". وكنّا نطلب بالهاتف مرّة هؤلاء ومرة أخرى أولئك، ونحن في جوّ من القلق والخوف. وفي تلك اللّحظة طلبنا عثمان بك، فقد عوّدنا أن يكون حاضراً في كلّ وقت وفي كلّ مصيبة:

عثمان بك، ما الذي حدث؟ هل أنتم بخير؟ أين أفراد أسرتنا؟

لا تقلقوا ،هم جميعاً بخير، ما إن انتهى الزلزال حتّى طلبتهم بالهاتف، وحملتهم جميعاً إلى "أتا شهير"، وهم بخير. وجميع أفراد الأسرة اجتمعوا هناك. وأنتم هل حدث عندكم شيء؟

كلاّ، نحن لم نشعر بأيّ شيء.

تحدّثنا مع عثمان بك، ولكن بالرّغم من ذلك لم تطمئنّ قلوبنا، فطلبنا

جميع أفراد العائلة واحداً تلو الآخر بالهاتف النقّال، واطمأننا على كلّ من استطعنا الاتصال به. وعلمنا أنّ القسم الآسيوي من استانبول لم تحدث فيه خسائر كبيرة، ما عدا الدّمار الواسع الذي حلّ بمنطقة "أده بازاري" وما حولها من مواقع سكنية.

كنّا ننتقل داخل البيت جيئة وذهاباً، وتغيّر كلّ شيء في أعيننا. وفي اليوم الموالي أنهينا برنامجنا على عجل ورجعنا إلى استانبول. واستمعت من أمّي تفاصيل ما جرى في تلك اللّيلة:

– كانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف الّيل وفي التلفزيون SHOW كان يوجد إعلان لبرنامج يتعلّق بك. كان "رها مختار" يقول في غبطة كبيرة: "انصرف أخُ مروة قواقجي من ساحة "المصارعة الحرة" المقامة في أده بازاري، وهو يبكي (وهكذا عرفت من السّيد "رها مختار" أنّ لي أخا)، وقلت في نفسي، لا بأس، أشاهد هذا البرنامج وأنام بعد ذلك، وفي تلك اللّحظة بدأت الأرض تتحرّك من تحت قدميّ. وفهمت للتوّ أنّه زلزال. وفي البداية أسرعت نحو أروى. وعندما أردت أن أمسك بأحد طرفي السّرير تدحرجت أروة إلى الجانب الآخر من السرير.

وبدأ الأطفال (بنتاي) في الحديث:

– صاحت جدّتي وصاح جدّي، ورفعوا أصواتهم بكلمة الشهادة. ووقفنا جميعاً بالقرب من الجدار القريب من الباب. لقد كانت لحظات مرعبة! كانت أمّي تقول: كان ثمّة صوت، نعم كان هناك صوت يأتي من باطن الأرض! ذلك هو الذي أرعبنا أكثر. لقد ظننّا أنّ السّاعة قد أزفت.

* * *

كان الجميع يروون نفس القصّة. وبعد مرور أيّام، ذهبنا إلى "أده بازاري". وإلى "كوجلوك" وإلى "إزميت". وعندما تحدّثنا مع الأهالي هناك

كانوا يقولون: حقّا إنّه صوت لا يمكن وصفه، كأنّ الأرض ستبتلع كلّ شيء، وجميع الكائنات... هكذا كان هذا الصوت". وعلى جناح السرعة اجتمعت مع صديقاتي في "الهيئة النسائية" وشرعنا في البداية في حملة مساعدات بكل ما أوتينا من جهد، لمن هم في حاجة إلى المساعدة.

ذهبنا إلى "أفجيلار"، ورأينا رجال الإنقاذ وهم يحاولون إنقاذ حياة رجل يطلبهم بالهاتف من تحت الأنقاض، ورأينا أناسا يبكون على قارعة الطرقات، وحاولنا أن نشاركهم أحزانهم.

كانت الكارثة الحقيقية في"كولجوك" و"أده بازاري" ثمّ في "دوزجة". ما رأيناه في هذه المناطق كان مؤثّراً ويدعو إلى التّأمل. عندما دخلنا المدينة كنّا مندهشين من هول ما رأينا "ما أعظمك يا ربّ، لا شيء يعجزك"!

لقد كنّا موقنين أنّ قدرة الله تعالى لا تظاهى، غير أنّ الانسان عندما يرى هذه المشاهد أمامه، يشعر أكثر بالخوف ويوقن بتلك العظمة الخارقة. بنايات، نعم بنايات شاهقة من ستّة طوابق وسبعة طوابق أصبحت أثراً بعد عين... ما الّذي حدث لهذه البنايات؟ هل تزلزلت وتهشّمت فقط،أم ماذا؟ كلاّ إنّ الأرض قد انشقّت وابتلعتها الواحدة تلو الأخرى.

مررنا بالقرب من أحد المنازل، فرأينا سقفا مهشّما يعلو على الأرض بقليل، فقيل لنا إنّ هذا هو الطابق السابع من العمارة، نعم هو الطابق الأخير، أمّا بقية الطوابق فقد ابتلعتها الأرض. كنّا ننتقل بعيون ملؤها الحيرة والدّهشة بين أنقاض كانت في وقت من الأوقات مكانا يلعب فيه الأطفال ويمرحون ويركضون، وكنا ننتقل كذلك بين أنقاض أزقة كانت في وقت من الأوقات مكانا للباعة المتجوّلين.

مرّة أخرى وجدنا أنفسنا أمام منظر لأنقاض بيت أثّر في أنفسنا تأثيرا بالغا. لقد دمّرت الواجهة الأمامية للمنزل تدميراً كاملاً، وأصبح كما لو

أنّها لعبة أطفال؛ أشياء مبعثرة وبداخلها خزانة ملقاة على الأرض وموبيليا مهشمة، والرياح تعبث بالستائر البيضاء المطرّزة بالدنتال مرّة إلى الدّاخل ومرّة أخرى إلى الخارج. وهذه المأساة تذكّرنا مرّة أخرى بواقع الإنسان. وهناك مشهد آخر لم يُمح من ذاكرتنا، إنّه مشهد عمارة كبيرة وقد مالت بنحو 45 درجة، واستندت إلى عمارة أخرى ضخمة، وبقيت على ذلك الحال، وهناك بناية أخرى ظلّت شامخة في مكانها، بينما تهشّمت جميع البنايات الأخرى المحيطة بها...

وبعد أن تحوّلنا وتنقّلنا انتبهنا إلى أمر مهمّ، فالمنازل التي تهدّمت كلّها بنايات حديثة، أمّا المنازل القديمة والعتيقة، وكان بعضها من الخشب فقد ظلّت صامدة. وحسب ما علمنا بعد ذلك فإنّ السبب هو رغبة المقاولين في الرّبح، واستعمالهم لمواد غير سليمة حتى تكون أرخص. كانت منطقة "كوجلوك" ميدانا للعبرة وأخذ الدروس. لقد ابتلع البحر مترامي الأطراف الطرقات والمنازل و... نعم كان مركز زلزال السّابع عشر من أغسطس هو قيادة الأسطول بكوجلوك. هناك فرق كبير بين أن يشاهد المرء ذلك الأخدود العظيم الذي فتح في الأرض من خلال التلفزيون، وبين أن يراه رأي العين ،فالإنسان يتكوّن في داخله إحساس رهيب بالدّهشة...

كنت مع مجموعة من النساء التابعات لحزب الفضيلة نخرج معاً كل صباح باكراً إلى منطقة "أده بازاري" ومنطقة "كوجلوك" ولا نعود إلى استانبول إلاّ في ساعة متأخرة من اللّيل، وكنّا قد كلفنا من قبل "هيئة الإغاثة والمساعدات الإنسانية" (IHH) لتوزيع الإعانات على المتضرّرين.

وفي هذه الفترة تعرّضنا لمضايقات من قبل قوّات الأمن والجندرمة. لماذا؟ لأنّ "كُبراءنا" يعتقدون أنّ مساعداتنا سوف تزيد في تقوية صلة النّاس بالدّين، ولذلك سعوا قدر الإمكان لعرقلة عملنا الإغاثي. بعد الزلزال مباشرة طارت شركة كومباسان Kombassan من قونية إلى "أده بازاري"

من أجل توزيع قدور الطعام، وفيما كنت أمام إحدى الخيام خاطبني أحد المتطوّعين قائلاً:" سيدة مروة، إنهم مثلما يزعجوكم أنتم يزعجوننا نحن أيضاً. لقد أوقفوا مساعداتنا، وقالوا لنا: عليكم بمغادرة هذا المكان". ورأينا في مكان آخر، خياما تابعة لشركة أخرى عطلت و لم تتمكن من إتمام أعمالها.

اصطحبت معي ابنتيّ فاطمة ومريم لكي يساهما في توزيع الإعانات على الأطفال. وبالرّغم من أنّ بعض الصديقات عبرن عن قلقهن من ذهاب الأطفال إلى المناطق المنكوبة، إلاّ أنّني رأيت أنّ ذهابهما معنا يمكن أن يخفّف ولو قليلاً من آلام الأطفال المتضرّرين من الزلزال. وبالفعل تمكنّا من توفير كمّيات كبيرة من الألعاب وكلّفناهما بتقديمها.

وتنقّلنا في المناطق التي أقيمت فيها المخيّمات منطقة بعد منطقة، وواسينا المنكوبين، ووزّعنا عليهم الإعانات. وفي الوقت نفسه أخذنا قوائم في المتضرّرين ماديا ومعنوياّ، وبكينا عندما وجدنا امرأة فقدت ابنتها في السّابعة من العمر، وامرأة أخرى لطفلين، وامرأة أخرى لطفلين فقدت ابنتها في الرابعة والعشرين من العمر،... وبالرغم من الظلام الحالك والغبار والتراب، والأحوال السيّئة فقد عانقتني فتاة شابة بادرتني بالقول:آه، ألست أنتِ مروة قواقجي"؟ وتعانقنا مرّة أخرى، وشعرنا جميعاً بأهمّية أن نكون يداً واحدة سواء في السّعادة والخير أو في الألم والحزن. وفي المساء عندما ننطلق في الطريق في ساعة متأخّرة باتجاه استانبول تكون قوانا منهكة، وأجسامنا متعبة، لكننا نشعر بالرّضا لأنّنا استطعنا أن نفعل شيئاً ما.

إنّه لا يكفي أن يكون النائب البرلماني حاضراً في المجلس فقط، بل حقيقة وظيفته أن يكون حاضراً بين الشعب والنّاس، قريبا من النّاس، بعيداً عن الأضواء والإعلام...

اجتماع في بلدية مدينة استانبول الكبرى

ما حصل بعد الزلزال وما قامت به حكومة أجويد لعرقلة المساعدات على ضحايا الزلزال ألقى بظلاله على الواقع. وقد أبعدتنا أجواء الزلزال ولو قليلاً عن الأجواء السياسية التي تدعو إلى التشاؤم. وفي الحقيقة لم أكن أتوقع أن الأعلام سوف يكون بذلك الحضور المزعج عندما كنت بصدد الدخول الى المبنى المركزي لبلدية استانبول للمشاركة في أحد الاجتماعات لأنّ الاجتماع مقرر أن يكون بين نواب مدينة استانبول ورئيس البلدية نفسها، وهو اجتماع خاص، وهذا ما كان مطروحا. لكنّني أدركت للتوّ عند الدخول، وقبل بداية الاجتماع بقليل أنّ الأمر على غير ما كنت أتصوّر.

ما إن جلست على المقعد المخصص لي بجانب البروفيسور الدكتور نوزاد يلجين طاش، حتّى سمّرت أضواء أجهزة الكاميرات نحوي حتى كادت تقطع عليّ أنفاسي. وحاولت أن أركز انتباهي على السيّد كورتونا الذي كان يشرح ما قامت به البلدية من جهود لتطوير البنية التحتية. وفي حديث قصير مع السّيد نوزاد يالجين طاش سألني عن أحوال أمي وأبي ورجاني أنْ أبْلغهما سلامه؟ ثم أضاف:" إنّ أبوك كان معلّمي في اللّغة العربية". وكان السيّد كورتونا يتحدّث عن التطوّر الّذي شهدته مدينة استانبول منذ عام 1994 بفضل الخدمات التي قدّمتها بلدية استانبول برئاسة السيّد طيب أردوغان مع حزب الرّفاه في البداية ثمّ حزب الفضيلة فيما

بعد...و لم تخفّ أضواء الكاميرات المنصوبة لمدّة ساعة ونصف الساعة. وقد جعلتني هذه الأضواء أشعر أنّني سجينة كلّ العيون.

كنت جالسة مثل التمثال لا أتحرّك عملاً بالتّعليمات الـتي وطّنـت نفسي عليها وذلك حتّى لا أعطي أيّة فرصة للإعلام لكي ينال منّي، وكنت أبذل قصارى جهدي في سبيل ذلك. وانقطع التّيّـار الكهربـائي فجـأة، فتوقّف البرنامج لبعض الوقت، فتكلّم السّيّد نوزاد يلجين طـاش قاصـدا الصحفيين: "سبحان الله انظروا إلى هؤلاء النّاس، أليس لديهم عمل آخـر! إنّهم لا يكادون يصرفون عيونهم عنها". واكتفيت أنا بابتسـامة خفيفـة. وكنت أعرف جيداً أن السيد نوزاد كان يشعر بما أعانيه في تلك اللّحظـة. وهناك حادثة أخرى تشبه هذه الحادثة تماماً، وقد كان ذلك عندما قـدمت من أميركا لكي أدلي بصوتي في مؤتمر حزب الفضيلة. وعندما نـزلت في المطار، كان أحد الأصدقاء من الصحفيين شاهد عيان على الضيق الـذي أصابني من رجال الإعلام فقال: "السيدة مروة، حقيقة إنّني كرجل إعـلام أوّل مرّة أفهم كم أنّ عملك صعب".

وبعد انتهاء الاجتماع حصلت حادثة لا يمكـن أن أنسـاها علـى الإطلاق. فعندما أنهى السيّد كورتونا الاجتماع، قمـت مـن مكـاني، وحاولت الخروج، إلاّ أنّ أجهزة كاميرات ضخمة وأيادي كثيرة أعـاقتني عن الخروج. بل حتّى المكان الذي أجلس فيه كانت الكاميرات تقترب منه إلى درجة أنّني لم أستطع التحرّك، وجاء صوت من أحدهم في نبرة غريبـة: "من الذي دعاك إلى هنا؟ وبأيّ صفة أنت موجودة هنا؟". وكأنّه يسائلني، وعندما قلت: "يومكم سعيد" ردّ قائلاً: "دعينا من "يومكم سعيد"، أجيبينا عن السؤال الّذي سألتك إيّاه". ولا أدري من أين يكتسب بعضهم الجـرأة والشجاعة لينـزل إلى هذا الحضيض؟

دعوى ضد الحكومة لا طائل من ورائها

لقد أصبحت تركيا دولة تداخلت فيها السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. وفي بعض الأحيان يصبح من غير الممكن أن نفهم ما هي السلطة التشريعية وما هي السلطة التنفيذية وما هي القضائية. إذ يمكن لرجل القضاء أن يتحدث من موقع رجل التشريع. فالجميع يزعمون أنهم يعرفون كل شيء. فهل من الممكن أن نعيش في بلاد هذا حالها؟ ويظهر ذلك بشكل خاص عندما تثار المواضيع الدينية، فالجميع له ما يقوله في خصوص الأشخاص الذين لهم توجه ديني، أو يزعم أن لهم توجها دينيا.

رفعت قضية ضد الحكومة أجويد التي تعتبر السبب في حرماني من الجنسية، إلى مجلس شورى الدولة، بيد أنه وللأسف لم يستمع لهذه الدعوى، وكان المحامي الخاص بي السيد أوزدمير هو الذي أعد هذه الدعوى بالاشتراك مع المستشار القانوني في الحزب. وكانت هذه الدعوى مثالا واضحا على تسييس القضاء. وقد أوصدت في وجهي جميع الأبواب، ولا ادري إن كنت سأجد العدالة في هذه البلاد.

وانتظرت وانتظر المجتمع أيضاً معي لمدة طويلة نتيجة هذه الدعوى. وكان رئيس المجلس السيد يلدرم أق بلوط يجيبني دائماً بأنه في انتظار قرار مجلس شورى الدولة فيما يتعلق بقضيتي التي رفعتها بعد أن تم تعليق عضويتي في المجلس. وبهذا الشكل كان يماطلني، وعلى هذا النحو كان الزمن

يمضي لصالح هذه العقلية التي سلبتني حقي. وفي الحقيقة من المفروض أن أفوز بهذه القضية لأن حكومة أجويد ظلمتني، ونزعت مني جنسيتي خلافا للقانون. وليست هناك أية صلة قانونية، من قريب أو من بعيد بموضوع استمرار عضويتي في البرلمان. غير أنه لم يكن بالإمكان شرح هذا الأمر للسيد أق بلوط بأي وجه من الوجوه.

وبالرغم أنه كان بالإمكان أن أستعيد جنسيتي مرة أخرى في المستقبل بأن أتزوج من تركي إلا أنني لم أسحب الدعوى التزاما "بمبادئي". ذلك لأن نائبا يتمتع بالحصانة يجرد من جنسيته بقرار يحمل حكما جنائيا. وعد رفع هذه المسألة إلى القضاء قد تستغله الحكومة من أجل إسكات الأصوات المعارضة من في داخل البرلمان. وهذا الأمر يشكل سابقة من الناحية القانونية. فالحكومة لأي سبب من الأسباب، ومن أجل إسكات الأصوات المعارضة يمكن أن تنزع الجنسية ممن تريد برغم الحصانة التي يتمتع بها. وفي هذه الأيام تمكن من رفع دعوى أخرى ضدّ الحكومة في المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان.

وبالنسبة إلى الدعاوى الأخرى التي رفعتها ضد الكتابات التي كتبت بحقي وأساءت إلى من الناحية الاجتماعية، وهي 150 دعوى فقد كانت نتيجة قسم كبير منها في صالحي بعد أن أحيلت إلى محاكم الاستئناف (محاكم التمييز). وهناك قضية أخرى رفعتها ضدّ إحدى الصحف التي نشرت بحقي مزاعم كاذبة وصوراً مزيّفة تتطلب تعويضات معنوية انتهت بإعلان قاضي المحكمة الابتدائية الرابعة عشرة في أنقرة بالقول: "إنّ المدعي (المشتكي) على حق".

ضيف غير متوقع

وكانت مادة النظام الداخلي التي بادر نواب البرلمان من حزب اليسار الديمقراطي (DSP) وحزب الحركة القومية (MHP) وحزب الوطن الأم (ANAP) بمحاولة تغييرها من جهة، والمسار القضائي الذي يقوده المدعي العام بمحكمة أمن الدولة في أنقرة نوح متّا يوكسال من جهة أخرى، دليلا على "قوة" المرأة التركية المحجّبة التركية.

وكان السيد نوح متا يوكسال قد بدأ إجراء تحقيق بشأني عقب دخولي البرلمان لأداء اليمين، وذلك استنادا إلى بعض مواد الدّستور، واستنادا كذلك إلى المادّتين 312 و169 من القانون الجنائي التركي. وكنت كلما تابعت الأخبار "العاجلة" في التلفزيون حول الدعاوى المرفوعة ضدي ترتعد فرائصي خوفاً. وقد جدّت تطورات في الآونة الأخيرة ما كانت تخطر على بالي، وما كنت أتخيلها! فقد أصبحتُ مشاهدة لا ممثلة.

وعلى خلاف حياتي في المراحل السابقة، فقد أصبحت لا أتحكم في حياتي الجديدة التي بدأت مع ترشحي لنيابة البرلمان، بحيث أصبحت غير قادرة على التحدّث كما أشاء وعلى التخطيط لـ "الغد" كما أريد وعلى تجنب بعض الأشياء التي لا أريدها، نعم، لم يعد كلّ شيء يسير كما أريد. وكنت أُجهد نفسي لكي أجتاز الحواجز التي تنتصب أمامي كل يوم، وكلّما أوشك على تجاوز أحدها يعترضني الآخر بحجمه العملاق. وأنا؛ هذه الأمّ التي تحاول تسيير حياتها وفق تنظيم وتخطيط معينين، ووفق مبادئ معلومة، أصبحتُ أتخبط داخل هذه الفوضى دون معرفة ما يجب فعله ولا

ما سوف يحدث في الغد لأن جميع محاولاتي كانت لا تجدي نفعاً. وفي المقابل كانت هناك قوى خفيّة تضع الحسابات صباح مساء لتدمير حياة هذه "المرأة الشابة المحجّبة". وبالرغم من الصيحات التي أطلقتها في وجوههم: "دعوني وشأني، كفى ما ألحقتموه بي وبعائلتي" فإنّ صوتي ظل غير مسموع.

كان انتخاب السيد "يلدرم أق بلوط" رئيساً للبرلمان بدعم من حزب الفضيلة قد عقّد أموري أكثر فأكثر، فقد كان السيد أق بلوط يردّ على الأسئلة المتعلقة بي ردوداً متناقضة، وهو يقول شيئاً ثم يكذّب ما قاله بعد قليل. وكان أق بلوط محقّا أيضاً، من جهة أخرى، لأنّ الوضع تعقد إلى درجة لا سبيل للخروج منه. أليس ظلما؟ أن تحاولوا استئصال امرأة والقضاء عليها بعد الموافقة على ترشحها لمنصب نيابة البرلمان والسماح لها بانتخابها كنائبة في البرلمان، وتمكينها من شهادة النّيابة، وإعلامها: "إنك نائبة في البرلمان عن مدينة اسطنبول". وأكثر من ذلك أن تسحبوا الجنسية منها دون سند قانونيّ. بلى إنه هو الظلم بعينه.

ومن الغريب أن تسحب مني الجنسية رغم الحصانة التي كنت أتمتع بها. ومن جانب آخر، كانت تقارير التحقيق التي أعدها المدعي العام بأنقرة نوح متّا يوكسال معطّلة في محكمة أمن الدولة بسبب هذه الحصانة. فإذا كانت قواقجي نائبة في البرلمان فكيف أمكن سحب الجنسية منها بإصدار حكم جنائي في حقّها؟ وإن لم تكن نائبة في البرلمان، فلماذا لم يبدأ المسار القضائي في حقها بعد؟ وإن كانت تتمتع بـ "الحصانة" التي تعدّ من امتيازات منصب نيابة البرلمان فلماذا كانت تمنع من التمتع بسائر امتيازات "النيابة" من دفع الأجر الشهري وتخصيص مكتب، وإقامة للسّكن وغيرها؟ وإن كانت هناك الرغبة في رفع الحصانة عنها وإسقاط النيابة عنها فلماذا لم يُسلك الطريق "القانوني" في ذلك؟

لا توجد أجوبة لهذه الأسئلة التي أطرحها عليكم وعلى نفسي أيضاً، والسّؤال هو حول ما إذا كنتُ نائبة أم لا؟ لقد كنت نائبة من الناحية "القانونية" منذ حصولي على شهادة النيابة في 27 نيسان/أبريل 1999 إلى تاريخ إغلاق حزب الفضيلة في 22 يونيو/حزيران 2001. ولقد تضمن الدستور شروط الحصول على النيابة في البرلمان وشروط سقوط النيابة عن النّائب. وكان من الواجب وفق الأصول القانونية أن تتم إقالتي استنادا إلى المادة 84 من الدستور. لكن الحكومة التي سحبت مني الجنسية التركية قد خالفت القوانين عندما "خلطت" بين النيابة والجنسية، أو بعبارة أخرى: لقد اعتبرت الحكومة أن النيابة البرلمانية سقطت عني بمجرد سحب الجنسية مني رغم "استقلال" النيابة والجنسية عن بعضهما البعض من الناحية القانونية. بيد أن الحكومة اعترفت بـ "حصانتي" باستثناء الخرق الذي حدث في هذا الموضوع عندما أقدم نوح متا يوكسال على مداهمة بيتي. ولم تكن مخالفة القوانين تنحصر في ذلك فحسب، بل ادّعوا أن النيابة البرلمانية سقطت عني بتاريخ 14 آذار/مارس 2001 دون مبالاة بالمواد المتعلقة بذلك في الدستور.

لقد علمت من التلفزيون خبراً جديدا يتعلق بي مساء يوم الاثنين الموافق لـ 11 تشرين أول/أكتوبر 1999، جاء فيه: إنّ قواقجي ستشارك في اجتماع "وقف المشروع الوطني" (وقف ميللي كوروش) المنتظر عقده في مدينة "كولن" الألمانية الأسبوع الموالي، وأنا لا علم لي بالموضوع بعد! لكن اللوم، في هذه المرة، قد لا يقع على وسائل الإعلام المنحازة ، لأنّ بعض الناس قد تعودوا على إشاعة أخبار بـ "أن فلانا وفلانا سيحضر" قصد تحفيز الناس على المشاركة في الاجتماعات رغم معرفتهم بعدم صحة ذلك، بل ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك إذ يكتبون الخبر في بطاقات استدعاء ثم يقولون للمدعو: "يا سيدي، لقد كتبنا اسمك في بطاقات دعوة وغيابك

سوف يحزن الضيوف"، وهو أسلوب يُستخدم لدفع هذا الشخص للمشاركة بشكل "إجباري". وكان الخبر في ذلك المساء من هذا القبيل. ورنّ الهاتف بعد قليل وكان السيد محمد في الهاتف:

مروة، ما هذا الخبر؟ هل ستسافرين إلى ألمانيا؟

لا يا سيدي، طبعاً لا.

وأنا أيضاً استغربت حين سمعت هذا الخبر.

وكيف يمكنني أن أسافر وقد سُحبت مني الجنسية التركية؟ ثم تتّصل أمي بعد قليل من دلاس:

بنيتي، هل تسافرين إلى ألمانيا؟

لا يا أمي، لن أسافر.

ولنعدْ إلى السيد نوح متا يوكسال الذي شمّر عن ساعديه ليستصدر قراراً يقضي بمنعي من الخروج من تركيا تحت مبرر "إنّ قواقجي ستهرب إلى الخارج بزعم المشاركة في احتماع ألمانيا، ولا بدّ من التّصدى لذلك" (13 تشرين أول/أكتوبر 1999). ولم أعرْ اهتماما كبيرا لهذا القرار في البداية، نظرا لعدم رغبتي في السفر إلى الخارج، أمّا السّيد زكي فكان يرى ضرورة أن نأخذ حذرنا في هذه المرحلة. وكنت خارج البيت في وقت صدور القرار، وكان الوقت أواخر الظهر عندما وصلني الخبر. كما كنت سألتقي مع السيدة نازلي في مأدبة عشاء مساء ذلك اليوم. واتصلت بالسيد رجائي وأعلمني بأنه سيهتم بالموضوع. وتوجهت مع أختي روضة إلى السيدة نازلي، وانتقلت بعد ذلك إلى بيت السيدة لطيفة في إقامة النواب استجابة لدعوة منها بعد أن تأكدت من خطورة الذهاب إلى بيتي وعدم إمكانية الذهاب إلى بيت السيدة "مقدّر" لكونها في مدينة "قرمان". ورجعت أختي روضة إلى بيتنا لرعاية ابنتي. وكنت سأعود إلى بيتي ليلة يوم

الأحد بعد قضاء نهاية الأسبوع في المبنى الخاص بإقامة النّواب.

وأصبحت لا أريد الابتعاد عن ابنتيّ، لأنني كنت أرى أنهما في حاجة إليّ خاصة بعد الأحداث التي عشناها. كما كنت أرغب في العودة إلى حياتي "العادية" رغم كل ما حدث، وكنت أريد مباشرة حياتي اليومية بالقيام صباحاً، مثل كل صباح، وأتناول الفطور مع ابنتي وجدتي، وأعرض القرآن، عن ظهر قلب، على أستاذي الذي يأتيني إلى البيت، ثم أستمع إلى إذاعة "عارفان" عند القيام ببعض شؤون البيت في المطبخ، ثم العمل في المقر الرئيسي للحزب ككلّ يوم... تُرى ما الذي سيحدث في الغد عوضا بدلاً من كلّ هذه الآمال!

وبدأ يوم الاثنين يوماً "عاديّا"، وكنت أرغب في الخروج مع ابنتيّ بعد عودهما من المدرسة. وكنت أفكر في التجوّل مع ابنتي وابنة أختي "أروى" وقضاء بعض الوقت معهنّ بعد مضي زمن طويل لم تتح لي الفرصة لذلك. وكانت صديقتي السيدة "مقدّس" ستأتي لتأخذنا إلى الخارج. وعندما كانت أختي روضة وابنتيّ يجهزن أنفسهن للخروج قدم إلينا السّيد زكي. وذكر أنه زارنا "ليطمئن علينا" فحسب. وكان السيد زكي بصدد إجراء أعمال تحضيرية للانتخابات في مدينة "قرمان" منذ بضعة أيام. لكنه عاد مع السيدة "مقدّر" يوم الأحد لما سمع خبر منعي من السفر إلى خارج تركيا. وكانت ابنتاي تنتظران قدوم السيدة "مقدّس". وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث مع جدّتي والسّيد زكي وأختي روضة في غرفة الجلوس رنّ الهاتف، وإذا بأحد الأصدقاء من الصحفيين يقول:

السيدة مروة! ثم سكت.

وقلت له: "تفضل" - وقد لاحظت أنّ هناك ارتجاجا في صوته - هل حدث شيء؟ إن صوتك غير جيّد.

يا سيدة مروة هل أنت بخير؟

نعم أنا بخير. لكن ما الذي حدث، وما الجديد عندك؟

يا سيدة مروة، لقد وصلنا خبر قبل قليل من "وكالة الأناضول للأنباء" ينقل تصريحا لنوح متّا يوكسال يقول فيه: "إنني سوف أعتقل مروة قواقجي".

ورفعت صوتي فجأة: ماذا، أنا في البيت، جالسة. وكلّ شيء عاديّ هنا.

وبعد إغلاق الهاتف اتجهت نحو نافذة بيتنا في الطابق الخامس، ولاحظت تحرّكات غير عادية، حيث امتلأ الطريق المُحاذي بسيارات عليها هوائيات خلال فترة وجيزة. وكنت أُخبر جدتي وأختي روضة والسّيد زكي بما سمعت في الهاتف من جهة وأحاول فتح التلفزيون من جهة أخرى. "يا إلهي!" ما هذا، إنّ جميع القنوات التلفزيونية تورد في بالبند الكبير: "خبر عاجل: لقد تمّ اعتقال مروة قواقجي"...

ورنّ الهاتف من جديد. وكان المتصل هو خالي الكبير، وهو يسأل عن أحوالى عقب انتشار الخبر. وقلت له: "نحن إلى الآن بخير". وأغلق الهاتف قائلاً: "سوف آتيك حالاً".

وبعد مضي وقت قصير دقّ الباب، ومن فضل الله كان السّيد زكي معنا، ولو لا وجوده لكان أمرنا أسوأ، وقال لي السّيد زكي: "اذهبي إلى المطبخ وسوف أفتح أنا الباب". وعندما فتح الباب وجد أمامه عدداً من شرطة مكافحة الإرهاب يسألون عنّي، فقدّم السيد زكي نفسه وأعلمهم بعدم وجودي في البيت في الوقت الحالي. وعلى إثر ذلك انصرف رجال الشرطة، وأعلموه أنهم سوف يرجعون في وقت لاحق.

وبعد خروج الشرطة كنت أفكر في الوقت المتبقي أمامي إلى صباح اليوم الموالي. واتصل بي صديقنا المراسل من جديد وقال: "سيّدة مروة، إنني

في الأسفل، لقد احتشد الجميع هنا". وأصبحت أخاف حتى من الاقتـــراب نحو النافذة للنظر منها، وبدأت أصوات الازدحام تنطلق وترتفع إلى الأعلى وكأنها تنبئ بقدوم حوادث سيّئة. واتصل السيد زكي بالســـيدة "مقـــدّر" وطلب منها أن تخبر الزملاء بما يحدث. واتصلت بي بعد قليــــل صــــديقتي الحميمة السيدة لطيفة. ورغم أنني أخبرتها: "إننا بخير ولا حاجة لأن تـــأتي" فقد جاءت إلينا. وقد أحسنت عندما فعلت ذلك لأنّ المرء لا يريد البقـــاء وحده في أوقات الشدائد. ولو لا وجود أصدقاء في مثل هـــذه الظـــروف لتحوّلت أيام "المحن" إلى "جحيم" لا يطاق.

واقتربت الساعة من العاشرة مساءاً، وبقينا في البيـــت "محبوســـين"، ويبدو أنه لا مجال للعودة إلى حياتي "العادية" التي كنت أحن إليها في ظــل هذه الظروف. وكنا نحاول أن نتعامل مع المستجدات الطارئة والتخطيط لما يجب القيام به دون إشعار ابنتي وابنة أختي الصغيرة "أروى" بوجود أيّ توتر أوقلق داخل البيت. وبعد إجراء مشاورات دامت وقتـــا مـــا توصـــلنا إلى ضرورة بقائي مع خالي في البيت وكأنه "لا أحد" في البيت وخروج جدتي البالغة من العمر 92 سنة مع ابنتيّ، حيث كنا لا نريد أن نوقع جدتي وابنتيّ البريئتين في الضيق لأننا لم نكن نعلم ما سيحدث خلال الساعات القادمة.

وكنت أفكر بنفس البراءة في وجود وقت أمامنا حتى الغـــد. وكـــان السيد زكي يساعد جدتي في النـــزول من الدرج بإمساك يدها وتتبعهمـــا أختي روضة وفي حضنها ابنتها الصغيرة "أروى" وتتبعهم الســـيدة لطيفـــة ماسكة يدي ابنتي علهن يمينها وشمالها. وبعد خروج أهالي البيت انتقلت مع خالي إلى الغرفة الخلفية بكل هدوء. وانقطع انتظارنا الصامت برنين الهاتف، فأجبت فورا دون انتظار الرنين مرة ثانية. وكانت السيدة لطيفـــة تهمـــس وتقول: "لا تظني أننا نسينا شيئاً، فعدنا إلى البيت عند طرق البـــاب، لأنّ نوح متا يوكسال يصعد حاليا". ورن جرس الباب!!!

يا إلهي كم كنت أخاف! ورغم مرور أربع سنوات على تلك الأيام فإني أرتعش الآن بنفس الخوف عند تحرير هذه الأسطر... وكأن أصابعي لا تريد أن تضغط على أزرار الكمبيوتر، ولا تريد عيوني أن ترى تلك الأسطر ولا أريد أن أتذكر تلك الليلة. وكم كنت خائفة عند معايشة تلك الدقائق!

وكان نوح متا يوكسال يضرب بشدة على الباب! يضرب الباب الفولاذي الصلب ويصيح بقوة في عمارة ذات خمس طوابق! وكان الصدى ينتشر داخل العمارة بصوت نوح ميتا! وكنت في الغرفة الخلفية في أبعد مكان من الباب داخل البيت، وأنا أعانق خالي بقوة وأردد تلاوة آية الكرسي مع خالي بصوت مرتج ومنخفض! وكأن نوح متا يوكسال يصيح بجانبنا: "أعلم أنك في الداخل. افتحي الباب!!! افتحي، أعلم أنك في الداخل!!! وسأكسر الباب إن لم تفتحي!! أقول لك افتحي، أعلم أنك في الداخل!!!!".

وكنت أرتعش وأرتعش. وكان خالي خائفا أيضاً. وكنا لا نستطيع أن نحرك ساكنا خوفا من أن يصدر صوت إذا تحركنا، كنا نجلس ونردد الآيات. واستنار البيت، كما لو أن النهار قد طلع، بأضواء السيارات التي تنقل البث بشكل مباشر أمام بيتنا، وبصورة لا يمكن أن أصفها. وبقينا مسمّرين خشية ظهور ظلنا إذا تحركنا.

ولا أدري كم بقي يصيح نوح متا أمام الباب. وكانت الدقائق بمثابة ساعات بالنسبة إلي. وتركت خالي للحظة لآخذ الهاتف، واتصلت بالسيد عبد الله غول:

سيدي، إنّ نوح متا يوكسال في الباب!

ولم يكن السيد عبد الله ليصدق قولي في أول الأمر:

لا يا سيدتي، لا أضنّه هو!

والله إنه!! لقد رآه أهلي عند الخروج من البيت.

وكان السيد عبد الله لا يجد معنى لهذا الضيف المفاجئ وقال:

سوف آتيك حالاً.

التقى السيد زكي وجدتي وأختي روضة والبنات والسيدة لطيفة مع نوح متا يوكسال في الطابق الرابع للعمارة، وكانت على وجهه علامات الغضب وهو يصعد برفقة عدد من رجال الشرطة من فريق مكافحة الإرهاب. وخافت البنات كثيراً عند رؤيتهم. كما تعرضوا لمضايقة جحافل الصحافة أمام باب العمارة. وأصاب الذعر ابنتيّ كثيراً في تلك الليلة! وغادرت السيدة لطيفة هذا المكان بسيارتها بصحبة جدتي وابنتيّ وابنة أختي أروى. وبقيت أختي روضة تحت. وبلغني فيما بعد أن ابنة أختي أروى كانت تبكي وهي في داخل السيارة، وتقول لابنتي الصغيرة مريم: "يا مريم! لننزل ونضرب رجال الشرطة هؤلاء حتى لا يأخذوا خالتي مروى!". وكلما أتذكر هذا المشهد، لا أتماسك عن البكاء، مثلما هو الحال الآن. واليوم كلما نمر أمام هذا البيت الذي قضيت فيه طفولتي تنزعج أروى الصغيرة انزعاجاً شديداً! وتقول إنها لا تريد دخول هذا البيت.

وينقطع صوت نوح متا فترة ما. ويفارقني خالي متجها نحو الباب فأناديه: "خالي! رجاء لا تذهب". فأنا لا أريد البقاء وحدي لحظة واحدة. ويرى خالي نوح متا واقفا أمام الباب عند النظر من ثقب الباب، ثم نسمع صوت السيد زكي في الخارج. يا إلهي، ما أسعدني في تلك اللحظة، ما أسعدني أن يقف رجل من أهلنا أمام نوح متا. كنا في الغرفة الخلفية نسمع كل الأصوات مثلما يسمعها الجميع في العمارة.

ويذكر السيد زكي ما حدث في الخارج باعتباره شاهد عيان فيقول:

"أطفأنا الأضواء وتركنا مروى وخالها في البيت كما اتفقنا من قبل. وتقابلنا مع نوح متا يوكسال عند النزول مع أفراد العائلة من الطابق الخامس. ورجعت أنا فورا بعد إيصال الجدة والبنات إلى السيارة. وكان المدعي العام في محكمة أمن الدولة السيد يوكسال غاضبا جداً كأنما يريد أن يدمر كل ما يعترض سبيله. وكان برفقته مجموعة من رجال الشرطة المتخصصين في مكافحة الإرهاب. وأشار أحد رجال الشرطة، وأظن أنه رئيسهم، إليّ وقال لنوح متا يوكسال: "إن ذلك الرجل نائب البرلمان"، فتوجه نوح متا يوكسال نحوي بغضب وقال: "أعلم أن مروى قاوقجي في هذا البيت، وإذا لم تفتحوه فإني سأضطر إلى كسر الباب وأخذها بالقوة". ثم توجه نحو السيد محمد أمين أيدين الذي كان يصطحبني وسأله: "من أنت؟" وأجابه بالقول: "نائب سابق في البرلمان من مدينة إيتشال"، فأمر الشرطة وقال: "أبعدوا هذا الرجل فوراً". وكان نوح متا لا يستطيع التحكم في تصرفاته، وكنت أناقشه محاولاً ثنيه قائلاً: "يا سيد يوكسال أنت ترتكب خطأً كبيراً! وأنت رجل القانون، مروة ما زالت نائبة في البرلمان، وهي تتمتع بالحصانة، إنه لا يحق لكم مداهمة بيتها". فردّ علي بغضب واستعلاء: "أتعطيني دروساً في القانون؟".

"وكان هذا المدعي العام الذي استولى عليه الغضب بالكامل قد أصر على كسر الباب وأخذ مروة. وأصبحت سبل الحوار معه مسدودة. ولم يبق أمامي من حلّ سوى أن أقف أمام الباب. وفي حركة سريعة أدرت ظهري نحو الباب ووقفت أمامهم. وقلت: "لا يمكنكم فتح هذا الباب، أنتم مخطئون". ويبدو أن المدعي العام وفريق مكافحة الإرهاب لم يتوقعوا حدوث ذلك مما حيرهم وجعلهم مترددين إزاء هذا الوضع. ولم يكن هناك أي شاهد – سوى الله – إذا ما حدثت واقعة هناك.

" وأعددت نفسي للتصدي للعنف وكنت مصرا على المقاومة. وبعد

مناقشة كلامية تأكد السيد المدعي العام من إصراري فتراجع قليلاً وقال: "سأسجل ذلك في محضر الضّبط". وكان صمودي قد أثمر، فقد نادى أحد رجال الشرطة وبدأ في إملاء الضبط عليه. وذكر أنه أتى إلى بيت مروة قواقجي، لكنه وجد مقاومة شديدة من نائب برلماني من مدينة قارمان وهو السيد زكي أونال إذ منعه من القيام بمهمته، وأنه إذا لم يتم فتح الباب خلال نصف ساعة فإنه سيتم فتحه بالاستعانة بالخبير - دون كسر الباب -. وطلبت أن تكون المدة ساعة بدلاً من نصف ساعة، وذلك قصد ربح الوقت ولم يعارض ذلك. وغيّر الشرطي الذي كان يسجل الضبط المدة من نصف ساعة إلى ساعة دون انتظار موافقة المدعي العام.

"وبما أن تسجيل الضبط وقع في الساعة 22:45 فإن أمامنا ساعة كاملة حتى 23:45. وكان علي أن أحل هذه المشكلة خلال هذه الفترة، وإلا فمن المحتمل وقوع أحداث غير جيّدة".

* * *

وكنت أشعر بالرّاحة كلما أسمع الأصوات أمام الباب. وأقول بيني وبين نفسي: "إننا لسنا وحدنا، وحتّى إن كسر نوح متا الباب ودخل فإنّ البعض منا سيكون حاضراً"، ثم تنقطع الأصوات. ما الذي يحدث؟ وكان خالي يقترب أحياناً من الباب ماشيا على أصابع رجليه، وينظر من ثقب الباب، ثم يعود. وكنت جالسة على حافة الفراش، ولا أدري إن كنت أفكر في شيء أم لا. وربما كنت أفكر في أن كل شيء قد انتهى وأن النهاية قد أوشكت. وقد أتعبتني الأحداث وأرهقتني وجعلتني مُنهكة القوة. كان تعبي وإرهاقي تعبا نفسيا أكثر منه بدنياً، ولذلك كان أكثر حدة. واتصلت بأختي روضة عبر الهاتف النقال، وإذا بها في الأسفل، فهي لم تذهب مع بقية أفراد العائلة. وقد اتصلتْ بأمي في أميركا، وزادهم رهقاً على رهقٍ. ولم تستطع مواصلة الحديث أكثر لأن مكالماتنا الهاتفية كانت مراقبةً. وكانت

أمي المسكينة تظنني قد سُجنت، وقد بكت من أجلي من وراء المحيط على بعد آلاف الكيلومترات، وأخذت تقرأ القرآن وتدعو لي! يا إلهي ما أصعب تلك الليلة!

وأبلغتني روضة أنها بقيت تحرس مع عدد من الناس أمام باب العمارة حتى الصباح. وكان السيد "صائم ألتينباش"، وهو أحد أصدقاء أبي معهم هناك. كما كان أكثر نواب البرلمان من حزبنا ينتظرون في الأسفل. وعجبت من أمر أحد نواب البرلمان من بين من اتصلنا بهم حين أجاب: "لقد وصلت إلى البيت قبل قليل وارتديت ملابس النوم، ويكفي أنكم هناك"، وهو أحد أصدقائنا المناضلين ورئيس إحدى اللجان في البرلمان. كما حضر أمام العمارة عدد من نواب البرلمان من حزب الوطن الأم ANAP إلى جانب عدد من نواب البرلمان السابقين من حزب الاتحاد الكبير BBP. ومَن هناك أيضا؟: رجال الصّحافة وبعض الزملاء من الحزب رجالا ونساء وحوالى مائة وخمسين رجل شرطة من فريق مكافحة الإرهاب. ويا إلهي ماذا يحدث في هذا البلد؟ بينما يتجول المجرمون والسارقون وآكلو أموال اليتامى بكل حرية في الشوارع، يشنون هجوما على بيت امرأة محجبة شابة تقيم فيه مع ابنتيها الصغيرتين وجدتها البالغة من العمر 92 سنة في الساعة 11:00 ليلاً. ولماذا؟ لأنَ العلمانية مهددة!!!

وكذلك... البائعون المتجولون! نعم... البائعون المتجولون هم كذلك في الأسفل، فهم يبيعون المواد الغذائية منتهزين هذه الفرصة الغريبة. وهم يطعمون الجائعين من جهة ويستغلون المناسبة لمتابعة الأخبار على عين المكان من جهة أخرى. واستمرت تلك التحركات إلى ما بعد منتصف يوم الغد.

وغادر نوح متا يوكسال البيت مؤكدا بصوت مرتفع أنه سيعود رفقة خبير بعد ساعة، إلا أنه لم يعد مرة ثانية. وكنت أتحدث مع روضة بين

وقت وآخر. ويواصل السيد زكي حديثه حول ما حدث في تلك الليلة:

" أردت أن أتصل برئيس حزب الفضيلة السيد "رجائي قوطان" فوراً، ولسوء الحظ نفدت طاقة بطارية الهاتف، ولم أتمكن من الاتصال به. وخرجت من العمارة بسرعة واتصلت بالسيد رجائي بعد العثور على مكان اتصالات في الخارج وحدّثته عما جرى. وذكرت له أنهم سيأخذون مروة خلال ساعة واحدة إن لم نستطع التصدي لهذه العنجهية، وبدوره اتصل على الفور برئيس الوزراء ووزير الداخلية.

وأردت العودة إلى العمارة دون التأخر كثيراً في الخارج تحسبا لوقوع تطورات جديدة. ووجدت الشرطي المكلف من قبل المدعي العام لا يسمح لأحد بالدخول. وعندما أردت أن أقول له إنني نائب في البرلمان وأريد أن أدخل العمارة وجدت بجانبي السيد "أسلان بولاط"، وهو نائب من حزب الفضيلة من مدينة "أرضروم" ينتظر هناك. ودخلنا معاً بعد إقناع الشرطي. وتقابلنا مع السيد نوح متا يوكسال الذي كان ينزل في الدرج من جديد. واندفع هذه المرة نحو السيد أسلان بولاط في غضب شديد وسأله: "من أنت؟" فأخبره بأنه نائب من مدينة أرضروم، وعندئذ توقف الجدال. وصعدنا إلى الطابق الخامس بخطوات سريعة وبدأنا ننتظر هناك.

وبلغني فيما بعد أن نوح متا يوكسال قد ضرب باب بيت مروة بيده قائلاً بصوت مرتفع: "أعلم أنك في الداخل، افتحي الباب!" وخافت مروة خوفا شديدا وعانقت خالها ودعيا الله معاً، وذلك في وقت كنت أوصل فيه الجدة والبنات إلى السيارة. ولما حكت لي ذلك فيما بعد سألتها: "هل أنت متأكدة؟ ألا يمكن أن يكون من صاح وضرب الباب شخصا آخر؟ وأخبرني خالها أنه نظر من مجهر الباب ورأى نوح متا ومعه شرطي طويل القامة.

ومع استمرار الانتظار المتوتر كانت الساعات تمضي والموعد يقترب. وجاء السيد "بولند أرنتش" و"إسماعيل قهرمان" والسيد "عبد الله غول"

والسيدة "نازلي إليجاك" من بين نواب حزب الفضيلة إلى جانب نواب آخرين من الحزب والذين تمكنت من الاتصال بهم. وكان ذلك بمثابة دعم معنوي لنا. وكنا مصرين على عدم تسليم مروة حتى ولو انقضت المدة التي أعطاها نوح متا يوكسال وكنا سننتظر حتى الصباح.

ويبدو أن مبادرات السيد رجائي قد أفضت إلى نتائج إيجابية، حيث بلغنا أنه لن يأتي أي فريق من الشرطة إلى العمارة حتى الساعة 10:00 صباحا. وعلمت فيما بعد أن المدعي العام في محكمة أمن الدولة السيد يوكسال أدلى بتصريح أمام وسائل الإعلام، وكان يقصدني في قوله: "لقد منعوني من أداء واجبي".

ولعل نوح متا يوكسال كان يرغب في استعراض عضلاته عندما حاول مداهمة البيت في منتصف الليل رغم التقارير التي أعدها لرفع الحصانة عن مروة ورغم معرفته بأنها ما زالت نائبة، وذلك اعتمادا على تعاليق السيد أق بولوط.

وكان لا بد من الحصول على ورقة من رئيس البرلمان السيد أق بولوط لتصحيح هذا الوضع. وتولّى السيد بولند أرنتش والسيد إسماعيل قهرمان والسيد وجدي كونول إلى جانب مجموعة من نواب البرلمان من حزب الفضيلة هذه المهمة، حيث ذهبوا صباح يوم الغد إلى مكتب رئيس البرلمان السيد أق بولوط وتسلموا منه الورقة



خروج جدتي والسيد زكي وروضة من البيت أثناء المداهمة التي قام بها نوح متا يوكسال

المطلوبة. وكانت الورقة تنص على أن القضية بيد اللجنة العليا للانتخابات، وحتى إذا كان قرار هذه اللجنة سلبيا فإنّ صلاحية إسقاط عضويتها من البرلمان هي من مهمة المجلس الوطني التركي الكبير (البرلمان) مما يعني أنّ دراسة الموضوع تكون داخل اللجنة العامة. وتم ضبط تقرير على الساعة 13:45 من اليوم نفسه استنادا إلى هذه الورقة. وعليه تم الإفراج عن مروة وألغي القرار القاضي بمنعها من السفر إلى خارج تركيا.

ولئن كان رئيس المجلس السيد أق بولوط قد أصدر قراراً مناقضا لقراره السابق إلا أن ذلك كان تجليا للحق".

* * *

طلع الصباح، وعرفت أنني كنت مستغرقة في نوم عميق. كنت أتنفس ببطء، وكان يخالجني الخوف بأن نوح متا يوكسال سيأتي في أية لحظة. وكشفت لي روضة عند آخر لقائي بها بأن إدارة الحزب استطاعت اللقاء بوزير الداخلية سعد الدين طنطان والذي أوضح لهم قائلاً: "لتذهب غداً في الصباح إلى دائرة الأمن لتدلي بأقوالها". ولم أستطع أن أستوعب هذه الطريقة في التفكير لأنّ المسألة بالنسبة إليّ لم تكن ذهابي للإدلاء بأقوالي من عدمه؛ وإنما كانت في وجوب ذهابي بالأصل للإدلاء بهذه الأقوال بالرغم من استمرار حصانتي البرلمانية. ولكن كان هناك تعامل يوحي بأن هذه الحصانة غير موجودة، أي كانت المسألة مسألة مبدأ. فقد كان ذهابي إلى الأمن للإدلاء بالأقوال لا يعني سوى قبولي إسقاط عضويتي في المجلس من قبل أُولئك الذين أسقطوا الجنسية عني دون وجه حق، وبالتالي اعترافي بأحقية ما أقدموا عليه ضدّي من معاملة غير عادلة.

وانتهز نوح متا التصريحات غير المسؤولة التي أدلى بها رئيس البرلمان يلدرم آق بُولُوط بأن قواقجي ليست نائبة في البرلمان وذلك لكي يتمكن من أخذي من المنزل ومقاضاتي. نعم، نعم، فقد كلف نفسه مشقة المجيء

إلى منـــزلنا. ترى أي مُدّعٍ هذا الذي يذهب بنفسه إلى الشخص المطلوب لكي يأخذه إلى المحكمة؟ وهذا السلوك كان يشكل بعداً آخر مـــن أبعـــاد الحادث ينبغي التوقف عنده والتأمل فيه.

حملت كلام طنطان محمل الجدّ، لذا قمت بتهيئة نفسي دون أن انتظر ما سيحصل من تطورات أثناء سير الأحداث، وجهّزت بعض الأشياء مثـــل فرشاة الأسنان والمصحف والمسبحة التي ورثتها عن جدي، وغفوت تلـــك الليلة بين النائمة والمستيقظة، وأنا جالسة على جانب من الســـرير. ولأول مرة كنت أشعر بأنني قريبة جداً من السجن. وبدأت الأقاويل في الانتشـــار بأنني سأُلقى في السّجن، خصوصاً في الأيام التي تلت إسقاط الجنسية عـــني وانفتاح الطريق أمام مقاضاتي. والآن بدأت هذه الأقاويل تقترب مني أكثر فأكثر.

كنت أفكر في السّجن، وفي الحقيقة كنت أحاول أن أُفكـــر دون أن أستطيع تصوّره. ما هو شكل هذا السجن؟، ما الـــذي ســـأفعله هنـــاك؟ واسترجعت ذاكرتي لأتذكر ما كانت تقوله الأخت نازلي فيما سبق عـــن السجن. "عزيزتي مروة، إنه ليس بالمكان السّهل، ولكن على المرء أن يشغل نفسه هناك بأيّ شكل وبأي شيء. أنا مثلاً باعتباري كاتبة، بدأت أمْعن في الأشياء بنظرة جديدة وبدأت أفكر في الأشياء التي أستطيع أن أراهـــا، وأن أكتب عنها. وبالتالي مارست الكتابة في السجن، إذن ليس هو بالســـهل، ولكنها مرحلة ثم تنتهي". وكذلك كانت هناك لقطات من حياتي تمر أمـــام عيني، وكنت أرى في آخرها نقطة مظلمة، فراغ انتهى عنده كل شـــيء، وانتهت عنده كل آمالي، شيء شبيه بالموت. إنها النهاية، كنت أترنح بـــين الحقيقة والخيال، عندما كنت بين النوم واليقظة.

وعندما اقترب الوقت من صلاة الفجر، استيقظت على صوت قرقعة خفيفة. فقد كان خالي المسكين غير نائم، ووجدته لا يزال جالساً بجـــانبي.

وانتابنا شعور بالقلق، وفُتح الباب. وكان قلبي ينبض بشدة، وكأنه سيخرج من مكانه. وسمعت صوت خالي الأصغر وبجانبه روضة. وقلت "يا الله، يا الله، الحمد لله". وكنا جالسين على الأرض عندما بدأت أشعة الشمس تدخل الغرفة. وتكلم خالي: "كل شيء على ما يرام، يبدو أن نوح متا لن يأتي". وسألت عن حال الأطفال، وأجابت روضة فوراً "إنهم بخير، فهم عند العم زكي". وسألت "ما الذي سيحصل يا ترى؟"، فردّ خالي بالقول: "سيتم أخذ كتاب من يلدرم آق بُولُوط عند وجود الحصانة، وبعدها سيكون بمقدورِك الخروج من المنزل إن شاء الله". وكانت روضة تقول لي: "لا تقلقي يا أخيّتي، لقد أصبحت في أمان، وهناك شباب من الحزب مرابطون في الخارج على سلم العمارة ينتظرون ما كان نوح متا سيأتي مرةً أُخرى. لا تقلقي، فأنتِ لست وحدك".

وعلمت فيما بعد أن الشعب تابع التطورات لحظة بلحظة من خلال التلفزيون، وتساءل عما يحدث واستغرب من هذه الهجمة التي تتعرض لها سيدة في عقر بيتها. واستفاد نواب حزب الفضيلة من هذا المناخ ودخلوا غرفة يلدرم آق بُولُوط في شبه احتلال لغرفته، وطالبوه بإصرار أن يحرر مكتوبا يثبت فيه أن مروة قواقجي نائبة في البرلمان. وامتنع آق بُولُوط في البداية، ولكنه وافق بعد ذلك على تسليم هذا المكتوب في ساعات الظهر.

واتصل بي السيد مراد مرجان حوالى الساعة الحادية عشرة، وكان بجانبه مسؤول رفيع المستوى من السفارة الأميركية، وقال لي عبر الهاتف: "يا سيدة قواقجي إذا تريدين فإننا نخرجكِ فوراً من هنا بالطائرة إلى واشنطن مباشرةً". وبدت هذه الكلمات في تلك اللحظات بمثابة إهانة، وإن كانت بحسن نية، وحاولت أن أحتفظ بهدوئي وأنا أستمع إليه. وأجبته: "أشكركم على اهتمامكم بي، ولكن لا يمكن أن أقبل هذا العرض، من المستحيل أن أقبله كما أنه من المستحيل أن أكون سافرة الرأس. وإن كنتم تودون عمل شيء من

أجلي، فإنني أرجو منكم أن توجهوا تحذيراً إلى أعضاء حكومتنا الذين يصغون أكثر من اللازم إلى الإدارة الأميركية". وشكرته مرة أخرى اهتمامه بي، وأغلقت السماعة. وفيما كنا ننتظر المكتوب من البرلمان، امتلأ المنزل بالأصدقاء والنواب وأنصار الحزب. وكانت اتصالات التهنئة تتوالى، واتصلت صباحاً بأطفالي: "عزيزتي فاطمة، عزيزتي مريم، كيف حالكما؟ أنا بخير والحمد لله، لا تقلقا أبداً". وسألتني مريم: "أماه، أين أنتِ، لا تخفي عنا، هل أنتِ في السجن؟". وأجبتها: "كلا يا طفلتي، بعد قليل سآتيكم إن شاء الله، لا تقلقا أبداً؟". وكان قلبي محطماً مثل قلب أيّ أُم.

وحسبما علمت من أحد الذين كانوا ينتظرون بالمناوبة في الأسفل، فإن أحدهم قال: "حذار أن تخرج السيدة مروة قبل مجيء المكتوب المنتظر من البرلمان؛ وإلا سنضطر إلى إلقاء القبض عليها كما تمليه الأوامر علينا".

وأخيراً أتى المكتوب الذي حرره يلدرم آق بُولُوط. وبعد حوالى ساعة، خرجت من المنزل مستقلة سيارة المرحوم أحمد درين ذاهبةً إلى المجمع السكني التابع للبرلمان واجتمعت هناك بأطفالي.

واتصل بي السيد رجائي قُوطان حالما انتقلت إلى المجمع السكني، وكان صوته سعيداً: "ابنتي مروة، لقد عانيتِ من أزمة شديدة، ولكنها كانت خيراً". واستطاع الحزب أن يكسب شعبية كبيرة بسبب تعامله بإيجابية مع مشاعر الموطن التركي. وأمعنت التفكير في حادثة نوح متا، فلو كان حزب الفضيلة أبدى توحداً إزاء حادثة نوح متا كالذي أبداه عندما دخلت المجلس؛ لما تطورت الأمور إلى ما هي عليه. وكان السيد رجائي محقاً في قوله: "ولكنها كانت خيراً". والحقيقة أن المعاناة كانت كبيرة والأزمة كانت شديدة الوطأة...

في تلك الليلة وحتى ساعات متأخرة من الليل كنت مشغولة في بيت السيد آصلان بولاط وهو نائب عن أرضروم، مع حرمه السيدة "بهار"

باستضافة الزوار الذين كانوا يزورونني ويتبادلون أطراف الحديث معي. أما السيد عبد الله غول فقد كان يشارك في برنامج تلفزيوني تلك الليلة لإيضاح أبعاد الموقف، والإجابة عن الاستفسارات المطروحة. وشعرت في صباح اليوم التالي أنني أستيقظ على أجمل صباح في حياتي؛ فقد كنت بصحبة أطفالي في غرفة الاستقبال بالطابق العلوي من منزل العم زكي الكائن في المجمع السكني التابع للبرلمان.

كنت متعبة، ولكن أشعر بلذة التعب، وكان الصوت الذي يصل إلى سمعي يثير في داخلي مشاعر غريبة، إنه صوت الطيور في صباح هذا اليوم الخريفي؟، وما أجمل الستارة وهي تهتز بخفة نتيجة النسيم الذي يهب عليها، بينما أشعة الشمس تتسلل خلالها بلطف.

ولكن الأجمل من هذا كله، الملكان الصغيران النائمان بعمق، فقد كانتا (البنتان) جميلتين أجمل من أي يوم مضى، وكانت الشمس براقة أكثر. وكان الصباح أكثر إشراقاً. رباه، مَا أجمل الحرية، والحمد لله. فاللّهم ربّي كن في عون جميع الذين ألقوا في السجن بغير وجه حق...

وكانت الهجمة التي قام بها نوح متا ذات أصداء واسعة ليس على الصعيد المحلي فقط وإنما على الصعيد العالمي أيضاً، تماما مثلما كان الأمر عند دخولي قاعة البرلمان. وكان هناك موقف غريب مررت به في واشنطن في الأيام اللاحقة يتعلق بهذا الموضوع، فقد كنا أوصينا بشراء دولاب للكتب لمنزلنا. وجاء شابان زنجيان ليقوما بتركيبه، وما كان من أحدهما إلا أن قال لي: "إنني أعرفك". وحدقت في وجهه وأنا مستغربة لقوله، لأنني لم أكن أتوقع ذلك خصوصاً أنني انتقلت إلى السكن في هذه المنطقة حديثاً. وعقّبَ قائلاً وهو يفهم استغرابي: "نعم، إنني أعرفكِ، رأيتكِ في برنامج تلفزيوني في قناة الـ CNN، وكان هناك من يريد إلقاء القبض عليك، وحسبما أتذكر فقد فشلوا في ذلك". وعلقت على كلامه بإيماءة برأسي أن "نعم". واستمر الزنجي قائلاً:

في الحقيقة براءتكِ ظاهرة من محياكِ". وعقبت على كلامه مندهشة: "لا تنظر إلى ما أقوم به فقط، فإنني أقرأ كثيراً، وأتابع ما يحصل في العالم". وشكرته أيضاً. وأدركت أن الشك الذي راودني للوهلة الأُولى كان في غير محلّه.

وكانت الهجمة التي شنها نوح متا قد لقيت استنكاراً حتى من قبل ديميريل رئيس الجمهورية حينذاك - والذي اتهمني بكوني "محرضة" - ومن قبل أجاويد رئيس الوزراء حينذاك الذي دعا إلى إلزامي حدودي. وفجأةً أصبح نوح متا متهما من قبل الجميع. وبدأت المقالات تظهر منتقدة إياه، بل بدأ التحقيق معه، ولكن كان هناك سؤال في ذهني مثلما هو في أذهان الآخرين، وهو من أعطى إشارة البدء للقيام بالغارة؟ ولماذا أعطاها؟ ومن استخدم نوح متا؟ ولكني لم أجد الجواب.



إثر الهجمة التي قام بها نوح متا

قررت أن لا أفعل شيئاً في ذلك اليوم، قررت أن أبقى فقط مع أطفالي، لا أفكر في أيّ شيء آخر، بل أحاول أن لا أفكر في شيء. ولكن حدث شيء لم يكن متوقعاً، فقد حمل إلينا الصباح نبأ اغتيال أحمد تانَرْ قشلالي. وقد أُغتيل بعبوة ناسفة وضعت في سيارته بعد يوم من الزيارة غير المتوقعة التي قام بها نوح متا إلى بيتي. والتي كانت أصداؤها تنتشر في تركيا. وقد عرف عنه تمسكه الشديد بالكمالية، وتحول مقتله وجنازته إلى مظاهرة للعلمانية.

"قانون مروة"، مثال آخر على تخبط الحكومة

إنّ المداهمة التي قام بها "نوح متّا" قد ألحقت الأذى بعائلتي أيضاً. وقد بلغ القلق بنا مبلغا لا يمكن تخيّله، وكان حزن أبي وأمّي الموجودين في أميركا عميقا لبعدهما عن ابنتهما وعدم قدرتهما على فعل شيء لمساعدتها. وهناك شخص آخر كان قلقا على سلامتي وهو بكير بك الذي سيصبح زوجي فيما بعد...

بعد مضايقات "نوح متّا" قرّرنا تقديم موعد زواجنا الذي كان مخططا له في شهر يناير شباط 2000 ليصبح في شهر أكتوبر سنة 1999. بكير بك مواطن تركي يعيش في أميركا منذ 25 عاماً. أنهى دراسته الجامعية بجامعة التقنية في استانبول فرع الهندسة البترولية، وذهب إلى أميركا لمواصلة دراسته العليا في جامعة "تكساس". ثمّ استقرّ هناك مثلما فعل الكثير من المواطنين الأتراك. وأوّل معرفته بـ "مروة قواقجي" كان في عام 1999 قبل الانتخابات من خلال اللّقاء الصحفي الذي أجري معي في صحيفة "Washington post".

كان يتابع عن قرب الحملة السياسية المغرضة التي بدأت ضدّي في 2 مايو سنة1999 في كواليس البرلمان، وكان يشارك بدور فعّال لحشد التأييد لصالحي من قبل جمعيات حقوق الإنسان الأميركية والمنظمات الإسلامية. وعندما علم أنّ عائلتي تقيم في دالاس اتصل بها وتعرّف عليها، وعبّر لها عن دعمه لي في إصراري على رأيي وعدم تقديمي لأيّ تناول. وفي هذه الأثناء مازلت أنا أيضاً

أواصل صراعي في تركيا. وكان بكير بك لا يتوقّف عن الاتصال بأسرتي لتقديم الدّعم لها، تماما مثلما يفعل الكثير من أماكن مختلفة من العالم.

في شهر أغسطس عام 1999 قدم إلى تركيا بمناسبة حفل زواج أحد أقاربه فتعرّفنا على بعضنا البعض. وعندما عرض عليّ الزّواج سألته إن كان مدركا لما يعنيه هذا الأمر. ونبهته إلى أنّ حملة الدّعاية المغرضة الموجّهة ضدّي سوف تصوّب سهامها نحوه هو أيضاً. ثمّ سألته ما إذا كان مستعدّا لمثل هذه الاحتمالات أم لا. وذكّرته أيضاً بأنّ نضالي هذا لا يتجزّأ من المسؤولية التي أعلنتها أمام الشعب الذي انتخبني وأوصلني إلى البرلمان. وظللنا نناقش التأثيرات التي يمكن أن تتركها هذه الأحداث على عش الأسرة الذي ننوي بناءه. كان بكير مصرّاً، وفي النّهاية وافقت أنا أيضاً على فكرة الزواج.

قلت نعم ، ولكن كيف سيتمّ هذا الأمر؟

إنّ الذين أرادوا تمزيقي إربا إربا في المجلس، لا شكّ يبحثون عن موضوع "حسّاس"و"خاص" مثل الزواج لكي يستغلّوه في حملتهم. ولذلك فكّرت أن يتمّ كلّ شيء في صمت كامل وفي سرية متناهية. وكان علينا أن لا نمنح الفرصة لأيّ كان حتّى يقحم نفسه في حياتنا الخاصّة، وكان تفكيرنا أن يأتي بكير بك إلى تركيا ويتمّ الشؤون المتعلّقة بالزّواج. كما أن بكير كان يفكّر في الاستقالة من عمله في أميركا ليستقرّ في تركيا.

من ناحية أخرى طرحت الموضوع على السيّد رجائي قوطان الذي كان لديه علم سابق بنية السيد بكير في الزواج. فرد السيد قوطان بالقول: "بارك الله لكما"، ثمّ أضاف: "يكون من الأفضل لو ذهبت مع زوجك إلى أميركا لمدّة من الوقت". فكان ردّي رد البنت المتمردة: "كلاّ، إنّني أخطّط أن أقيم هنا مع زوجي. وسوف أحصل على الجنسية مرّة أخرى، وبذلك أستطيع أن أعود مرّة أخرى إلى البرلمان".

تحدّثنا مع الأخ الطيب أردوغان وزوجته الأخت أمينة. ولكي تسير الأمور بشكل أكثر سلاسة، اضطرّ العم زكي بك للهرولة وحثّ الخطى. ومن ناحيته فقد وقف إلى جانبنا السيّد موسى ديمرجي النائب عن سيواس. وبذل السيد أحمد كنتش رئيس بلدية أيّوب والعاملون معه كل ما في وسعهم لإعداد الوثائق اللازمة. وفي هذه الأثناء علم موظّفو السفارة الأميركية بخبر زواجي من خلال وسائل الإعلام. وعلى إثر ذلك اتصلوا بي. وبعد إنهاء الإجراءات الرسمية قاموا هم كذلك بجميع ما هو مطلوب. وعلى هذا النحو سوف أعامل معاملة الأجنبية، والمفترض أن أستعيد جنسيتي التركية مرّة أخرى.

اتّضح أنّ السيد بكير بك أيضاً في مثل وضعيتي بالضبط، فبعد أن حصل على الجنسية الأميركية لم يعلم الحكومة التركية شأنه شأن الآلاف من الأتراك. ولذلك نبّهته وقلت له: "قبل أن تأتي إلى تركيا وتتمّ إجراءات الزّواج عليك أن تُعلم الحكومة التركية بواسطة السفارة التركية في واشنطن بحصولك على الجنسية الأميركية، وإلاّ فإنّه بعد زواجنا يمكن أن ينزعوا منك الجنسية التركية". وعندما ذهب السيّد بكير إلى السفارة ملء استمارة، وألصق عليها "صورة ضاحكة" لا توحي بجدّية، وبذلك تخلّص من المصير الذي وقعت فيه أنا من قبل.

وعندما كنت بصدد إعداد الأوراق والوثائق، اعترضت العم زكي بك حادثة أخرى طريفة عندما ذهب إلى وزارة الخارجية. فعند ذهابه إلى هناك لتصديق وثيقة الجنسية التي أخذها من السفارة الأميركية في أنقرة التقى بأحد كبار المسئولين في الوزارة، وحالما رأى الوثائق أخذته الحيرة ، وبادره بالقول: "رغم إصرارنا وطلبنا لعدّة مرّات وثيقة تتعلّق بالجنسية لمروة قواقجي لم نحصل منهم على أيّ شيء". نعم فهذا المسؤول يعترف بوضوح بعدم صلاحية الوثيقة التي قدّموها على أنّها دليل على فقداني جنسيتي.

بعد يومين أو ثلاثة أيّام من الهجمة التي قام بها "نوح متّا" قدمت أمّي على عجل إلى تركيا. أنهينا التحضير للزّواج وقبل رئيس بلدية مدينة استانبول الكبرى السيد علي مفيد كورتونا مشكورا الإشراف على عقد زواجنا. وحدّد التّاريخ بـ 25 أكتوبر1999.

ثارت حمّى الصحف، وفتحت نقاشا عما سيحدث إثر زواج مروة، وهل سوف تستعيد عضويتها في البرلمان. وعندما سئل رئيس المجلس، السيّد يلدرم أق بلوط عن هذا الموضوع ردّ بالقول: "إذا تزوجت قواقجي فإنّها سوف تستعيد جنسيتها، وبما أنّ عضويتها لم تسقط إلى حدّ الآن من البرلمان فسوف تتواصل بشكل آلي". ووفقا لنصوص القوانين فما قاله صحيح. وبناء على القرار الذي اتخذته اللجنة العليا للانتخابات فلكي تسقط عضويتي من البرلمان يتعين أن تجتمع اللجنة العامّة، ويقع إسقاط عضويتي عملاً بالمادّة الـ 84 بتصويت أغلبية أكثر من النصف.

إن انتهاء موضوع العضوية في البرلمان وإسقاط الجنسية أمران مستقلان عن بعضهما البعض، فالمسألة لا تتعلّق بسقوط آلي للجنسية، والواقع أنّ المداهمة التي قام بها نوح متّا، بينما مازلت أتمّع بالحصانة كانت سابقة خطيرة.

كنت أودّ أن يشاركني في فرحتي في ذلك اليوم أصدقاء أعزّاء وأقارب حميمون. لكن عندما تذكّرت أنّ الكاميرات سوف تحضر بالعشرات، عرفت أنّني إذا دعوتهم فسوف تكون حركاتهم هم أيضاً مقيّدة. ولذالك ففي تلك الظروف التي كنا فيها لم نستطع أن نخبر العديد من أقاربنا وأصدقائنا بعقد زواجنا وبالاحتفال الذي جرى بعد أسبوع من ذلك. وهناك العديد من هؤلاء استاؤوا وحزنوا عندما تابعوا على الشاشة مساء يوم 28 أكتوبر الخبر الذي يقول "مروة قواقجي تزوّجت". لكن الحقيقة أنّه لم يكن لدينا خيار آخر في ظروف تلك الأيام...

قبل الزواج بيوم واحد أيضاً حدثت لنا واقعة غريبة، ففي وقت متأخر

من المساء كنت أستعدّ للتوجّه إلى استانبول عبر البرّ رفقة العم زكي بك وخالتي "مقدّر". وفي الأثناء رنّ جرس الهاتف، وكان الذي طلب أحد الأصدقاء الصحفيين:

- السيدة مروة، لقد رأيت أنه من المفيد أن يكون لك علم. فرئيس الوزراء قدّم اليوم إلى اللجنة العامة اقتراحا عاجلا يتعلّق بتغيير في الدستور، وكتبه ووقّع عليه بخطّ يده.

وعندما سألت عن موضوع هذا الاقتراح، كان الجواب مدهشاً.

- يتعلق بقانون الجنسية، فحسب قانون الجنسية الحالي يمكن للمرأة الأجنبية أن تحصل على الفور على الجنسية التركية إذا أرادت الزواج من رجل تركي. وحسب الاقتراح المقدّم يراد أن يُؤجّل موضوع منح الجنسية ثلاث سنوات بعد الزّواج.

لماذا رأى أجويد أنّ الحاجة ماسّة إلى تغيير مثل هذا القانون في 27 أكتوبر1999؟ ما الذي كان ينويه من خلال ضرورة إجراء التغيير وكتابة ذلك بخط يده والتوقيع عليه؟ هل ستحلّ المشاكل التي يتخبّط فيها المواطن التركي بتغيير هذا القانون؟ لا شك أنّ كل صاحب وعي وعقل سليم يتساءل هذه الأسئلة عند سماعه لهذا الخبر. السؤال الآخر الذي يطرح نفسه لماذا ثلاث سنوات بالضبط، وليس سنة أو سنتين أو أربع سنوات؟

إنّ السيد أجويد قد أجّل الاهتمام بجميع مشاكل البلاد، وركّز على موضوع آخر، يتمثّل في كيفية التخلّص من "مروة قواقجي" التي تمثّل حجر عثرة أمام تطوّر تركيا وارتقائها إلى مستوى الحضارات المعاصرة والتي تمثل السبب في مشاكل الشعب الاقتصادية والبطالة والتضخّم! إنّ السيد أجويد المسكون بحب خدمة الشعب (!) لا بدّ أنّه فكّر في أنّ مروة قواقجي إذا تزوّجت وأصبحت لها جنسية مرّة أخرى سوف تطالب بحقّها في النيابة

البرلمانية، هو مسكون في الحقيقة بهذا الخوف. ولذا فرأيه أنّه لا بدّ من تأخير حصول مروة قواقجي على الجنسية، حتّى تنتهي مدّة نيابتها في البرلمـــان".

بقي الهاتف في يدي، وكلّي دهشة واستغراب. وماذا عسى لرئيس حكومة أن يفعل أكثر من هذا من أجل أن يعيق امرأة اختارها الشعب لتكون ممثلة عنه في البرلمان؟

وفي اليوم الموالي لعقد زواجنا، أي صباح الـــ 29 من شهر أكتـــوبر سحب السيد أجويد مشروع القرار الهادف إلى تغيير القانون والذي سمتـــه الصحافة "قانون مروة"، وعلى هذا النحو أصبحت مروة تركية الجنسية.

Yeni Şafak Online — **POLİTİKA**

Merve Kavakçı'ya vatandaşlık oyunu

Sözkonusu tasarı ile, bir Türk vatandaşı ile evlenen yabancı kadının Türk vatandaşı olabilmesi için, evlenme akdininin üzerinden üç yıl geçmesi şartı getiriliyor.

ANKARA - Başbakan Bülent Ecevit, önceki yasama döneminde kadük olmuş Türk Vatandaşlığı Kanunu'nda değişiklik öngören tasarının tekrar görüşülmesi için Meclis Başkanlığı'na yazı gönderdi. Sözkonusu tasarı ile, bir Türk vatandaşı ile evlenen yabancı kadının Türk vatandaşı olabilmesi için, evlenme akdininin üzerinden üç yıl geçmesi şartı getiriliyor. DGM Savcısı Nuh Mete Yüksel'in, FP İstanbul Milletvekili Merve Kavakçı'nın evine gece yarısı baskın düzenlemesine sert tepki gösteren Başbakan Ecevit, şimdi de Kavakçı'nın Türk vatandaşı olmasının önünü kapatıyor. Ecevit, 25 Ekim 1999 tarihinde Meclis Başkanlığı'na bir yazı göndererek, önceki dönemde kadük olmuş 19 yasa tasarısının tekrar görüşülmesini istedi. Sözkonusu 19 tasarı içinde de, Türk Vatandaşlığı Kanunu'nda değişiklik yapılmasını öngören tasarı da bulunuyor.

Tasarı ne getiriyor ?

5 maddelik tasarı ile, bir Türk vatandaşı ile evlenen yabancı kadının, Türk vatandaşı olabilmesi için, evlenme akdinin üzerinden üç yıl geçmesi şartı getiriliyor. Tasarıda, Türk vatandaşı ile evlenen yabancı kadının, üç yıldan sonra, bir yıl içinde vatandaş olmak için yazılı olarak başvurması ve İçişleri Bakanlığı'nın onay vermesi halinde vatandaş olması öngörülüyor. Tasarıda, vatandaşlığını sonradan kaybetmiş kişilerin, çocuklarının Türk vatandaşlığına alınmaları ise, İçişleri Bakanlığı'nın teklifi ile Bakanlar Kurulu'nun kararına bağlanıyor. Tasarıda, ayrıca yabancı ile evlenen Türk vatandaşı kadının, kocanın vatandaşlığını kadına bahşettiği zaman da düşürülüyor.

28 أكتوبر 1999، صحيفة "يني شفق".

مروة قواقجي يلدرم

في الثامن والعشرين من أكتوبر 1999، عقدنا القران في قصر "خديو" بين أسرتنا وعدد من الأصدقاء المقرّبين. وقد بذلت "روضة" - جزاهـا الله كل خير - كل ما في وسعها لدعوة من استطاعت أن تتصـل بهـم مـن أقاربنا. وظنّ عدد كبير منهم أنّهم مدعوون فقط لحفل عشـاء في قصـر "خدي" مثلما جرت العادة أن نلتقي هناك من حين إلى آخر. ومع ذلـك، وبالرغم من كلّ السرّية التي أحطنا بها احتفالنا فقد أعلن خبره على شاشـة التلفزيون بعد نحو ربع ساعة فقط من عقده.

إن الحملة التي طالت شخصي حتّى ذلك اليوم، والتي تقضـي بـ "إيقافي عند حدّي" قد امتدّت الآن لتطال زوجي وعائلته كذلك. من هـو ما طبيعته، هل يؤدّي الصلاة؟ هل يصوم رمضان؟ هل في بيته سجّادة؟ ماذا يشتغل؟

تعرّضت حماتي البالغة من السنّ 78عاما والـتي تعـيش وحـدها في سيواس لأذى الصحفيين. فعندما رأتهم أسرعت للصعود في السلّم، رغـم العضو الصناعي الذي يوجد في فخذها، لكن أحد الصـحفيين لاحقهـا وأعاقها عن الدّخول إلى البيت وسألها قائلاً: "هل اسـتأذنوك مـن أجـل الزّواج"؟ وغير ذلك من الأسئلة. ولو حدث هذا الأمر في دولة أخرى لقدّم هذا الصحفي والصحيفة التي يشتغل فيها إلى المحكمة ولأجبروا على دفـع تعويضات معنوية.

لمدّة من الوقت بقينا نحن بعيدين عن الأنظار، بينما ظلّـت جحافـل

الصحفيين تتوافد على أقارب السيد بكير في مدن مختلفة، وعلى بيتي الموجود في أنقرة، وعلى منزل كلّ من روضة، وخالي. وباختصار ظلّ الصحفيون مرابطين في كلّ مكان تربطنا به صلة.

بعد مضي نحو أسبوع، وقبل مغادرة البلاد بعشرة أيّام أقمنا حفل زواجنا في استانبول وسط جمع من الناس ليس بالغفير. وفي هذه المرّة ربّما أصبحنا أكثر حنكة من السابق، أو أنّ الحظّ قد ابتسم في وجوهنا. كان الحفل في"القصر الوردي" (Pembe Köşk) الساكن وسط الأشجار. وحتّى لا يجلب الانتباه من الخارج عمدنا إلى إطفاء جميع أضوائه من الخارج.

أمّا العاملون فقد اخترناهم من بين أكثر الناس ثقة، وعلى هذا النحو لم يعلم بهذا الزواج سوى المدعوون فقط. وفي اللّيلة نفسها كان للسيّد أربكان اجتماع في مكان آخر من استانبول، وادّعت الصحافة أنّ السيّد أربكان ذهب ليحضر زواج قواقجي. وضلّت الصحافة التي كانت تتابع السيّد أربكان، فلم تمتد إلى مكان وجودنا.

في هذه الأثناء زرنا أقاربنا وأصدقاءنا الحميمين، وزرنا السيد أربكان في أنقرة، وعند مرورنا باستانبول زرنا السيّد أردغان في منزله، وفيما بعد ذهبنا إلى مدينة سيواس وأمضينا بضعة أيّام مع أسرتنا هناك. وتجوّلنا في بعض الأماكن التاريخية والأثرية.

زلزال دوزجة

عندما وقع زلزال دوزجة كنّا نحن على وشك أن نعـــود إلى تركيـــا. وحالما تلقّيت خبر الزلزال، اتصلت بصديقاتي في هيئة استانبول من أجـــل تقييم الوضع، وأعلمتهنّ بأنّني أنا أيضاً أرغب في المشـــاركة في عمليـــات الإغاثة حال عودتي إلى استانبول. وعندما رجعنا إلى البلاد بذلنا كلّ ما في وسعنا لمساعدة الأماكن المتضرّرة. وكان الأمر شبيها بما جرى في السّابق في أده بازاري وكولجوك، وفي هذه المرّة كان يـــرافقني زوجـــي. وبـــالطبع انضافت آلام إلى آلام، ودعونا لقائمة جديدة من الأسامي...



دوزجة، المنطقة المتضررة من الزلزال. نوفمبر 1999.

قواقجي لم تفقد عضويتها في البرلمان، وهي مواطنة تركية مرة أخرى

كان ينبغي عليّ أن أواصل صراعي القانوني بكل ما تتيحه لي الإمكانيات. وفي الوقت الذي كنت أعمل على استثمار جميع الإمكانيات القانونية الموجودة أمامي كنت مدفوعة في ذلك بالمسؤولية التي كُلّفت بها من قبل الشعب وبالأمانة التي حُمّلتها. فالإخلال بحقوقي كنائبة في البرلمان يعني الإخلال بحقوق الشعب الذي اختارني. ومن جانب آخر، فبالرغم من إعاقتي عن القيام بوظيفتي فإن مكاني لا يزال شاغرا ولم يتم ملؤه. وعلى هذا النحو فإنّ سكان استانبول هم ممثلون بأقل مما يستحقونه من النواب في البرلمان.

ولم يكن من الممكن اختيار نائب لآخر في مكاني إلا في صورة إنهاء عضويتي بشكل كامل وفقا للدستور. ومن جانبها فالحكومة لم تعتمد هذا الطريق المستند إلى القانون. ثم إن رئيس المجلس يلدرم أق بلوط عمد إلى جميع الوثائق والمعلومات المتعلقة بي في المجلس وألقى بها في "الأرشيف".

وهكذا فكأن مروة قواقجي "لم ينتخبها الشعب" ولم "تدخل" المجلس، بل وكأنني لم أكن "موجودة" أصلاً. وهذا بلا شك يبين أن السيد أق بلوط تصرف وكأن شيئاً لم يحدث، وهو اجتهاد منه لمحو الأحداث. وبالرغم من وجودي في وثائق المجلس وضمن العدد الاجمالي للنواب والنائبات فقد اعتبرت "غير موجودة".

كان من واجبي، احتراماً للمبدأ أن أقوم بكل ما هو ضروري من اجل استعادة السلطة التي مَنحني إياها الشعب، هذه السيادة التي انتزعت مني انتزاعا باسم الشعب نفسه. ولهذا السبب فقد قدمت طلبا إلى البرلمان لأعلمه بأنني مستعدة للاستئناف العمل في وظيفتي ومواصلة عضويتي في البرلمان وفقا للدستور. وهذا ينسجم تماما مع التصريح الذي أدلى به السيد سابقا للصحافة عندما قال بأنه إذا كان لقواقجي جنسية تركية فلا يبقى بعد ذلك أمامها أي عائق لاستعادة العضوية ودخول البرلمان. وبعد مضي فترة من الوقت قدمت طلبا آخر، غير أن طلباتي بقيت بلا أي ردّ. كما أن مشروع الاقتراح الذي تقدم به النائب عن قرمان السيد زكي أونال والمتعلق بقضيتي وبمسألة الحجاب لم يقابل بأي اهتمام.

ومن جانب آخر فإن مشاريع الاقتراحات التي قدمت إلى المجلس بشأن وجود جنسية قبرصية لدى السيد أجويد ومشاريع اقتراحات بخصوص عشرين عنصرا آخر في الموضوع نفسه لم تجد أي آذان صاغية. وبعد أن بقيت جميع هذه الطلبات الكتابية بلا جواب، قام كل من العم زكي والسيد أرنتش بزيارة يلدرم أق بلوط في مكتبه. وأثناء هذا اللقاء عرض السيد يلدرم موقفا غريبا. فبالرغم من شرح الوضعية التي كنت فيها له عدة مرات، وبالرغم من تذكيره بالقرار الذي اتخذته اللجنة العليا للانتخابات وسير القضية في النيابة العامة سيرا قانونيا فقد أصر أق بلوط على موقف "سلبي" مبينا مواقف رجال القانون الذي ينظرون إلى المسألة نظرة سلبية كذلك. وفي هذه الأثناء كانت الحكومة تسعى لدك إسفين في الزواج الذي عقدته مع السيد بكير.

في الحقيقة لم يتغير موقف الحزب عما كان عليه بعد المداهمة التي شنها نوح متا يوكسال. وباستثناء بعض الحالات القليلة، فهو لم يول أية أهمية لما كنت فيه. وكمثال على ذلك ما حدث في فترة تقديم الترشيحات وما

حدث أثناء مراسم أداء اليمين. وبالنسبة إلى الدعوى المقامة في الادعاء العام فإن الذي كان مهتما بها هو محامي السيد سالم أوزدمير مع مصطفى كملاقوالسيد شرف مالكوتش. أما أنا فقد كنت أواصل نضالي على صعيد آخر بدعم من أسرتي وأسرة السيد زكي والأخت السيدة نازلة.

وبالرغم من أنني إلى هذا الوقت مازلت أحمل صفة نائبة من الناحية القانونية فإنني لم أكن أُدع إلأى النشاطات والاجتماعات التي كانت تنظمها إدارة الحزب داخل المجلس وخارجه. وحتى اجتماعات الكتلة التابعة للحزب، وبالرغم من كونها كانت مفتوحة فإنني لم أكن ادع إليها والحال أن الشعب هو الذي انتخبني نائبة ضمن نواب هذا الحزب.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما حدث أثناء الزيارة التي قام بها إلى أنقرة السفير "سيبل" (Seiple) رئيس لجنة الحريات الدينية العالمية التابعة لوزارة الخارجية الأميركية. فقد قدم السيد سيبل إلى أنقرة والتقى مع السيد قوطان، و لم أعلم بذلك إلا من بعيد. وبالرغم من جسامة الحدث الذي فتح نقاشا واسعا داخل تركيا وخارجها، هذا الحدث المتمثل في منعي من القيام بوظيفتي في البرلمان بسبب الحجاب، بالرغم من كل هذا فإن السيد قوطان لم يشركني في الاجتماعات المذكورة. وعندما عبرت عن رغبتي في الالتقاء بالسيد "سيبل" كان جواب السيد قوطان مستغربا إذ قال:" لقد التقينا به نحن في المجلس". ولا ادري ما المشكلة في حضوري مثل هذا للقاء. وفي الحقيقة لو كانت هناك رغبة حقيقية لتم عقد هذا اللقاء خارج البرلمان أي في مقر الحزب. وبعد أن انتقلت إلى الولايات المتحدة زرت السيد "سيبل"، وبطلب منه ساهمت في إعداد تقارير اللجنة التي كان يرأسها.

ومن الأسئلة التي تطرح نفسها أنه منذ عام 1994 رأست لجان العلاقات الخارجية المتعلقة بالمرأة ومثلت الحزب تمثيلاً ناجحاً جداً في العديد من المناسبات في أماكن مختلفة من العالم، والآن وبالرغم من أنني من الناحية

القانونية مازلت "نائبة" فلماذا لم تسند إلى أية مهمة داخل الحزب. أليس في وسعه مروة قواقجي أن تفعل شيئا؟ أليس في وسعها أن تساهم بعمل ما في الحزب؟ الحق أنه أصبح عندي إحساس أن السبب في ذلك هو كوني إمرة. وربما فكروا فقالوا: "هل سنظل نشغل أنفسنا بمشكلة هذه المرأة، لترجعْ إلى المنزل ولتكن ربة بيت"! لكن لو كان الذي لحق به هذا الظلم نائبا من حزب آخر لأعيد إليه اعتباره ولرُفع في مقام عال. أما وضعيتي أنا فللأسف مختلة، فمَنْ غير الشعب يهمه ما يحدث لي، ومن غير الشعب يفكر في شيء اسمه "اعتبار"؟ ومن غير الشعب ينظر إلى ما تخبؤه الأيام؟

في هذه الأثناء صرح المحامي السيد حاجي علي أوزهان أحد الذين صوتوا لي بالقول: "إن النائبة التي منحتها صوتي لكي تسعى في خدمتنا نراها تعرقل الآن". ثم قدم شكوى إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وسمع صوته هناك. والغريب أن هذه الأسئلة لم تكن تلح علي أنا فقط بل كان يطرحها الكثير من الأشخاص الأجانب أيضاً، وهم يطرحون السؤال التالي باستمرار: "نعتقد أن حزبك قد تخلى عنك، فما الذي تقولينه في هذا الموضوع؟".

قبل أن أسافر إلى أميركا رفقة أبنتي قمت بزيارة إلى البروفيسور الدكتور نجم الدين أربكان لكي أقيم مع الوضع وأعرض عليه المواضيع التي كانت محل انتقادي ولكي أرى ما إذا كنت سوف أحصل على دعم في صورة ما إذا رفعت قضية في المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في ستراسبورغ. ورافقتني في هذه الزيارة أختي روضة.

ظننت أن السيد أربكان سوف يلتقي بي على انفراد، غير أن ظني لم يكن في محله. انتظرت لمدة من الوقت في قاعة الانتظار بمكتبه في منزله الكائن في "بالغات"، وكان معنا في القاعة كل من السيد أحمد تكدال وشوكت قازان وشرف مالكوتش ورضا كوناري. وبعد مدة طويلة من

الانتظار أطل علينا السيد أربكان مسلماً، وأخذنا إلى غرفة أخرى أوسع. وبعد بضع دقائق انضم إلى هذا الجمع السيد مصطفى كاملاق. وبعد أن تبادلنا السلام، شرعت في التحدث في الموضوع. وفيما كنت أقدم تقييما عاماً للأمور واذكر بعض الانتقادات المتعلقة بالحزب لاحظت علامات الضيق بادية على كل من السيد كازان والسيد مالكوتش. و لم أجد أي معنى لهذا الضيق. أما السيد أربكان، وبلطفه المعتاد فقد كان يستمع إلى باهتمام لكنه لا يبدي أي تعليق.

قلت إن الفترة القادة سوف تشهد رفع دعوى إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وكسب هذه القضية لن يكون كسبا شخصيا بقدر ما هو كسب لقضية الحجاب نفسها في تركيا. وقلت إن ذلك سوف يشكل سابقة مهمة. وقلت إنه من غير الممكن أن أتحمل تكاليف هذه القضية، ثم استفسرت عما إذا كان الحزب مستعدا لمساندتي. غير أن التعليق الوحيد الذي صدر عن السيد أربكان هو: "سوف يتم القيام بكل ما هو ضروري".

كان الممثل لحزب الرفاه في قضية إغلاقه بالمحكمة الأوروبية هو المحامي الفرنسي هنكار (Hincker). وبتعليمات من السيد شوكت قازان شُرع في النظر في قضيتي أنا أيضاً. لكن بالرغم من ذلك فغن السيد هنكار أعلم في العيد من الرسائل بان القضية لن ينظر فيها ما لم تدفع الأموال المطلوبة.

و لم يدفع من قبل الحزب سوى عشر المبلغ المطلوب الذي طلبه السيد هنكار، أما المبالغ المتبقية فقد دفعتها أسرتي "المُنهكة".

عضو البرلمان التركي في واشنطن

إنّ سياسة القوى السياسية العليا إنما هي نتاج لما ألقته بظلالها على الدستور والقضاء والتنفيذ. فعلى الرغم من عدم إتاحة الفرصة لي لخدمة هذا الشعب الذي اختارني ممثلة له داخل هذا المجلس، فإن الله عز وجل الذي أغلق بابا فتح أبوابا أخرى. هذه الفترة التي تم تضييق الخناق فيها عليّ داخل حدود وطني، منحتني قضية منع الحجاب الفرصة للبحث عن حل لهذه القضية وأنا على بعد آلاف الكيلومترات من وطني. فلقد نقلتني القضية إلى خارج الحدود، إلى واشنطن التي تمثل مركز السياسة العالمية.

تقدمت ذات يوم إلى قسم الجوازات كي أستخرج لبنتيّ جوازي سفر، وأرهقوني كثيراً حتى لا يعطونني هذه الجوازات. أما الذرائع فهي أن جنسيتها لم "تمسح" إلى حدّ الآن من السجل المدني لمركز "خندك" (Hendek) التابع لسقاريا والذي أتبعه أنا بدوري. ورفضوا منحهما جوازي سفر متحججين بأن أمهم ليست مواطنة (تناقض غريب)، فعلى الرغم من أنني كنت كسبت الدعوى الخاصة بوضوع الجنسية التركية، لا أعرف لماذا لم يظهر لديهم حتى الآن من المركز التابع لسقاريا ما يثبت أنني مواطنة تركية. وبعد إرهاق وعنت كبيرين حصلت في النهاية على جوازي السفر، وغادرنا تركيا وتوجهنا إلى استراليا وفيينا حيث كان يعقد مؤتمر منظمة المركز الثقافي والمعروف اختصارا بـ (HAT)، وشاركت في الاجتماع. وبعد ذلك ببضعة أيام انتقلنا إلى الولايات المتحدة الأميركية.

وقبل مغادرة أنقرة، وبينما نحن في انتظار الطائرة في مطار "أسن بوغا"

بأنقرة كنت أتجاذب أطراف الحديث مع خالتي "مقـدّر" وعمـي السـيد "زكي" الذي حضر لوداعنا. وفي هذه الأثناء لفت انتباهي شيخ كبير كان يلتفت، وينظر إليناَ، ونحن في أحد أركان قاعة الانتظار المزدحـة. وكـان واضحا من هندام هذا الرجل المسن الملتحي أنه من المغتـربين المقـيمين في أوروبا، وقد رأيته مرة أخرى أثناء وداعه لأقاربه، فقد كان يتقدم صـوب الطائرة ومعه نفر من الناس، ثم إذا به يأتي إلينا، ويلقي علينا السلام، ورجع إليّ وقال: "منذ لحظات وأنا أنظر متسائلاً، ترى هل هذه هي ابنتنا مروة؟"، نعم، هي مروة حلقة الوصل بين الناس غير المعروفين والذي لم يروا بعضهم بعضا قط. حلقة وصل صادقة ومخلصة، نعم لقد قامـت بـدور الأخـت للجميع. نعم إنها مروة التي تعمل من أجلنا، ولـيس ذلـك بنفوذهـا ولا بشهرتها ولا بفنها أو غنائها. إنها يمكن أن تكون بنتا وأختا وحفيدة لكـل بيت، وحمدت الله وأنا أصعد مدرج الطائرة.

* * *

هذه أول زيارة إلى النمسا، ثم بعد ذلك زرت عدة مـدن نمسـاوية. كانت الاجتماعات التي شاركت فيها هناك إيجابية للغاية. عندما جئت إلى هذا البلد لم أكن أعرف أحداً. ولكن عندما غادرت هذه الـبلاد بعـد أن قضيت فيها عدة أيام تركت هناك قطعة من فؤادي عربونا علـى الأخـوة والصداقة. كانت حياتي قبل الشروع في العمل البرلماني، بحكـم وظـيفتي، عبارة عن سياحة بين أقطار الأرض الأربعة، وتعرفـت علـى "أخـوات" و"عائلات" و"أبناء" وأصبحوا بمثابة إخوتي وعائلتي وأبنائي. هذه الصـداقة الجميلة تمنح الإنسان أحياناً حماسا مختلفا وتمده بعزيمة كبيرة، وهي مناسـبة للابتعاد عن مشاكسات السياسية التركية. والامتداد نحو الصداقات الحميمة والصادقة يذكرنا بالقيم التي بدأت تتلاشى في الأيام الأخـيرة. ومنظمـة "هات" التي ذكرتها يُشرف عليها أخوة لنا فاعلون ومجتهدون. وقد حظيت

هذه المنظمة على تقدير الفاعليات الثقافية بين الأديان والمسئولين المحليين. ورأى القائمون على المنظمة أنني أستحقّ وسام "هات" الذي كان هديّة قيمة قبلتها بامتنان وزينت بها الركن الرئيسي لبيتي.

قبل مغادرة النمسا قمت بزيارة أخواتنا المحجبات المظلومات اللواتي قدمن للدراسة في النمسا، وأغلب أولئك كن طالبات طبّ كل واحدة منهن عبارة عن "جوهرة". وهؤلاء البنات كنّ صافيات العيون ولكن خواطرهن مكسورة ورقابهن منحنية شوقا لبلادهن وعائلاتهن. قلت لهنّ "إصبرن" "إن الخير مع الصبر".

لم تعد وضيفتي الدفاع عن ناخبي في البرلمان الوطني التركي بل أصبحت وظيفتي أن أكون صوت المحجبات المظلومات لسنوات في الغرب واللاتي كن ضحايا دعم الإنفتاح التام لمفهوم الديمقراطية في تركيا، والذي كان أحد شروطه التمييز ضدّ المرأة. ولهذا السبب قمت بجولات مكوكية بين أوروبا وأميركا حيث شاركت في مؤتمرات ودراسات في مراكز فكرية في هامبورغ وهانوفر وديسبورغ وانسبورغ وكامبردج وجورج تاون وجورج هوبيكنس وتورونتو واتاوا وكارلتون وميشغان وتكساس وولاية فلوريدا وهارفارد وبالا وبوسطون وهيئات التعليم المتميزة، من ذلك مثلا جامعة برلين الأميركية للتقنية ومركز ويلسون وودرو.

بعد الإقامة في واشنطن خصصت مدة شهر لعائلتي، وحاولت تلافي الوقت الذي "ضيعته" بعيدة عن بناتي. وواشنطن مدينة تشبه العاصمة أنقرة من ناحية ولا تشبهها من نواحي أخرى، فالطقس قريب من طقس أنقرة، شتاء بارد وأحياناً ينزل الثلج، وصيف حارّ جدّاً. ومن الناحية السياسية فهي أكثر هدوءا وانتظاماً من أنقرة. نحن في تركيا كلّ يوم تطالعنا فضيحة سياسية جديدة، ولأننا تعودنا على رؤية الفوضى، فلأوّل وهلة يبدو لنا أن الحياة السياسية الأميركية أكثر "هدوءا" نسبياً.

في الكونغرس تنضوي عدة أحزاب بالرغم من التناقض الذي يوجد بينها.و في أغلب الأوقات لا يمكنك ملاحظة أية فروق في السياسة المتبعة بين الديمقراطيين والجمهوريين. الشعب الأميركي أساساً لا يتابع الشأن السياسي التركي بمعنى المتابعة لأنه لا يشعر بالحاجة إلى ذلك. لكن بعد أحداث 11 من سبتمبر يمكن أن نقول إنّ هناك حركة مختلفة في واشنطن، والشعب زاد اهتمامه السياسي بالمقارنة بذي قبل. وبصراحة فبعد الضجيج السياسي الكبير الذي ثار في أنقرة وجدت أن هذه المدينة الهادئة مريحة بالنسبة إليّ. وبعدها سوف تكون اهتماماتي في اتجاهين اثنين؛ أحدهما أكاديمي والثاني سياسيّ. فلقد أصبح للطلبة في الجامعات الأميركية اهتمامات كبيرة بالسياسة التركية وموقع الدّين في السياسة ومسألة الحجاب. وهذا الاتجاه هو أوّل اهتمامي الذي بدأ بدعوة موجهة من جامعة جورج تاون.

وفي إطار البحث الذي طرحه البرفسور الدكتور جون ايسبوسيتو بعنوان "الصراع بين الحضارات" شاركت لمدّة يومين في مؤتمر بعنوان "الشّرق والغرب: أميركا والإسلام والألفية الجديدة" وطُلب منّي التكلم في جلسة الافتتاح. وقبلت ذلك بامتنان. وفي هذا البحث تناولت بمنهج "تجريبي" المعاناة الشّخصية التي عشتها، وتوقّفت عند أهمية الدور الذي يمكن لتركيا أن تلعبه لمنع هذا التصادم المحتمل، كما تناولت بالحديث موضوع حرّية العقيدة.

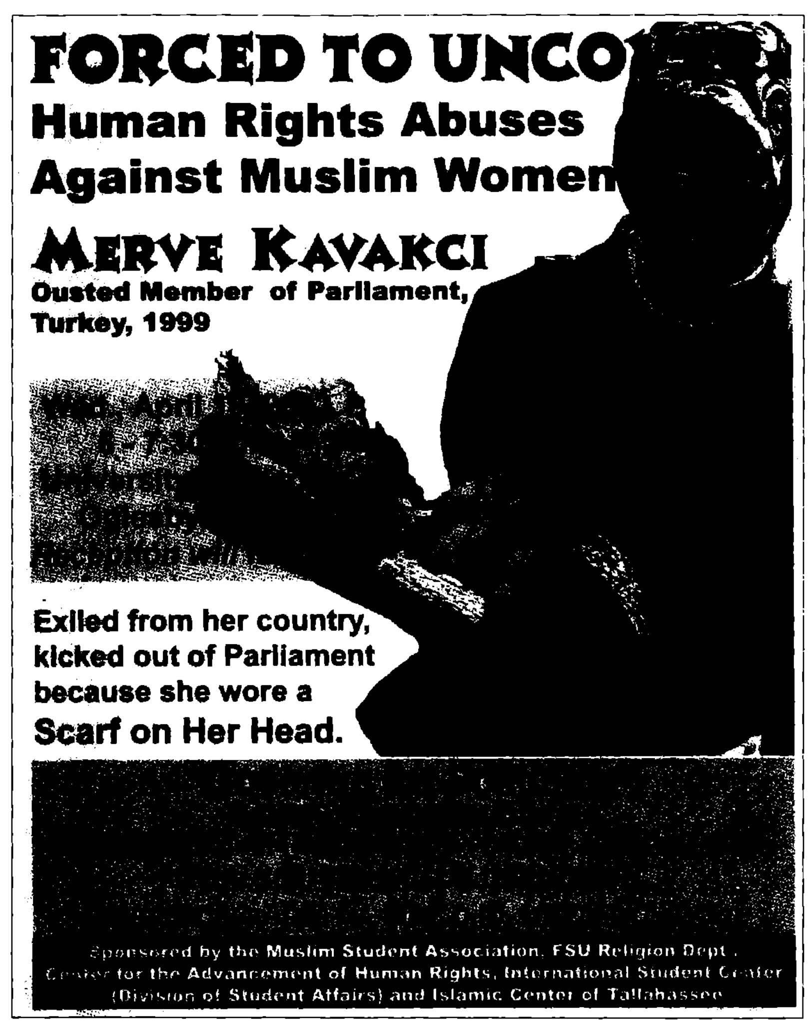
وحضر ممثلو الصّحافة التركية في واشنطن أيضاً، وكالعادة كان سلوكهم بعيدا عن أي تحضّر، فهم قبل كل شيء قد أساؤوا لأنفسهم، وضايقونا نحن كذلك. وفي للأنفسهم وفي النهاية اضطرّ القائمون على المؤتمر للتدخّل. وبعد انتهاء المؤتمر رأى أحد مراكز البحوث في واشنطن أنني أستحقّ نيل جائزة، فقدمها لي وقبلتها بكلّ سرور.



مع البرلماني عن ولاية ميشغان ديفيد بوناير، واشنطن عام 2000.

وبعد ذلك مباشرة شاركت في دورة انعقاد المؤتمر السنوي لمجلس مسلمي أميركا. وحضر في هذا المؤتمر ممثل عن الحزب الديمقراطي النّائب ديفيد بوناير. وقبل أن يبدأ السيد بوناير كلمته، وهو على المنصة هنأني بنضالي الديمقراطي الذي أخوضه في تركيا، وأكد على أنّ صوت العقل هو الذي سوف ينتصر في النهاية، وعبّر عن دعمه الصادق لما أقوم به من جهود. وذكر السيد بوناير أن نضال الشعوب يتخطى الزمان والحدود ويجد له صدى في بيئات مختلفة، وفيما كنت أستمع له فاضت الدموع من عيني.

ويما بعد يوم كانت مشاركاتي في الجامعات الأميركية والأوربية تتزايد، ومن بين هذه الفعاليات أحياناً منتديات وأحياناً دروس وأحياناً أخرى مؤتمرات وأحياناً برامج للنقاشات. وبالإضافة إلى كلّ هذا تزايدت الدّعوات الموجهة لي من قبل المنظمات الإسلامية المحلية، وهذا ما جعل وتيرة حياتي في واشنطن تتسارع.



جامعة ولاية فلوريدا عام 2002.

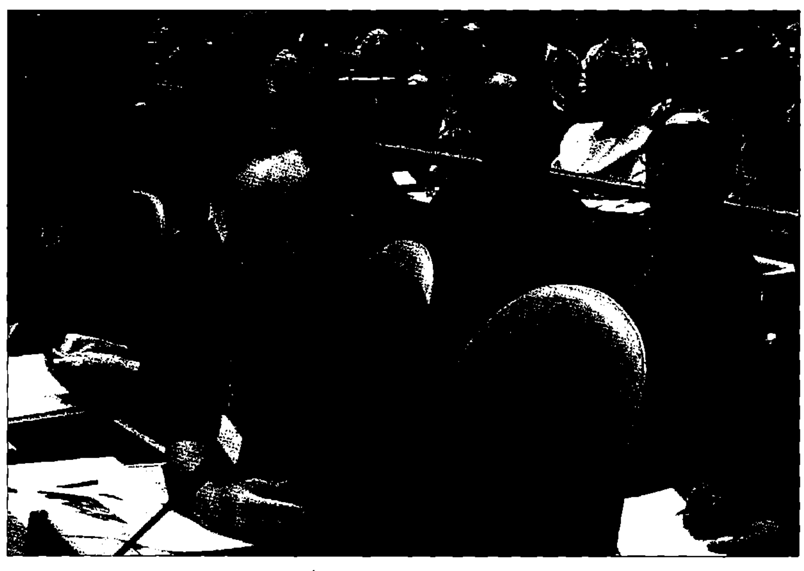
كان أهم شيء بالنسبة إليّ هو التركيز علــى مســألة الحجــاب في الملتقيات التي أعقدها في أميركا، باعتبار أن ذلك هــو الســبب في المنــع السياسي الذي لحق بي في تركيا. لهذا كان أول شيء ينبغي علي عمله عقد لقاء مع رئيس لجنة الحريات الدينية الدولية الســفير ســيبال، والــذي لم

أتمكن(!) من لقائه أثناء قدومه إلى تركيا. وبالفعل أخـذت منـه موعـداً والتقيت به. ثم تبع ذلك القاءات التي عقدتها في لجنة هلسنكي (مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي) والذي يتابع عن كثب وضع الديمقراطيـة في الـدول النامية، وكذلك اللقاء الذي عقدته في القسم المتعلق بتركيا التابع لـوزارة الخارجية، واللقاء الذي عقدته مع أبريل بالمرلي رئيس قسم قضـايا امـرأة العالمي. وعلى هذا النحو كانت لي مساهمة في إعداد التقرير المتعلق بتركيـا والذي تعده وزارة الخارجيّة. كما أن "التقارير السنوية للحريات الدينيـة" للأعوام 1999 و2000 و2001 ، وكذلك تقرير لجنة الكونغرس الصـادر عام 2000 قد أشار إلى أن ما حدث عند دخولي إلى البرلمان يعد "إخـلالا بحقوق الإنسان".

قمة الألفية للسلام العالمي بالأمم المتحدة

ركبت الطائرة إلى نيويورك لحضور قمة السلام العالمي التي نظمها مؤتمر الأديان العالمي حيث كنت عضوا فيه منذ مدة. وجدت الصحافة التركية تنتظرني في نزل Waldorf Astoria.

في واشنطن، وباستثناء البعض، التقيت مع صحفيين محترمين، وذهبت إلى مبنى الأمم المتحدة حيث سيقام الاجتماع. وقد كان هدف مداخلة الافتتاح للأمين العام للأمم المتحدة السيد كوفي عنان، والتي كانت بداية



قمة الألفية للسلام العالمي بالأمم المتحدة، 29 أغسطس 2000، نيويورك.

البرنامج، هو تنمية الحوار والتسامح بين الأديان.

عندما كنت في قاعة هيئة الأمم المتحدة واجهتني مشكلة صغيرة، فلقد كانت القنوات التركية تنقل الاجتماع مباشرة من واشنطن. وهناك بعض الأخبار التي أذاعتها القنوات التركية أحدثت شيئاً من البلبلة. وعلى إثر ذلك اتصل بي أحد أقاربي من أنقرة وأعلمني بالموضوع؛ كيف دعيت قواقجي إلى الأمم المتحدة؟ وبأيّ صفة دعيت؟ كيف أتحصل أنا على دعوة ووزير الشؤون الدينية لم يستدع؟

وتحدث وزير الشؤون الدينية عن سبب عدم دعوته هو شخصيا. كما التقى بعض القيادات الحزبية وقدموا تصريحا.

بعد الظهر شاركت هاتفيا في نشرة أخبار قناة 7. وكان محور حديثي، في هذا الاجتماع الذي يدوم ثلاثة أيام، الدعوة إلى التسامح بين الأديان. ومن الجوانب الجيدة في هذه الجولة التي قمت بها إلى نيويورك أن تعرّفت على السيدة الأميرة نديدة حفيدة السلطان عبد الحميد الثاني والشيخ ناظم القبرصي. وكان للأميرة نديدة كتاب جديد على وشك الظهور. وتحدّثنا بين ردهات الاجتماعات عن السياسة التركية.

قبل مغادرة نيويورك بقليل زرت الشيخ ناظم القبرصي في جناح خاص بأعلى طابق من النزل. وقد التقاني قائلاً: "هذه بنتنا قد جاءت". واستفسر عن أحوالي مفيداً أنه دعا لي بالخير. وقبلت يده ثم أسرعت للحاق بطائرتي وكلّي سعادة.

امرأة محجّبة
في مجلس اللوردات البريطاني

تلبية لإحدى الدعوات من البرلمان البريطاني ركبت الطائرة في نوفمبر 2000 وسافرت إلى لندن. وأقمت ضيفةً في نـــزل السّيد يوسف إســـلام. وإنجلترا بالنظر إلى أميركا بلد كلاسيكي. فلندن مدينة تاريخية، ويرتفـــع في قلبها البرلمان، وهو بناء عظيم مهيب. وفي جانب منه تنتصب ساعة البيـــغ بانغ الشهيرة. ومن أمامها يمرّ نهر تامس.

عند دخولي إلى البرلمان الإنجليزي كنت مصـــحوبة بمجموعـــة مـــن الأشخاص، وقد التقانا اللورد ناظر أحمد. وفي مجلس اللوردات يوجد أربعة لوردات مسلمون، وكانت من بينهم امرأة. وحسب مـــا علمـــت فـــإن السيدات يقال لهن باروناس baroness، وتعرفت من بعد على الباروناس أودين ذات الأصل البنغالي. ويعين اللوردات بقرار من الملكة حيث يبقـــون في وظائفهم مدى حياتهم.

يختار المرشحون من الذين يقدمون خدمات للشـــعب في منـــاطقهم. واللورد أحمد هو في الحقيقة من كشمير، جاء إلى إنجلترا صغيرا. وفي زمـــن قصير، وبنجاح كبير قدّم خدمات للشّعب في منطقة روتردام حيث يقـــيم. ونجحت الباروناس أودين بنشاطاتها الناجحة في جلب اهتمام الملكة إليهـــا. وبصفتها أمّا لمعوق فقد اهتمّت بفئة المعوقين، واشتهرت في محيطهـــا بمـــا تقدمه من خدمات صادقة. وقد كانت الباروناس أودين امرأة مسلمة قوية.



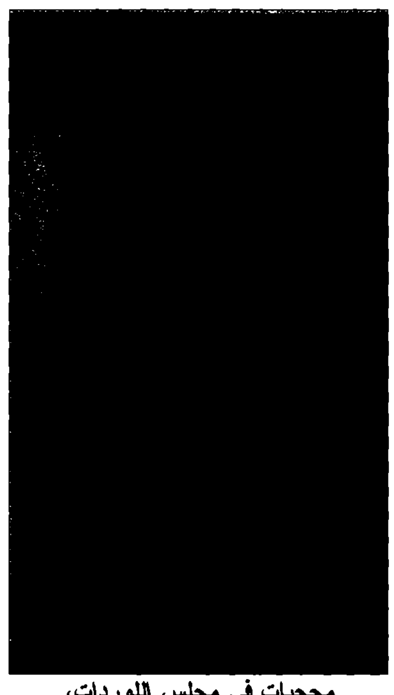
من اليسار إلى اليمين، اللورد أريك أفمبوري، أنا، اللورد ناظر أحمد.
مجلس اللوردات، لندن ، نوفمبر 2000.

وبعد الاستماع قليلاً للمتدخلين أخذني اللورد أحمد في جولة داخل البرلمان. وكان يشرح لي بدقة الباب الذي تدخل منه الملكة والمراسم وأماكن وقوف اللوردات والنوّاب.

يذكّرنا البرلمان بالكونغرس الأميركي، والواقع أن الكونغرس الأميركي يشبه البرلمان الإنجليزي ويشبه قليلاً قصر فرساي في فرنسا، فهو بقبته المهيبة ورسومه التي تبعث الحياة في التاريخ وارتباطه بالماضي، وبما يميزه من معمار تاريخي يوحي بجوّ سحريّ. ويفسّر ما قدمته الأعراف الإنجليزية من اهتمام وعناية. وهذه الزخارف تبين الاهتمام الذي أولاه الإنكليز لتقاليدهم. وفي رواق طويل وضيق يجلسون على أريكة من القطيفة، وينتظرون المناداة بأسمائهم على التوالي، ثم يصوتون بالترتيب.

ونزلت ضيفة مع اللورد أحمد لفترة لدى الهيئة العامة بلندن. وكنت من قبل قد زرت مجلس الشيوخ الأميركي ومجلس النوّاب. وإذا قارنا هذه

القاعة بقاعة الهيئة العامة بمجلس النواب التركي فإنّ الفروق تبدو كبيرة جدا. فقاعة البرلمان الإنجليزي والهيئة العامة للكونغرس الأميركي هي أصغر بكثير ممّا لدينا. ما في البرلمان الإنجليزي كان مرتبطا بالأعراف، وكان المهم في الكونغرس الأميركي هو التواضع. ولم يكن في قاعات الهيئة العامة للبلدين جلود غزلان ولا كراسي حمراء. وفي آخر جولتنا وصلنا إلى المطعم المخصص للوردات ونواب المجلس. وبدأنا الحديث ونحن نشرب الشاي الإنجليزي.



محجبات في مجلس اللوردات، 3 نوفمبر 2000، جريدة حريت.

وقبل المرور إلى مجلس اللوردات لإلقاء كلمتي أجبت مع اللورد أحمد على أجوبة الصحافيين. وكان من بين الحاضرين في القاعة مسؤولون في الحكومة الإنجليزية وصحافيون ومواطنون أتراك.

في البداية، تناولت الكلمة البارونات أودين ثمّ البارونات ويتكار، ثمّ استمعنا إلى أحد أكبر أعضاء البرلمان سنّا وهو اللورد أفمبوري. وبعد أن تكلّم اللورد أحمد جاء دوري فتكلمت. وكان محور مداخلات النواب هو الشروط العادلة والموفرة لحرّية الاعتقاد والخطوات اللازمة التي على تركيا أن تقطعها فورا للحاق بالعالم الغربي.

وبدأت مداخلتي بشكرهم على دعوتي، ثم أشرت إلى أن هذا البرلمان لو لم يكن برلماناً غربياً ولو كان برلمان تركيا لما أمكنني الدخول بلباسي

هذا. وفي الأخير أشرت إلى الخطوات التي يتعين أن تقطعها تركيا في المجال الحقوقي والاجتماعي، والطريق التي يجب أن تتبعها كي تصبح من الـــدول المتقدمة.

وفي نهاية الاجتماع طلب مني اللورد أفمبوري زيارة الاتحاد العـــالمي للبرلمانات الموجود بسويسرا. ووافقت بكل امتنان على هذه الدعوة. وقدم اللورد أفمبوري على عجل طلبا إلى الاتحاد العالمي للبرلمانات، ثم اتصـــل بي أيضاً رئيس الاتحاد السيد أندرس ب. جونسن.

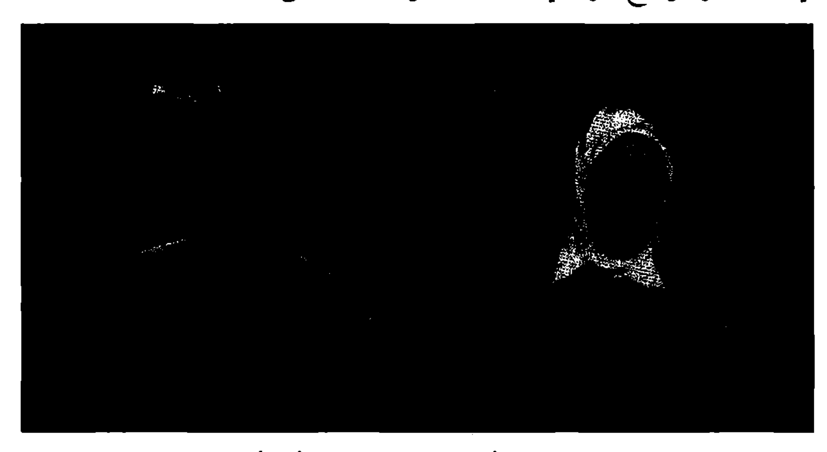
وهناك تناولت في حديثي ترشحي للانتخابات ثم فوزي بعـــد ذلـــك وإعلاني نائبة في البرلمان والأحداث التي جرت داخـــل المجلـــس وإســـقاط الجنسية عني والأحكام القانونية المتعلقة بذلك.

مساءلة جديدة قضية جديدة

عندما عدت إلى أميركا اتصلت بي قناة سي.أن.أن. CNN وأعلموني أنهم يريدون إجراء ريبورتاج في إطار برنامج "Q` ve A" (سؤال وجواب). ووافقت على ذلك، ودام هذا البرنامج 45 دقيقة. وقد ناقشنا فيه الأحداث الجارية في العالم. وكان أهم موضوع في حديثنا هو الحرّيات الدينية. وتناولت انحراف اللائكية في تركيا والمشاكل التي نجمت عن ذلك.

وتحدثت عن الظلم المسلّط على المحجّبات وارتباطه بموضوع الديمقراطية.

وبعد ذلك بأيام شاركت في برنامج في قناة الجزيرة. وكان موضوعنا في هذه المرّة وضع المرأة في أفغانستان وما تعانيه من مصاعب.



اللقاء الذي أجريته مع قناة سي. أن. أن.

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى رفع النائب العام بـ "شيشلي" قضية ضدي بناء على المادة 156 من الدستور. وكانت الحجة هي الإساءة لمؤسسات الدولة. والجرم: هو الزعم في قناتي الجزيرة والـ CNN بوجود تمييز ضد المحجّبات في تركيا وعدم السماح لهن بدخول الجامعات والمؤسسات العامة.

إن الذي قلته غير خاف عن القاصي أو الداني، وبالرغم من ذلك فهناك في تركيا من لازال يعتبر ذلك مجرّد ادعاء. وهناك سؤال آخر أيضاً بقي بدون جواب وهو: لماذا صدرت المساءلة من منطقة شيشلي وليست من منطقتي الانتخابية؟

خبر من تركيا: عضوية قواقجي في البرلمان قد سقطت، قُرأ، وأُبلغ بالأمر

لسبب غير معروف ، وفي صباح أحد أيام الربيع (14 مارس سنة 2001) استيقظ رئيس المجلس عمر إزكي وهو من حزب الحركة القومية، وصرح بسعادة قائلاً:: "اليوم، يوم سعيد لأنّ عضوية مروة قواقجي سوف تسقط من البرلمان". وعندما وصل إلى اللجنة العامة، وبالرغم من المادة رقم 84 مواد النظام الداخلي للبرلمان رقم 134 و135 و136 و137 و138 فقد تجرأ وأعلن: "لقد تمّ إسقاط العضوية عن قواقجي". "قرأ وأبلغ بالأمر".

فما الذي جرى للقرار الذي اتخذته اللجنة العليا للانتخابات؟ لا يمكن لأحد أن يوجه مثل هذا السّؤال. وما الذي جرى للمادة 84 المتعلقة بطريقة إسقاط عضوية النوّاب في المجلس. لا يمكن لأحد أن يوجه مثل هذا السؤال. وكلّ يوم يمر، تشهد فيه بلادنا خرقا جديداً للقوانين. هذا هو فقط ما يجري.

T.C.

TÜRKİYE BÜYÜK MİLLET MECLİSİ BAŞKANLIĞI

GENEL SEKRETERLİĞİ

Kanunlar ve Kararlar Dairesi Başkanlığı

KAN.KAR.MD.

Sayı : A.01.0.GNS.0.10.00.02-

Konu : ....

....

TÜRKİYE BÜYÜK MİLLET MECLİSİ GENEL KURULUNA

Merve Safa KAVAKÇI, 18 Nisan 1999 Pazar günü yapılan Türkiye Büyük Millet Meclisi Genel Seçimleri sonucunda İstanbul'dan Milletvekili seçilmiştir.

403 sayılı Türk Vatandaşlığı Kanununun 25 inci maddesinin (a) bendine göre Bakanlar Kurulunun 16 Mayıs 1999 tarihli Resmi Gazetede yayımlanan kararı ile Merve Safa KAVAKÇI'nın Türk vatandaşlığı kaybettirilmiştir.

Bu karara karşı ilgili tarafından Danıştay'da iptal davası açılmış ve yürütmenin durdurulması talep edilmiştir.

Danıştay 10 uncu Daire, 20.9.1999 tarih ve Esas 1999/2196 sayılı Kararı ile yürütmenin durdurulması talebini reddetmiş; bu ret kararına karşı Danıştay İdari Dava Daireleri Genel Kuruluna yapılan itiraz da, Genel Kurulun 15.10.1999 tarih ve Y.D. İtiraz 1999/589 numaralı kararı ile reddedilmiştir.

Danıştay 10 uncu Dairesince 8.2.2000 tarih ve Esas 1999/2196, Karar 2000/315 sayılı Kararı ile de iptal davası reddedilmiş ve bu ret kararı Danıştay İdari Dava Daireleri Genel Kurulunun 16.6.2000 tarih ve Esas 2000/369, Karar 2000/913 sayılı kararı ile onenmıştır. Bu karara karşı karar düzeltme talebinde bulunulmuş ise de, karar düzeltme istemi Danıştay İdari Dava Daireleri Genel Kurulunun 1.12.2000 tarih ve Esas 2000/1012, Karar 2000/1229 sayılı kararı ile reddedilmiştir.

Sonuç olarak, vatandaşlığın kaybına ilişkin Bakanlar Kurulu Kararı idari yargı organınca hukuka uygun bulunmuş ve karar kesinleşmiştir.

Türkçe İngilizceye ÇEVİRİLMİŞTİR Yeminli Mütercim Orhan Özdakın

Bilgiç Sunulolu

قرار إسقاط عضويتي من البرلمان

Kesinleştiği belirtilen yargı kararları uyarınca Türk vatandaşlığını kaybeden Merve Safa KAVAKÇI, Anayasanın 66 ve 76 ncı maddeleri ile Türk Vatandaşlığı Kanunu hükümlerine göre milletvekili seçilme yeterliliğini kaybetmiştir. Bu nedenlerle, Merve Safa KAVAKÇI'nın milletvekili sıfatının kalmadığı hususunu Genel Kurulun bilgilerine sunarım.

Saygılarımla.

Ömer İZGİ

Türkiye Büyük Millet Meclisi

Başkanı

Türkçe İngilizceye

Orhan Ö...

TOTAL P.02

زيارة كوبا – هافانا

"نحن لا نحترمك ونريد أن لا تجدي الاحترام عند أحد"

الاتحاد العالمي للبرلمانات (IPU) منظمة يقع مقرّها في جينيف، يلتقي من خلالها البرلمانيون من الدّول الأعضاء. وتتولى هذه المنظمة النظر في المواضيع التي تهم النواب واستحداث مشاريع يمكن من خلالها تقديم الدعم للدراسات التي يقومون بها في بلدانهم، وبذل الجهود في سبيل عدم الإخلال بحقوقهم، ومعالجة المشاكل التي تحدث للنواب. والمجلس الوطني التركي عضو في هذه المنظمة.

بدأ الحوار بيني وبين المنظمة بواسطة جهود اللورد أريك أفبوري من البرلمان البريطاني. وسار هذا الحوار على طريق التطور بمرور الزمن. وطلبت المنظمة الوثائق المفصلة المتعلقة بعضويتي في البرلمان. وقد تمّ توفير هذه الوثائق بفضل الجهود التي بذلتها المنظمة، وقد أبلغوني بأنّ قضيتي سيتمّ طرحها خلال المؤتمر الـ 105 للاتحاد والذي سينعقد في هافانا عاصمة كوبا خلال شهر مارس عام 2001. ودعيت لكي أقدم المعلومات اللازمة للجنة حقوق الإنسان في الاتحاد.

تميزت العلاقات الأميركية الكوبية خلال رئاسة كلينتون بالتوتر الشديد بالمقارنة مع الماضي، ولم يحدث فيها أي تحسن بعد. والدولتان

متجاورتان على الخريطة، ولكنهما في حالة صدام دائم يرجع في أسبابه إلى ترسبات من ماض يمتد إلى ما قبل 100 عام. ويحتل اللوبي الكوبي في أميركا موقعا متميّزا ضمن الاتجاه الأميركي المعادي لكوبا. وهذا اللوبي يتزعم الكوبيين الذين فرّوا من عمليات الإغارة التي قام بها كاسترو ضدّهم، وهم يتخذون من فلوريدا مستقرّا لهم.

وزيارة الأميركيين إلى كوبا صعبة ومعقدة تعقيد العلاقات بين البلدين. فتأشيرة الدخول لا يمكن الحصول عليها إلاّ بشروط كبيرة. والإجراءات الإدارية (أو البيروقراطية) الأميركية تتسم بالانتظام والسرعة، إلا أن الأمر يصبح بطيئا إذا كان الأمر متعلقا بكوبا. ويحتاج الحصول على التأشيرة لدخول كوبا لمدة لا تقل عن الشهرين.

وعندما قرّرت القيام بزيارة إلى كوبا، كانت أمامي فترة قصيرة جداً كي أتمّ استعداداتي لها. وهذه الزيارة كانت ستتم وأنا أحمل الجنسية الأميركية بسبب عدم توفّر جواز سفر تركي بعد. وبعد أن أوضحت سبب زيارتي وهويتي والجهات التي قامت بدعوتي، أُبلغت بأن الأمر يسير، وانتهت الإجراءات خلال يومين بدلاً من ستين يوماً. وانتقلت من واشنطن العاصمة إلى ميامي كي أنتقل منها إلى كوبا.

تعتبر ميامي الوجه المختلف لأميركا، لأنها تختلف كثيراً عن أميركا التي نعرفها. بل يمكن اعتبارها جزءا من كوبا. فاللغة الأسبانية سائدة أكثر من الإنجليزية. وركبت طائرة لا تقل إلا عددا قليلاً جداً من الركاب لكي أذهب إلى كوبا. وبعد رحلة استغرقت ساعة واحدة من الطيران على ارتفاع منخفض فوق مناطق من أجمل ما رأيت، وصلنا إلى هافانا. وكان في استقبالي مسؤولون من الاتحاد والذين رافقوني إلى الفندق الذي كنت سأنزل فيه. ويذكّرني الكوبيون إلى حدّ ما بمواطنينا، فوجوههم بشوشة ومبتسمة. ويتميز الشعب الكوبي بأنه شعب "مرح" على عكس ما يُروّج له

في أميركا، وعلى الأقل فهم يبدون كذلك. ولكن المنظر العام في هافانا يعكس صوراً من الماضي، فالطرق والمباني والسيارات ذات أشكال قد عفا عليها الزمن.

عند حلولي بالفندق وصلتني مكالمة ترحيب هاتفية من قبل إنجيبورغ سوارتشز مسؤول لجنة حقوق الإنسان في الإتحاد. وتحدّثنا عن التفاصيل المتعلقة بالاجتماع الذي سنعقده في اليوم التالي. وغادرنا الفندق صباح اليوم الموالي مع باقي نزلائه من البرلمانيين متوجهين إلى مكان انعقاد الاجتماع، وأكملت إجراءات القيد. وتساءلت بيني وبين نفسي عمّن حضر من حزب الفضيلة في هذا الاجتماع. وبينما أنا كذلك سمعت صوتا مرحبا بي يقول "أهلا وسهلا بك يا مروة هانم". وكان صاحب هذا الصوت هو النائب طورخان ألجيليك من حزب الفضيلة. ثم قال: "كنّا نتساءل فيما إذا كانت مروة هانم ستشارك في الاجتماع أم لا؟" ورحبت به وبمن معه، وتبادلنا السلام مع السيّد بحري زنكين من حزب الفضيلة.

وكان معهم شخص آخر لم أكن أعرفه وظننت أنّه نائب برلماني أجنبي. غير أنّ السيّد بحري زنكين سأله قائلاً: "هل تعرف مروة قواقجي هانم؟ وعندئذ عرفتُ أنّه تركيّ. وأجاب هذا الرجل طويل القامة وهو يدير وجهه إلى جهة أخرى وبنبرة حادّة: "كلاّ". هذا الرّجل الذي زعم أنه لا يعرفني توجه إليّ بسؤال مفاجئ قائلاً:" كيف استطعت المجيء إلى هنا؟" وأجبته مستخفّة بنبرة صوته الحادّة قائلة: "ركبت الطائرة وجئت". وردّ علي قائلاً:" لا يمكن المجيء إلى هنا من أميركا، لا يسمحون بذلك". وعقّبت على كلام هذا الرّجل الذي لا أعرفه قائلة: "أيّها السيّد، مادمت هنا فهذا يعني أنهم سمحوا لي بذلك، وقد انتقلت من واشنطن إلى ميامي، ومنها إلى هافانا". وانقطع الحوار الذي بيننا عندما سألني السيد طوران بلطف عمّا أريد أن أشربه من شاي أو قهوة".

وكنا نتبادل الحديث أثناء تناول الشاي. ووجهت حديثي إلى بحري بك وطورخان بك سائلة إياهما: أجئتما أمس، كيف دارت الاجتماعات؟ إنني لم استطع المشاركة في الاجتماع سوى اليوم. فبالأمس حضرت مؤتمراً في جامعة ميشيغان ولهذا السبب تأخرت في المجيء إلى كوبا". وأضفت أيضا: "سأتحدّث اليوم في الساعة الخامسة عصراً أمام لجنة حقوق الإنسان". واستمع ذلك الغريب إلى ما قلته، وتدخّل في الحديث بقلّة أدب ملحوظة هذه المرّة قائلاً: "لا يسمحون لهذه بأن تتحدّث هناك، وهل يمكن أن يسمح لأيّ شخص بالكلام؟ وقد جاء أحدهم ذات مرّة... (وذكر اسمه) ولم يسمحوا له بالكلام". وبدأت أعصابي تثور، فمن يكون هذا الرجل وبأيّ حق يهاجمني بهذا الشكل؟ وكنت أعي جيداً أنّ أفضل وسيلة لمجابهة مثل هذا الموقف هو الاحتفاظ ببرودة الأعصاب، فأجبته:" أيها السيد، لقد دُعيت من قبل السّيد جونسون رئيس الاتحاد العالمي للبرلمانات لكي ألقي كلمة في السّاعة الخامسة عصر اليوم. فإذا أردت أن تسمع كلمتي فتفضل بالمجيء". وعندها تدخّل السيد طورخان للمرّة الثانية قائلاً: "هلم بنا نجلس"، ثم مشينا.

بعد برهة جاء السّيد بحري ليشاركنا الحديث. وقال السيد طورخان: "إنّ هذا السيد هو جاويد قاواق النائب عن حزب الوطن الأم". لقد كان في خشية من مجيئك، ويقول إنّ ثمة توتراً بين كوبا وأميركا، ولذلك فإنها لن تستطيع المجيء ولن يسمحوا لها بالقدوم".

وعندها فهمت سبب أسلوبه الجاف معي. فدعك من عدم السماح أو المجيء، فقد تم الإسراع في الإجراءات من قبل المسؤولين وبصورة غير عادية. وبالتالي تيسرت عملية مجيئي إلى كوبا. واستمرّ السيد طورخان في حديثه قائلاً: "عقدنا اجتماعا في وزارة الخارجية قبل مجيئنا، وصرح مساعد المستشار بالقول [لقد منعنا تناول موضوعات كذا وكذا في كوبا إلا

موضوع مروة قواقجي فقد فشلنا في الحيلولة دون الخوض فيه]، فقال من كان معنا متفائلين [إنّها مواطنة أميركية ولن تستطيع المجيء]". وعندما جاء السّيد بحري كنت قد استوعبت الموقف كاملاً. فقد قال السيد بحري: "لقد ذهب جاويد قاواق، ذهب ليخبر الآخرين بالأمر".

وعلمت فيما بعد أن جاويد قاواق ذهب وأخبر باقي النوّاب القادمين من تركيا بأمر مجيئي. ورئاسة الوفد التركي كان يتولاّها - إلى جانب جاويد قاواق - نائب يدعى ضياء آقطاش من حزب اليسار الديمقراطي. وحسب ما قيل أيضاً فقد اتصلا بالسفارة التركية في أميركا متسائلين: "كيف يحدث هذا، كيف تأتي؟". وفيما بعد أتى السيد جاويد إلى السيد بحري مخبرا إياه بأنهم اتصلوا بالسّفارة التركية وسيعلمون بدورهم الحكومة الأميركية. وسوف ترى عند عودتها إلى أميركا معنى المجيء إلى هنا.

انظروا إلى وضع هؤلاء النواب الذين انتخبناهم كممثلين لأمتنا في المجلس، ويتولّون إدارة شؤونها. لا أدري هل وضع مبك أم مضحك. ما هذه العقلية الضيقة؟ يظنون أن الظلم الذي يمارسونه سيجد قبولا في أماكن أخرى في العالم. ويظنون أنّ الحقوق التي اغتصبوها من الإنسان عندهم ستغتصب أيضاً في بلدان أخرى، وأن كلامهم سيُسمع له. ويبدو أنهم يصدّقون ظنونهم، وهذا هو المؤلم في القضية حقّا. والوضع الذي لم يستسغه السيد جاويد، ولم يقتصر على عدم معارضة أميركا لمجيئي، بل على كيفية قيامي برحلة المجيء إلى كوبا بهذه السهولة.

وهناك سؤال آخر يقفز إلى الأذهان وهو: لماذا شعر الوفد القادم من تركيا بعدم الراحة من مجيئي إلى كوبا بهذا الشكل المفرط؟ أنا نفسي لا أفهم السبب. أليسوا هم نواب الجمهورية التركية الديمقراطية العلمانية؟ لماذا كانوا مشحونين بالشّكوك وعدم الرّاحة؟ ترى هل أحسوا أنهم ارتكبوا أخطاء وكانوا يخافون من انكشافها؟ هل كانت أخطاء مخالفة للقيم العالمية

التي يمكن أن تعرضهم للمحاسبة أمام الـ IPU؟ انظروا، من الخائف الآن، من الذي يترقب ويتحسّب؟ أنا الآن رأسي مرفوع وجبيني وضّاء. ما السبب الذي حدا بهؤلاء إلى كلّ هذا الهلع والاستنفار؟

وقد كان جميع أعضاء الوفد التركي - عدا أعضاء حزب الفضيلة - في حالة هلع. لقد تركوا متابعة اجتماعات اللجنة العمومية لـ IPU وقرروا فيما بينهم وضع خطّة لـ "كيفية كبح جماح مروة قواقجي"، ونسي هذا الوفد السبب الحقيقي الذي أتوا من أجله إلى هناك. وكنت من ناحيتي أبين لكل من السيد بحري والسيد طورخان الأعمال التي قمت بها بعد رحيلي من تركيا، وكيفية تعرّفي على الـ IPU والخطوات التي قام بها الـ IPU بعد أن نظر ودقّق في ملفي، كما عرضت عليه مضمون الكلمة التي سألقيها في الساعة الخامسة عصراً.

أما الزملاء فقد كانوا في شكوى من عدم وجود مهام يكلف بها أعضاء حزب الفضيلة. فتوزيع المهام في لجنة تنظيم اجتماع الـ IPU كان بشكل يجعل أعضاء حزب الفضيلة خارج نطاق هذه المهمة. أمّا اللجان التي أرادوا أن يشاركوا فيها فلم يجدوا وسيلة ينجحوا بها بسبب معارضة النّواب الأعضاء في الحكومة الذين قالوا "لا يمكن، فأنتم لستم أعضاء في هذه اللجنة". وبدوري وجهت كلامي للسيد بحري والسيد طورخان قائلة لهما: "إذا أحببتم المجيء إلى لجنتي فتفضلوا بالإصغاء. بل قولوا للآخرين أن يأتوا أيضاً ليصغوا، فلا يوجد أي مانع من جهتي. وبالعكس سوف يكون الأمر أفضل بالنسبة إليّ". وعلمنا فيما بعد أن الـ IPU سوف يقوم بالاستماع إلى كلمتي. وفي اليوم التالي سوف يصغي إلى الدفاع الذي ستقوم به الحكومة التركية إزاء هذا الموضوع. ولهذا السبب سوف يكون الاجتماع غير مفتوح للجميع. وسوف يتولى السيد ضياء آقطاش من حزب اليسار الديمقراطي مهمّة الدفاع عن الحكومة التركية.

وتناولنا الغداء برفقة النواب الأعضاء في حزب الفضيلة، وكان الجو السائد في الغداء يوحي وكأننا أنقذنا تركيا. وبعد مشاركتي في اجتماع اللجنة العمومية الذي انعقد بعد الظهر ، انتقلت إلى لجنة حقوق الإنسان التي سأمارس أعمالي فيها.

كان السيد بحري في حالة انفعال أكثر منّي، وقال لي: "ربّما لا يستمعون إليك أكثر من 30 دقيقة". وبعدها قال لي: "عندما كنت داخل القاعة خرجت ودخلت ونظرتُ إلى ساعتي وكان الاجتماع مازال مستمرّاً، وتجاوز السّاعة ونصف الساعة. عندئذ قلت لنفسي إنّ الأمر غدا بالفعل جدّيا".

وكانت اللجنة التي تستمع إلي متألّفة من ستّة أعضاء ومن بلدان مختلفة. كانت الجلسة برئاسة النائبة السيريلنكية م. سامارا سينجهي. أمّا الأعضاء الآخرون فهم النائب البريطاني أ.كلويد، والنائب الشيلي جي. بي. ليتيلير، والنائب م. عثمان كممثل عن البرلمان النيجيري والنائب التشيكوسلوفاكي نيدفيدو فاي.

وبدأت كلمتي بتوجيه الشكر إليهم لإبدائهم الاهتمام بقضيتي. وكانت هناك ملفات موضوعة أمام أعضاء اللجنة. وهي الملفات التي كنت قد أرسلتها قبل الاجتماع إلى المقرّ العام لـ IPU في جينيف. وعرضت موجزا بالتواريخ لوقائع انتخابي نائبة في المجلس. وحرصت على دعم ما عرضته بالمواد القانونية ونصوصها وتواريخ دخول هذه القوانين حيّز التنفيذ. وكنت قد أعددت كلمتي وأنا واعية بضرورة دعم ما أقوله من وجهة نظر قانونية، وذلك كي لا تبقى كلمتي بلا معنى. وبعدها بدأت في الإجابة على أسئلة أعضاء اللجنة. وكان الاجتماع طويلا ومفصلا ومفيداً.

وعند خروجي كان يخالجني شعور بالارتياح والخفة نتيجة تحملي للمسؤولية التي حملني اياها الشعب التركي الذي انتخبني نائبة في المجلس.

وكان كلّ من السيد بحري والسيد طورخان في اجتماع اللجنة العمومية. وذهبت إلى قاعة اللجنة العمومية، ومن الطبيعي أنني لم أكن جالسة مع الوفد التّركي. والحقيقة أن أعضاء الوفود من باقي الدول كانوا طيلة ثلاثة أيام إمّا يرونني هناك أو يسألون الوفد التركي عنّي. وكانت إجابة الوفد التركي هي: "إنها لم تأت معنا،ولا نعرف أين هي". وعندما التقينا أوضح لي الأعضاء من مختلف الدول بأن ما فعلوه لا يليق حتى بطلبة المدارس الابتدائية، وقد عجبت من ردودهم بهذا الشكل.

وانتهى القسم الأول من اجتماع الـ IPU، وبدأت في اليوم التالي الإعداد للكلمة التي سألقيها أمام اجتماع لجنة النائبات. وكانت تدور حول منع الحجاب في تركيا. أمّا الوفد التركي المتحضر والذي بدا وكأنه يتلظّى بالنار فقد كان مشغولا بتنظيم حملة لـ "إيقافي عند حدّي". وهذه المرة قامت مجموعة قواق وآقطاش باتباع أسلوب راق. فقد اتصلوا بالوفود الأجنبية وعلى رأسها رئيس الـ IPU جونسون قائلين لهم: "لا تصغوا لما تقوله مروة قواقجي، ولا تصدّقوها، فإنها تكذب". ونقل لي هذا الكلام مسؤولو الـ IPU وهم في حيرة شديدة. وفضلا عن ذلك ذكر لي السيد طورخان بأنهم طلبوا منه أن لا يذهب معي لكي أبقى معزولة. إلا أنّ كلا من السيد طورخان والسيد بحري جزاهما الله كل خير - لم يتركوني ولا لحظة بمفردي في هذه الاجتماعات.

والمؤسف، والمؤسف جداً أن مثل هذا السلوك لم يكن مفهوما من قبل النواب الأجانب سواء أكانوا شرقيين أو غربيين. وهذا السلوك الفاشي الذي اتبعه الوفد التركي كان شاهدا على الفكر المتحجّر. فوظيفة الـ IPU هي السعي لإقامة عالم يتم التعبير فيه عن الآراء بكل حرية لجميع النواب من مختلف البلدان كي يدافعوا عن القيم المشتركة مثل حقوق الإنسان والحريات. وللأسف، يتم تمثيل بلدنا تركيا في المحافل الدولية من

قبل عقول تتميز بفكر التسلّط والاتجاه الواحد، ولا يليق أن يمثل تركيا في هذه المحافل مثل هؤلاء الناس. إنه حقا أمر مؤسف...

إن هذا الفكر ذي الاتجاه الواحد والخاص بالنخبة لم ينل أي دعم من رئيس الـ IPU جونسون الذي قال: "نحن سعداء كونك بيننا، وسيكون هناك ضيوف أعزّاء أكفاء للنظر في الموضوع الخاص بك".

لا يعقل أن يستمع ذو عقل سليم لما ينشره هؤلاء من الأكاذيب والافتراءات هنا وهناك بحق سيدة بريئة، وخصوصا في مناسبة دولية على مستوى عال تجمع النواب البرلمانيين من مختلف أنحاء العالم. لذا فان الذين قالو: "نحن لا يمكن أن نحترمك ونريد أن لا تجدي الاحترام عند أحد" لا يلحقون الأذى إلاّ بأنفسهم. وفي اليوم الموالي قام ضياء آقطاش بصفته ممثلا لحكومة أجويد بتقديم دفاعه إلى لجنة حقوق الإنسان بشأن قضية عضويتي في المجلس النيابي. وقال مخاطبا إياهم: "أنتم لا تعرفون هؤلاء، فإنهم كذا وكذا، وإنّ العلمانية في خطر". وأجابته اللجنة سائلة: "وما هي أدلّتك القانونية على صحة ما تدعيه يا سيد ضياء؟". وكان جوابه: "لا أعرف". ونتيجة لذلك فقد صدر في هافانا قرار لصالحي من قبل الـ IPU، وبالتالي كنت مرتاحة البال خلال رحلة عودتي إلى واشنطن لأنّني كنت أشعر بأنني أديت محمدي، على عكس ما كان يظنّه البعض.

وبعد رجوعي من كوبا جرت مكالمة هاتفية بيني وبين صديق لي وهو نائب حاليا عن حزب العدالة والتنمية. فعندما سمع مني ما حصل عقّب قائلاً: "إنّ هؤلاء - يقصد ضياء آقطاش وجاويد قاواق - كبار رجال الدّولة"، وصرح بما لم يكن مسموحا التصريح به...

إنّ التقرير المبين أدناه هو النسخة الأصلية للقرار الذي اتخذ لصالحي من قبل الاتحاد البرلماني الدولي. وقد تناول القرار تفاصيل عن ترشّحي وانتخابي، ومنعي من آداء القسم في المجلس وإسقاط الجنسية عنّي وإسقاط

عضويتي في المجلس. وبيّن أيضاً عدم وجود أي إخلال بنظام المجلس عند دخولي إليه وأنا متحجبة. وبين أيضاً عدم وجود مادة في الدستور تنص على عدم إمكانية انتخاب مزدوجي الجنسية نوابا في المجلس، وعدم وجود مادة تنص على ضرورة قيام نواب بالإعلان عن كونهم من حملة الجنسية المزدوجة. وبين أيضاً أنني حرمت من حقوقي كنائبة منتخبة. وأكد على أنني منعت من أدائي القسم في المجلس بتصرّف مناف للقانون خصوصاً عند الأخذ بنظر الاعتبار إلغاء الحزب الذي أنتمي إليه ومنعه، وبالتالي يعتبر ناخبي قد حرم من حقّ تمثيله. وبموجب المواد الدستورية المذكورة، لا يمكن إسقاط عضويتي في المجلس تلقائياً، بعد انتخابي عضوا فيه. وبموجب قرار اللجنة العليا للانتخابات، فإن قرار إسقاط عضويتي في المجلس لا يمكن أن يتخذ إلاّ من قبل المجلس الوطني التركي الكبير (البرلمان) الذي هو المخول وحده في هذا الأمر. ومثل هذا القرار لا يمكن أن يتخذ إلا بأغلبية أكثر من نصف الأصوات.

ونتيجة لذلك، فقد أوضح الـ IPU قلقه حول طبيعة الحيثيات التي استند إليها المجلس الوطني الكبير في قبوله عضويتي فيه، وعدم فهمه صحة قرار مجلس الدولة بشأن إسقاط الجنسية عني بالرغم من حصولي عليها مرّة أخرى. وأوضح أيضاً أن ما تقدم يعتبر سبباً كافيا لوصف منعي من آداء القسم بأنه سلوك غير قانوني. كما أن إسقاط العضوية من المجلس هو عمل لا يستند إلى القانون. لذا فإنّ الـ IPU سيواصل النظر في القضية خلال اجتماعاته المقبلة.

القرار الذي اتخذه الـ IPU بشأن ملف قواقجي



CASE N° TK/66 - MERVE SAFA KAVAKÇI - TURKEY

Resolution adopted unanimously by the Council at its 171st session (Geneva, 27 September 2002)

The Council of the Inter-Parliamentary Union,

Having before it the case of Ms. Merve Safa Kavakçi of Turkey, which has been the subject of a study and report of the Committee on the Human Rights of Parliamentarians in accordance with the "*Procedure for the examination and treatment, by the Inter-Parliamentary Union, of communications concerning violations of human rights of parliamentarians*",

Taking note of the report of the Committee on the Human Rights of Parliamentarians (CL/171/12(a)-R.1), which contains a detailed outline of the case,

Considering that Ms. Merve Kavakçi was elected on 18 April 1999 on a Virtue Party ticket as a member of the Turkish Grand National Assembly (TGNA) and was issued the credentials

validating her membership in the TGNA; however, during the swearing-in ceremony on 4 May 1999, she was prevented from taking the oath because of her wearing of a headscarf and forced out of the assembly hall; on 13 May 1999, the Government revoked her Turkish citizenship on the grounds that she also possessed US citizenship, which, in violation of Turkish citizenship law, she had accepted without permission from the Government; that decision was upheld on appeal by the Council of State (latest decision on 1 December 2000) although in the meantime Ms. Kavakçi had regained Turkish citizenship through her marriage to a Turk on 28 October 1999; on 20 May 1999, by decision N° 1585, the Supreme Election Council (YSK), seized by the Government, confirmed that Ms. Kavakçi had been duly elected and was a member of the TGNA and ruled that a decision to terminate her mandate for loss of eligibility after election belonged solely to the TGNA,

Considering that, on 14 March 2001, the Speaker of the TGNA submitted a letter to the Assembly notifying it that Ms. Kavakçi's deprivation of Turkish citizenship was "*lawful and final*", for which reason Ms. Kavakçi "*has lost her eligibility under Articles 66 and 76 of the Turkish Constitution and Citizenship Law ... and does not have parliamentary status*"; *recalling* that, on 17 January 2001, the President of the Turkish IPU Group stated that Ms. Kavakçi's "*parliamentary status was lifted*" subsequent to the revocation of her nationality on the grounds that "*Turkish nationality is a precondition for being a parliamentarian*",

Considering that, at the hearing held in Havana (April 2001), the Turkish delegation, emphasising the secular character of the Turkish State, stated that Ms. Kavakçi's aim was to show that a woman wearing a religious symbol could enter Parliament and

should therefore also be able to enter the Government and be admitted to public office in general,

Noting that the Turkish Parliamentary Dress Code in force at the time requires women to wear a suit and that, in wearing a headscarf, Ms. Kavakçi did not violate that Code; *noting also* that Article 76 of the Constitution, governing eligibility, neither excludes persons with dual nationality from standing for election nor requires that dual nationality be disclosed; according to Ms. Kavakçi, several members of the Turkish Parliament indeed enjoy dual citizenship, including US citizenship; *recalling* in this respect that the decision to revoke Ms. Kavakçi's Turkish nationality prompted many Turkish citizens with dual nationality to consult Turkish consulates fearing that they too would be deprived of their nationality; however, they were informed that the decision had been directed against Ms. Kavakçi only because of her "*exceptional status*",

Considering further that, although duly elected, Ms. Kavkaçi was denied all rights as an MP, including salary, accommodation and office; neither her name nor her picture was included in the Album of the Parliament and all information concerning her election was deleted from Parliament's data systems,

Considering moreover that in June 2001 the Court dissolved the party to which Ms. Kavakçi belonged for "*activities against the secularism principle of the Turkish Republic*", basing that decision *inter alia* on speeches made by Ms. Kavakçi; it debarred her for five years from political activity; as a consequence of Article 84 of the Constitution in force at the time, she would at that point have forfeited her mandate,

Noting finally that Ms. Kavakçi is currently living in the United States of America; knowing that charges of "*insulting the*

Republic, the Parliament and the State" have been levelled at her, she fears that she may be arrested and prosecuted should she return to Turkey; she feels that she has been the target of discriminatory measures contrary to the principles enshrined in the Constitution and laws of Turkey and in international human rights standards, in particular the European Convention on Human Rights, to which Turkey is party,

1. *Observes* that it is undisputed that Ms. Kavakçi was duly elected a member of the Turkish Parliament and validated as such by the Supreme Election Council, which that body reconfirmed in its decision N° 1585, adopted by it subsequent to the revocation of Ms. Kavakçi's Turkish nationality;
2. *Affirms*, in line with that decision, that in no way can loss of eligibility after the election invalidate an election, and *is therefore led to consider* that Ms. Kavakçi was arbitrarily prevented from taking her oath and from assuming the parliamentary mandate entrusted to her by her constituents, with the result that they were deprived of their right to be represented by a person of their choice;
3. *Stresses* that the revocation of a parliamentarian's mandate is a serious measure which irrevocably deprives such a member of the possibility of carrying out the mandate entrusted to him/her and that it must therefore be taken in full accordance with the law and only on serious grounds;
4. *Notes* that: (i) in Turkish law there is no provision either for automatic loss of membership in the TGNA in the event of loss of eligibility after election or for the President of the TGNA to make a declaration to that end; (ii) according to the Supreme Election Council, which is the competent body, only the TGNA itself can revoke Ms. Kavakçi's parliamentary mandate; (iii) in

conformity with Article 84 of the Turkish Constitution, loss of membership of the Turkish Parliament must be decided by an absolute majority of the Assembly; (iv) Ms. Kavakçi had regained her nationality while the Council of State ruled at last instance that she had lost her nationality owing to Council of Minister decision N° 99/12827 of 13 May 1999;

5. *Fails therefore to understand* on what legal basis the President of the Turkish Grand National Assembly declared that Ms. Kavakçi was no longer a member of the Assembly without the latter having taken a decision to that effect; *also fails to understand* on what grounds the Council of State declared, as late as December 2000, that Ms. Kavakçi had lost her Turkish nationality when she had regained it in October 1999, as certified by the competent authorities;
6. *Fears,* in view of the information on file, that Ms. Kavakçi was not only arbitrarily prevented from assuming her mandate and duties as an elected representative of the Turkish people but may also have been deprived of her membership without any valid legal basis and according to a procedure not provided for under Turkish law;
7. *Considers* that the Constitutional Court judgment dissolving Ms. Kavakçi's party can in no way alter its opinion;
8. *Requests* the Secretary General to inform the parliamentary authorities of this resolution, inviting them to provide their comments, in particular with respect to any means of redress which Ms. Kavakçi may be granted;
9. *Requests* the Committee on the Human Rights of Parliamentarians to continue examining this case and report to it at its next session (April 2003).

إغلاق الحزب:
التشرّف بحمل لقب "أصغر ممنوع"

كنا في القصر الأبيض مع ممثلي المجلس الإسلامي الأميركي (AMC) بتاريخ 22حيزران/يونيو/عام 2001، وكنا في لقاء بـــ "كارل روق" كبير المستشارين في إدارة الرئيس بوش. وعندما قارب اللقاء على الانتـــهاء رنّ هاتف أحد الصحفيين الموجودين معنا. وكانت المكالمة من تركيا تقول بأنّه "تم إغلاق حزب الفضيلة". وإنّ "خمسة من أعضائه من بينهم قواقجي قـــد تم حظر نشاطهم السياسي لمدة خمس سنوات". فتمتمتُ بعبارة "إنّا لله وإنّا إليه راجعون" أسوة بأمنا عائشة رضي الله عنها التي كانت تسترجع حـــتى عند انطفاء الشمعة المشتعلة.

وبعد دخولي المجلس بخمسة أيام وصلت قضية غلق حزب الفضيلة إلى نهايتها. وهي القضية التي كان المدعي العام الجمهوري قد رفعهـــا بتـــاريخ 7مايو 1999. وكانت لائحة الادعاء تتضمن توصيفا لي، هو كالتّالي: "إنها بمثابة ورم خبيث..."، وطالبت اللائحة حتى والدتي بالعبارة التالية: "وقد تم إبعادها عن مؤسسة تابعة للقطاع العام بسبب عدم قيـــام والـــدتها بإزالـــة الحجاب". وقد وجدت هذه اللائحة قبولا من المحكمة الدستورية العليـــا. وتم إغلاق الحزب بعد سنتين من النظر في القضية أمام المحكمـــة، وكانـــت حيثية الإغلاق تنص على أنّ: "الحزب أصبح مركـــزا للنشـــاط المعـــادي للعلمانية".

وكان هذا القرار إثباتا لمدى ابتعاد مفهوم العلمانية المطبق في بلادنا عن العلمانية الحقيقية، فهي علمانية تطبق بحق أشخاص محدّدين بالذات. فوفقا لتعاليم هذه العلمانية أمنع من ممارسة مسؤولياتي كنائبة منتخبة في المجلس من قبل المواطنين. وكل ذلك بحجة أنني أشكّل "خطرا على العلمانية". أمّا السيدة نازلي إيليجاك ولمجرد أنها وقفت إلى جانبي وأيدتني أثناء دخولي المجلس ، وبالرغم من أنها لا تعتبر نفسها متدينة، فإنها قاسمتني المصير نفسه.

وعندما خرجت من البيت الأبيض متوجهة إلى البيت كانت في داخلي مشاعر متشابكة، كنت حزينة لأن ما حدث ليس هو ما يستحقه شعبنا. ما كان يجدرُ أن يُسمح بإرجاع تركيا إلى الخلف على هذا النحو المزري. وكان ينبغي أن يجد إجراء مثل إغلاق حزب دعما من أحد في الموقف الراهن. فهم لم يكتفوا بإخراجي من المجلس وإسقاط الجنسية عنّي واستعدادهم لمحاكمتي، لم يكتفوا بذلك، بل حدثوا أنفسهم بضرورة منعي من النشاط السياسي لخمس سنوات. وهكذا أصبحت أحمل لقب "أصغر ممنوع" من السياسة ، ولله الحمد.

مع كولين باول وزير خارجية أميركا

تلقيت دعوة من وزارة الخارجية الأميركية في مارس 2002، وكانت الدعوة على شكل مأدبة غداء ينظمها وزير الخارجية كولين باول بمناسبة يوم المرأة العالمي. وكان المدعوون يتكونون من كبار النخبة المثقفة والأكاديميين والساسة الأميركان. وبدأت المأدبة بحفل استقبال رسمي استهلّه باول بإلقاء كلمة. ودارت الكلمة حول الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأميركية في أفغانستان، وحركة إعادة الحرية للمرأة الأفغانية التي سلبت حرياتها تحت ظل حكم طالبان. وبينما كنت أصغي لكلمته، ذهب خيالي للتفكير في الحريات التي تمتلكها المرأة التركية. كنت أفكر في حال أعداد غفيرة وصامتة من النّساء التركيات اللائي لا يسمع صوتهن على الإطلاق، واللائي ضاع مستقبلهن بسبب ارتدائهن الحجاب. فالمرأة التركية تجد الأبواب مفتوحة على مصراعيها، إذا كانت منسجمة مع قالب محدد لها. أما إذا لم تكن كذلك فتجد جميع الأبواب موصدة في وجهها مهما كانت مثابرة وذكية ونشيطة.

كان الوقت قد أصبح متأخراً بعض الشيء بعد المأدبة التي تلت حفل الاستقبال، واقتربت من السيد باول راجية منه بضع دقائق للحديث إليه. ووافق بكل لطف وبدأ مصغيا لما أقول، وبدأت حديثي قائلة: "سيّد باول، نحن نتابع عن كثب حركة "إعادة الحرّية" للمرأة والتي قامت بها أميركا في أفغانستان. ونحن نقدّر هذه الجهود لإعادة المرأة إلى أداء وظائفها في المجتمع. ولكنني اعتقد بأنه لم يكن من الصواب أن تبدأ هذه الحركة كنتيجة

لأحداث 11سبتمبر الأليمة وأن تصبح مرتبطة بها". وأضفت قائلة: "وضمن هذا الإطار فإنّ أفغانستان ليست البلد الوحيد الذي يمارس التفرقة ضد النساء بسبب كونهن نساء. وأعرف أنك والسيناتور ليبرمان ونظيرتك السابقة مادلين أولبرايت كنتم تصفون تركيا في أحاديثكم بأنها البلد المسلم الذي يتبع "الطريق الوسط"، وأنها تعتبر نموذجاً يجب أن يحتذي من قبل العالم الإسلامي. وأنتم توجهون أسئلتكم إلى البلدان الإسلامية الأخرى: انظروا إلى تركيا، لماذا لا تكونوا مثلها؟ بالطبع إنّ تركيا بميراثها الثقافي والتاريخي مرشحة لأن تكون رائدة ونموذجا لباقي البلدان الإسلامية. ولكن هناك أجراءات تتّبع ضدّي وضدّ مئات الآلاف من النساء والسّيدات من المحجبات، وهو بمثابة تفرقة لا تليق بعصرنا الحالي. ويجب أن لا تظلّ الإدارة الأميركية غافلة عن هذا الموضوع". وبعد أن استمع بلطف ردّ عليّ قائلاً: "إنّ هذه مسألة داخلية. هل يمكن أن تتصوّري أن يقوم رئيس أميركا بطلب رئيس جمهورية تركيا أو رئيس وزرائها هاتفيا ويتدخّل في هذه المسألة؟".



لقائي مع وزير الخارجية كولين باول، واشنطن، مارس 2002

وابتسمت ابتسامة حزينة غطت وجهي، ورددت عليه قائلة: "سيد باول، صدّقني إنّني أقول لكم هذا الكلام وأنا نائبة تركية. نعم، يستطيع الاتصال، ولكن ليس في هذا الموضوع وإنما في مسائل أخرى. فهناك الأطفال الصغارالذين يجبرون على الانتظار في حدائق المدارس، وهناك أولياء الأمور الذين يتمّ الاعتداء عليهم ضرباً وسجنهم، ويتم القضاء على مستقبل الآلاف من النساء الشابات المحجبات. وبالرغم من كل ذلك تكتفي أميركا التي هي جزء من العالم الغربي بموقف المتفرج". وأضفت أيضا:" طالما نحن نفشل في التوصل إلى الأمن والسلام العالميين فإننا نفشل في خدمة مصالحنا القومية. والمسألة هي في كيفية قيام تركيا بالإسراع في عملية التحول الديمقراطي، وفي كيفية قيامنا بإزاحة المعوقات الموجودة أمام هذه العملية". وعلى إثر ذلك عبر عن تأييده قائلاً:" كل بلد يمر بمرحلة تحول ديمقراطية بوتيرة ملائمة لواقعه. ويجب على تركيا أن تمرّ بمثل هذه المرحلة بالوتيرة التي تلائمها. وأنا أوافقك في هذه الناحية". وبعد هذا الحديث القصير اتفقت على موعد مع أبريل بالمرلي رئيسة قسم الشؤون النسوية العالمية لبحث مسألة الحجاب بشكل تفصيلي، وهذا القسم أسسه أسسه باول نفسه. وقد التقينا بالفعل في الأيام اللاحقة.

الطريق الممتد من المجلس إلى هارفارد

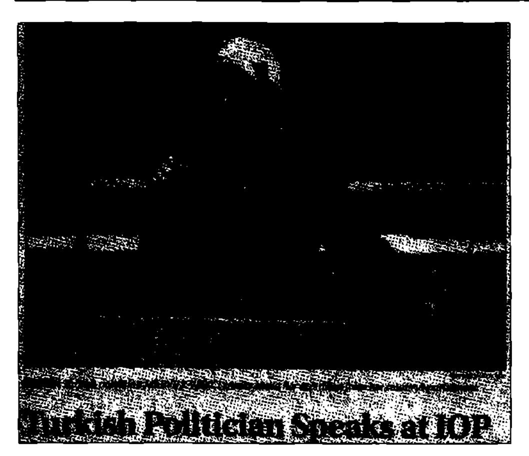
جئت إلى جامعة هارفارد الواقعة في مدينة بوسطن أول مرة في نوفمبر من عام 2000 عندما كنت مدعوة من قبل المعهد السياسي (INSTITUTE OF POLICY)، فقد أدرج اسمي ضمن قائمة الساسة المدعوين في تلك السنة، إذ تتم دعوة الساسة من مختلف بلدان العالم سنويا.

ويرتبط المعهد بكلية كينيدي الذي يشكل بدوره الذراع الأكاديمية للسياسة الأميركية. وتعتبر هذه الكلية من أكثر المحطات التي يرتادها أقطاب السياسة السابقون أو الذين توقفوا عن أداء النشاط السياسي. ومن هؤلاء بعض وزراء الإدارة الأميركية، ومستشاري الرئيس، وكذلك نواب بعض الدول الأخرى سفراؤهم ورؤساؤهم ووزراؤهم، بالإضافة إلى آل كينيدي. وأصبحت أرتاد هارفارد باستمرار بعد زيارتي الأولى لها. وأصبحت توجه إليّ باستمرار دعوات من أقسامها المختلفة لإلقاء الدروس والمشاركة في مؤتمراتها. وتم اختياري ممثلة لتركيا في برنامج "أدوارد م. فلو" الذي يتألف من رؤساء ورؤساء وزارة ووزراء ومساعدي وزراء ورؤساء بلديات ونواب وبيروقراطيين ودبلوماسيين من 25 بلدا ناميا.



مع رئيسة وزراء كندا السابقة كيم كامبل في مركز قيادة القطاع العام بوسطن، سبتمبر 2002

هذه المهمة الجديدة وفرت لي فرصة تطوير مؤهلاتي إلى جانب المساهمة في وضع هذه النخبة في صورة السياسة التركية. وهذه النخبة تعتبر مرشدا فنيا لي في هارفارد لأنها تمتلك خبرة أكثر مني بسنوات طويلة في مجال السياسة. ومن بين



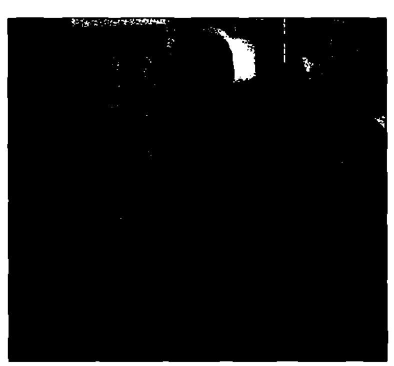
طبعت بإذن The Harvard Crimsonm Inc.
جميع الحقوق محفوظة 2003

هؤلاء "كيم كامبل" أول رئيسة وزراء لكندا، و"سوان هانت" سفيرة الولايات المتحدة في النمسا. وكنا نلتقي باستمرار لنتحدث عن المعوقات التي تقف في طريق السياسيات من النّساء. ولعلّ السياسة هي أقلّ المجالات التي تجد فيها المرأة احتراماً. وأينما كانت المراة في العالم فإنها تواجه كفاحاً مريراً عندما تخوض غمار السياسة. ولا يختلف الأمر في أميركا وكندا اللتين يمكن أن نعدهما من الدول المتقدمة. وعندما تضاف المعوقات النابعة من طبيعة المرأة إلى المعوقات التي تميز عالم السياسة يصبح خوضها أمرا مخيفا بالنسبة إلى المرأة. وكانت هناك قواسم مشتركة عديدة تجمعنا في هذه اللّقاءات، وهي قواسم تسعدني أحياناً وتحيرني أحياناً أخرى.



مع السفيرة هانت،
بوسطن، مايو 2003

كانت كيم تتناول المسألة من زاوية نظرية وتسلط الضوء على الفرق بين المرأة والرّجل. أما سوان



مع السيناتور هيلاري كلينتون، دالاس نوفمبر 2003.

فكانت تتناولها من واقع عملي، وكانت تهدف إلى بحث وضع المرأة في كافة مراحل السّياسة. وكانت تقول إنّ مشكلة الظلم في رواندا، والصّراع الفلسطيني الإسرائيلي، وأزمة الصرب والبوسنيين لا يمكن أن تحل إلا من قبل المرأة. ودعتني سوان في أحد الأيام لإلقاء كلمة في اجتماع أعدته هي حول "النساء السياسيات والمعوقات التي تجابهن". وكانت هناك ثلاث في هذه الندوة إحداهن هيلاري كلينتون. وقد كانت هذه الندوة تسير في جو مريح. ألقت هيلاري كلمة عن كيفية انتخابها في مجلس الشيوخ الأميركي، ولكن بأسلوب مازح. أما أنا فقد ألقيت كلمة موجزة عن تجربة انتخابي نائبة في المجلس.

يعتبر "جميل مهاد" شخصية ذات جوانب متعددة في مدرسة كينيدي، فهو على شاكلتي كان قد شارك قبل فترة قصيرة في هذه الجامعة ضمن برنامج أدوارد م. فيلو. وقد أُقصي عن منصب رئاسة جمهورية الأكوادور عام 2001 نتيجة انقلاب عسكري، ومنها عاد مرة أخرى إلى مدرسة كينيدي. وبدأ بعرض تجربته عبر سؤال وجّهه إلينا قائلاً: "كيف يستطيع ربّان السفينة أن ينقذها من بين أسماك القرش وهي غارقة؟".



مع رئيس جمهورية الأكوادور السابق مهاد في مكتبه بهارفارد بوسطن، أبريل 2003.

لا تضم مدينة بوسطن جامعة هارفارد فقط، بل تضم معهد ماساشوستس للتكنولوجيات المشهور عالمياً. وهو مركز للاختراعات التكنولوجية، ولا يبعد عن جامعة هارفارد سوى بضع دقائق. وخلال الفترة التي كنت موجودة فيها ببوسطن، كنت أشارك مساعدة للأستاذ البروفيسور نوآم شومسكي الذي كان يلقي درساً بعنوان "السياسة والعدالة والتحول الاجتماعي". وكانت محمدي تتحدّد في إلقاء محاضرات عن المواضيع المتعلقة بتركيا. وكنا نعتقد أن هذا الدّرس سيحضره ما بين 25 إلى 30طالبا. ولكن الذي حصل هو أننا كنا نلقي الدرس بحضور250 طالبا.

ولنعد الآن إلى واشنطن... استمرار في الأجواء الأكاديمية، عضوية في الهيئة التدريسية لجامعة جورج واشنطن، نزولي ضيفة خبيرة في معهد أبحاث أوروبا وروسيا وأوراسيا، مؤتمرات متواصلة. زواج وصل إلى نهاية الطريق، وحياة ذات إيقاع متواصل ومتعب ولكنها مثمرة...



درس في كلية كينيدي، بوسطن 2003

"وليكن، سأنتظر" إنّا جميعاً منتظرون

كان لويس فارخان زعيم أمة الإسلام Nation Of İslam قد قـام بزيارة إلى تركيا قبل خمس سنوات خلال زياراته إلى الشـرق. وبـين في برنامج تلفزيوني في أميركا ما رآه خلال زياراته لهذه البلدان. وعندما بـدأ يتحدث عن تركيا؛ ازداد انشراحه، فقد أخذ يتحدث عن دماثة الخلق التي يتميز بها الشعب التركي قائلاً: "لم يحتضني أناس مثلما احتضـني الإخـوة هناك"، ثم بدأ يشير بيده قائلاً:" الناس هناك بيض الوجوه، وبـالرغم مـن ذلك فإنهم متواضعون ومحترمون إلى درجة كانوا يقبلون هذه اليد، هذه اليد السوداء التي ترونها". وبينما كان فارخان في مؤتمر له بـ "دالاس" العـام الماضي، دعاني ووالدي بعد إلقاء كلمته، إلى عشاء في الفندق الذي كـان ينـزل فيه. وحضر هذه الدعوة أيضاً زوجته وإثنان من أصدقائه. وعنـدما وصل الحديث إلى الحجاب تم تناول موضوع عدم السـماح للمحجبـات بالدخول إلى الدروس في تركيا. وقال فاراخان:" أنا على يقـين مـن أن إخواني الأتراك الصّادقين سوف يجدون حلاً لهذا الموضوع، فـالمعروف أن المجتمعات ذات النسبة العالية من النساء المتعلمات تحقق تقـدماً أسـرع". وأضاف قائلاً:" وأنا أفهم جيداً المشكلة التي تعاني منـها البنـات؛ لأننـا عشناها في وقت من الأوقات".

يفترض أن تكون النائبة في المجلس من حزب اليسار الديمقراطي واعيةً

لأهمية تعليم المرأة، فقد قدمت إحداهن إلى المجلس اقتراحاً بشأن استصدار قانون يقضي بإلزام النساء بالخدمة العسكرية. أما أسبابها في ذلك فقد بينتها قائلةً: "خلال فترة الخدمة العسكرية سيتسنى لنا أن نعلمهن القراءة والكتابة". ولابد أن تكون هذه النائبة من حزب اليسار الديمقراطي لا ترى أو تتظاهر بعدم رؤية البنات الشابات المتحجبات اللائي حُرمن من حقهن في التعليم، واللائي ينتظرن لمدة أشهر عديدة أمام مدارسهن بسبب الحجاب. ولو سئلن عن أمهاتهن لاتضح أيضاً أنهن عملن وجاهدن كي يوفرن إمكانية التعليم لأطفالهن. ولكن هذه الجهود تنتهي إلى طريق مسدود أمام أبواب المدارس الموصدة. فإن طالبات في ريعان الشباب يُمنَعن من الدخول إلى هذه المؤسسات التعليمية المقدسة؛ كل ذلك بسبب كونهن ملتزمات بالعيش وفق ما يمليه عليهن إيمانهن.

إن حجاب النسوة يثير لدى البعض شعوراً بالخوف، وكأنه "غول". وهؤلاء يعلمون جيداً أن الأطفال لا يمكن أن يحملوا في أفكارهم أيّ شيء سيّء ضد أحد. ويعلمون جيداً أن الفتيات المحجبات هن بنات هذا الوطن. وينبغي أن يكون لهن الحقوق نفسها التي يملكها غيرهن. وهؤلاء لا يدركون أنهم يضعون أنفسهم في تناقض بهذا الموقف. إنهم بدلاً من أن يشجعوا الجميع على التعلّم، يسمحون لأنفسهم بعرقلة الفتيات الشابات المحجّبات، قائلين في قرارة أنفسهم: "لا نريدها أن تتعلم، ولا نريدها أن تساهم في بناء هذا الوطن". "لتكن ما تكون، ولكن لا تكون محجبّة".

ترى إلى أين سيقودنا هذا النوع من التفكير. فبينما تناقش الدول المتقدمة "المساواة بين الرجل والمرأة"، يغرق بلدنا في النقاش حول التمييز بين المتحجبة والسافرة والدفاع عن المساواة بين هاتين. ولكن ما فائدة هذا النقاش في هذا العصر. وبينما يجري كل ذلك، فإن الفتيات الشابات

المتحجبات لا يتخلين عن الحجاب، ولا عن حقهن في تلقي التعليم... ولكنهن ينتظرن فقط. ينتظرن بكل جلد وصبر. ينتظرن ولسان حالهن يقول: "وليكن، إني منتظرة"، وهو ما جاء في عنوان مقال للسيدة سيبل إيرآسلان الصحفية والكاتبة والمحامية عن مدرِّسة متحجبة في مادة الكيمياء.

"لا تصل المجاديف إلى السّاحل البعيد لوحدها؛ يجب أن تنفخ رياح السّماء الأشرعة، وإلا ستذهب كل الجهود سدىً".

ويليام كاوبَرْ

الأفكار الأخيرة

بدأت حياتي السياسية صباح أحد أيام سبتمبر 1994 في المكتب الواقع في الطابق الأرضي من مقر حزب الرفاه والمخصص للجنة النسائية للحزب. ويقع هذا المقر في منطقة بلغاد في أنقرة. وقادتني هذه الحياة السياسية إلى أبعد وأكثر تطوراً مما كنت أتصور. ففي ذلك الصباح دخلت بخطوات خجولة إلى اجتماع مجلس إدارة الحزب والذي كان منعقداً برئاسة السيدة ليمان آقساي، طرقت باب مكتب الحزب وبصحبتي ابنتاي "فاطمة" و"مريم" اللتان كانتا في سن الرابعة والثالثة. وقامت السيدة ليمان بتقديمي إلى أعضاء مجلس الإدارة الآخرين وإلى العاملين في الحزب. وهناك رسخت دعائم بعض الصداقات التي ستستمر مدى الحياة.

وبمرور الوقت ترك بعض الأعضاء مواقعهم لغيرهم. وحلت أسماء جديدة محل الأسماء القديمة. أما أنا فقد أصبحت من أقدم العاملين في الحزب بصفة رئيسة العلاقات الخارجية. أما ابنتاي فقد نشأتا في كنف الحزب، وعلى يد السّيدة عائشة مسئولة الإعلام في المقر، وسكرتيرتينا السيدة شيرين والسيدة أمينة، والسيدة مياسة الموظفة التي تقف إلى جانبنا عند كل مشكلة تصادفنا. فعندما تكون أم البنتين في رحلة إلى خارج البلاد يكون البنتان في أيدهن الأمينة. وعندما تستمر معها الاجتماعات كامل اليوم يجدان لديهن مشاعر الأمومة الخالصة. كانت هذه عائلتنا الجديدة، وهي العائلة التي توسعت عبر الاجتماعات الدورية الشهرية والفصلية التي تعقدها لجنة القرارات الإدارية المركزية في الحزب. وكانت المئات من النساء اللائي أتين

من مختلف مناطق تركيا، وبذلن تضحيات جسيمة سوف يصبحن مستقبلاً جزءاً لا يتجزأ من هذه العائلة. وكانت فاطمة ومريم تقضيان معظم أوقاهما في الحزب، وربما كان أكثر من بيت بالنسبة إليهما.

كانتا تترعرعان في جو السياسة الواقعي، وأصبحتا تريان في كل أمّ بمثابة أم لهما. وعندما بدأت مريم الصغيرة الذهاب إلى دار حضانة الأطفال، قالت للطفل الجالس بجانبها: "متى تصبح والدتك عضواً في الحزب؟"، إلى هذه الدرجة. بل وأخذتا تفكران أكبر من أقرالهما في السنّ. فقد كتبتا رسالة تنويان إرسالها إلى أجويد الذي أراد أن يوقفني عند حدّي عندما أصبحتُ أول نائبة متحجبة في المجلس. وكانت الرسالة تقول: "لماذا لا تسمحون لأمّنا أن تصبح نائبة في المجلس، أليس هذا من حقها كمواطنة؟". نعم كانتا تكتبان مثل هذه الرسائل على الأوراق التي تأخذالها من دفاترهما بأيديهما الصغيرة الناعمة.

والآن عندما أتأمل الماضي، أجد أن هناك لا بد من سبب رفيع جليل يكمن وراء كل تجربة. وأنا أفتخر بأطفالي، فهما الآن تذهبان إلى المدرسة، وهما أول تلميذتين متحجبتين في الصف الثامن في مدرستهما من بين 1200 تلميذ وتلميذة. وأشاهدهما كل صباح عندما أوصلهما إلى المدرسة وهما بحجابهما الأبيض تدخلان المدرسة من بابها، وهما على ثقة من نفسيهما، وبسرور تندمجان مع التلاميذ الباقين، وتختفيان وسطهم. وهما تلعبان ضمن فريق كرة السلة وفريق كرة الطائرة؛ ولكن بالحجاب. وتؤدي الأُختان الصلاة في فترة الظهيرة في غرفة مدير المدرسة السّيد "ماك كليندون".

عندما أتأمل الماضي، أدرك معنى قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكَمْ**﴾. إنّ للنضال جوانب سلبية أحياناً. والذي ينتج عنها هو "الحق" في مواجهة "الباطل".

لقد أدّى انتخاب امرأة محجّبة نائبةً في المجلس إلى أن يشـــكل حـــافزاً لإثارة المناقشات حول السياسة العامة والعلمانية والحريات المدنية. بل أصبح ذلك سبباً في حدوث اختناقات في النظام فيما يتعلق بهـــذه الموضـــوعات. ولاشكّ أنّ هذا الحدث لا يمكن قياس أبعاده ضمن إطار ضـــيق ولا علـــى المدى القصير. وسيحتل موقعه ضمن عملية النضال من أجل الحقوق المدنية على المدى البعيد.

حاليا تجرى دراسة عن "الحجاب والعلمانيـــة في تركيـــا" برئاســـة البروفسور مايكل إيجناتيف في مركز "كار" لحقوق الإنسان التابع لجامعـــة هارفارد. وضمن هذا السياق، أتمنى أن يكون كل مـــا أوضـــحته في هـــذا الكتاب وسيلة لإيجاد إجابة عن التساؤل حول "الإخلال بالحقوق، وتبعات ذلك على الإخلال بالحقوق الأُخرى". فمنع الحجاب في تركيـــا أدى إلى ظهور طبقة اجتماعية تسمي نفسها بـــ "ضحايا مسألة الحجاب". وأصبح هذا الحضر خلال العشر سنوات الأخيرة بمثابة جرح سرطاني، وهذا الجرح يستدعي تدخلاً فورياً لأنه لا شك سوف يمسّ جميع العـــائلات التركيـــة بصورة مباشر أو غير مباشرة.

إنّ هذه الآفة الاجتماعية لن تخدم الشعب التركي، بـــل ســـتؤدي إلى حدوث انقسامات في داخله؛ وهذا ما حدث بالفعل على يـــد الحكومـــة نفسها (مثل التعميم الذي نشر في عهد الحكومة الائتلافية بين حزي اليسار الديمقراطي وحزب الحركة القومية وحزب الوطن الأُم، والذي نص علـــى منع المحجبات والحيوانات من دخول المخيمات الصيفية التي أنشأها البنـــك المركزي من عرق جبين هذه الأُمة). إنّ المعاملة الإنسانية هي مـــن حـــق الجميع في هذا العصر.

وعندما أتأمل الماضي أضطر إلى النظر في اليوم الـــذي دخلـــت فيـــه المجلس، وما قبله وما بعده، وأجد نفسي مجبرة على وضع نفســـي خـــارج

إطار الوقائع لمراجعة ما وقع وما لذي كان ينبغي أن يقع. ولو كنا نعيش في بلاد تؤمن بسمو القانون بصورة حقيقية لا شكلية؛ وباستقلالية الأجهزة التشريعية والتنفيذية والقضائية، وباكتمال فترة التحول الديمقراطي على صعيد الهيكل التنظيمي للدولة وصعيد البناء الفكري للمواطن، لما ظهر أيّ مانع يمنعني من خدمة الشعب كنائبة عنه في المجلس. بيد أنه وللأسف، فتركيا لم تبدأ سوى الآن في قطع خطوات أكثر توازنا في طريق الديمقراطية بعد سير كان مترنحا لا يعرف وجهته.

لا يمكن تحميل وزر هذه المشكلة على التحول المتثاقل نحو الديمقراطية، فالأمر أبعد من ذلك، لأنّ الكمالية وتفكير النخبة هما اللذان يلعبان دورهما أيضاً في استخدام مفاهيم مثل: (التحول الديمقراطي، العلمانية، وحدة الدولة، المخاطر المهددة للأمن القومي). لذلك فإنني عندما دخلت المجلس وجدت نفسي في مواجهة مجموعة تحمل هذه الصفات، وتنعدم لديها مبادئ سموّ القانون على كل شيء، واحترام قرار الشعب. وهذا الأمر قد عسّر محمدنا من بحيث استحال إجراء تفاهم وتنسيق بالمعيار المطلوب. إنّهم لا يستندون إلى القانون ولا إلى الدستور. لذا، فقد كان ينبغي علي أن التمس طريقة غير روتينية كي أدخل من خلالها إلى المجلس، بالرّغم من حصولي على المذكرة التي تضفي الصفة الرسمية على وجودي فيه، وعلى تمثيلي للشعب. غير أن غياب أي تفكير استراتيجي لدى الحزب في هذه المرحلة إلى حدوث جملة من الخسائر. فلم تكن هناك أية خطة للسير نحو المستقبل. فالأحداث تُركت تسير على عواهنها عندما مُنعت من مزاولة نشاطي كنائبة.

عند هذه النقطة ينبغي ذكر أمر مهم؛ وهي التخمينات المختلفة التي صاحبت هذه المرحلة، وكذلك الآراء المختلفة سواء من الحزب أو من خارجه والتي لم تكن لتؤثر على إيماني بخدمة الشعب وهذا الأمر هو وحده

الذي جعلني أقبل هذه المهمة الشريفة. فالأعمال ينبغي أن تقيم بالنّوايا. وممّا يدعو إلى التأمل حقا الوضع الذي آلت إليه تركيا، فالصّمت المطبق الذي ران على مؤسسات القانون والتعليم وكذا الجمعيات الأهلية عند منعي من ممارسة حقي ومسؤولياتي كممثلة عن الشعب؛ جعل الدعوة "لإيقافي عند حدي" تكتسب معنى مختلفاً. وفي البداية أبعدتني التطورات عن إمكانية تقديم خدماتي للشعب، ودفعتني كذلك إلى طرق أبواب مراكز التوازن العالمية أمام الظلم الذي لحق بنسائنا المحجّبات. ولا شك أنّ صبرهن وصمودهنّ هو الذي حفزني لخوض هذه التجربة النضالية والحديث بأصواتهن. ولم يكن معي سوى التوكل على الله تعالى، والدعم الذي ألقاه من أُسر النساء المتحجبات اللائي يعانين من هذا الظلم والقهر.

الكلمة الأخيرة للقرّاء العربُ

لقد حدثت تطورات إيجابية خلال الفترة ما بين نشر كتابي في تركيا وترجمته إلى العربية ووصوله إليكم. من ذلك أنني بدأت أكتب في صحيفة "الوقت" وهي من أهم الصحف التركية التي جعلت هدفها خدمة الحق والشّعب. وكان ذلك بالنسبة إليّ بمثابة النافذة التي أطل من خلالها على تركيا، هذه البلاد التي ينبض قلبي بحبها، كما كان ذلك فرصة جيدة لمواصلة العمل السياسي من خلال وسائل جديدة.

وهناك تطور إيجابي آخر، فالأنشطة التي كنت أقوم بها حول تركيا داخل أميركا، إلى جانب أعمالي الأكاديمية المكثفة بالجامعة بدأت تؤتي ثمارها، فقد أتيحت لي فرصة إلقاء كلمة أمام لجنة حقوق الإنسان للأمم المتحدة بجنيف في آذار/مارس 2005. كما أن الحجاب الذي ارتديته عندما دخلت إلى البرلمان التركي قد تم عرضه في المعرض الذي أقيم تحت إشراف الأمم المتحدة بمساهمة "بيكت فوند"Becket Fund المعروف بدفاعه عن حقوق الإنسان، ومثل ذلك شرفا كبيراً بالنسبة إلي. وعقب المحاضرة التي ألقيتها أمام "لجنة التعاون والأمن الأميركية" التابعة للكونغرس الأميركي في نيسان/أبريل 2005 حول منع الحجاب، أقامت اللجنة في شهر أكتوبر معرضا تحت إشراف الكونغرس الأميركي لعرض رموز الحرية الدينية بما فيها صوري وكذلك الحجاب الذي ارتديته في البرلمان التركي واستمر العرض ثلاث سنوات في جولة عالمية.

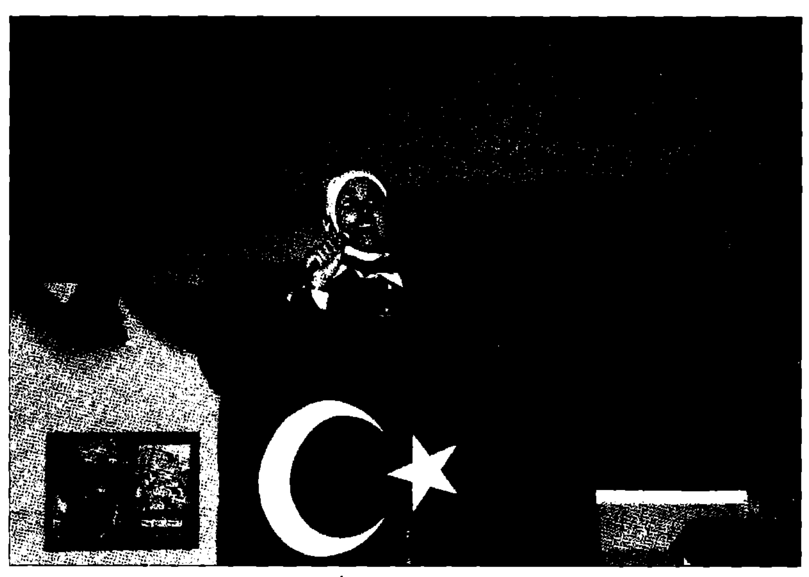
وأهم تطور على المستوى القانوني، هو شروع محكمة حقوق الإنسان الأوروبية تناول الدعوى التي رفعتها في 13 أكتوبر 2005. وكانت تركيا قد شهدت تغيرات كثيرة خلال الفترة ما بين انتهاك حقّي بصفتي نائبة في

البرلمان انتخبت بواسطة إرادة الشعب وبدء النظر في الدعوى التي رفعتها ضد الحكومة التركية باسم الناخبين للدفاع عن حق "التمثيل" الذي سلب منهم. وكانت مشيئة الله قد فرقت شمل جميع الذين أرادوا استئصالي من الساحة السياسية. ومن عجائب القدر أن أجد الآن أمامي في هذه الدعوى التي رفعتها لدى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، حكومة "حزب العدالة والتنمية" التي تتكوّن من زملائي المناضلين الذين وقفوا إلى جانبي في مدارج قاعة البرلمان التركي في عام 1999، ويختفي أجاويد فلا نراه.

ذكريات بالصّور



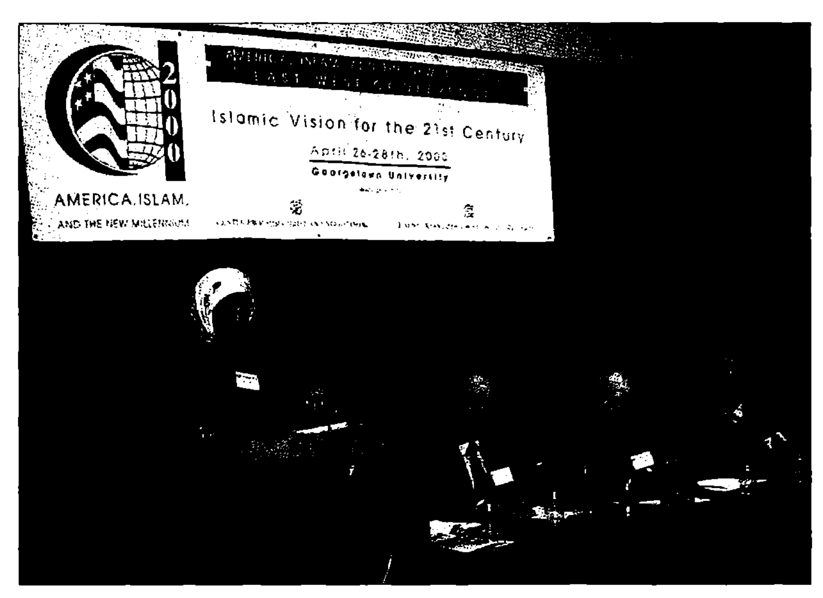
على إثر اجتماع عن التسامح بين الأديان مع بيشوب إليا، دالاس 2001



جامعة اينسبورغ، النمسا أبريل 2002



رئيس جامعة "American University" البروفيسور بنيامين لادنار، والبروفيسور أكبر أحمد في عشاء الإفطار الذي نظمته الجامعة. نوفمبر 2003. Washington DC
Photo courtesy of American University, by Jeff Watts.



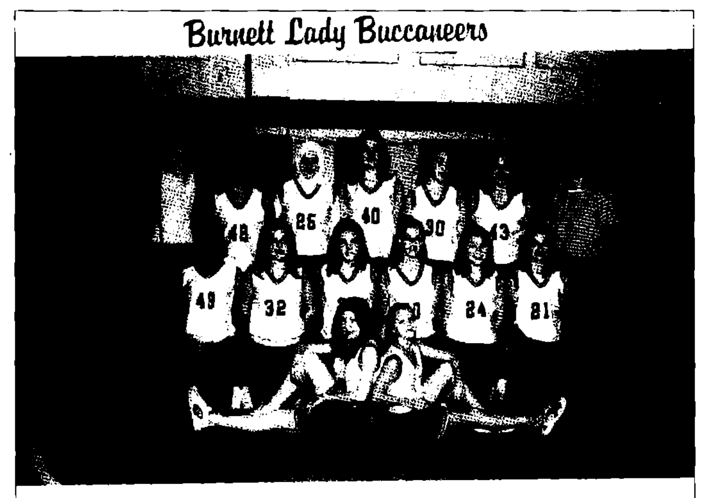
في جامعة جورج تاون ، ندوة "أميركا، الإسلام والألفية الجديدة، أبريل 2000، Washington DC.



برنامج في قناة الجزيرة



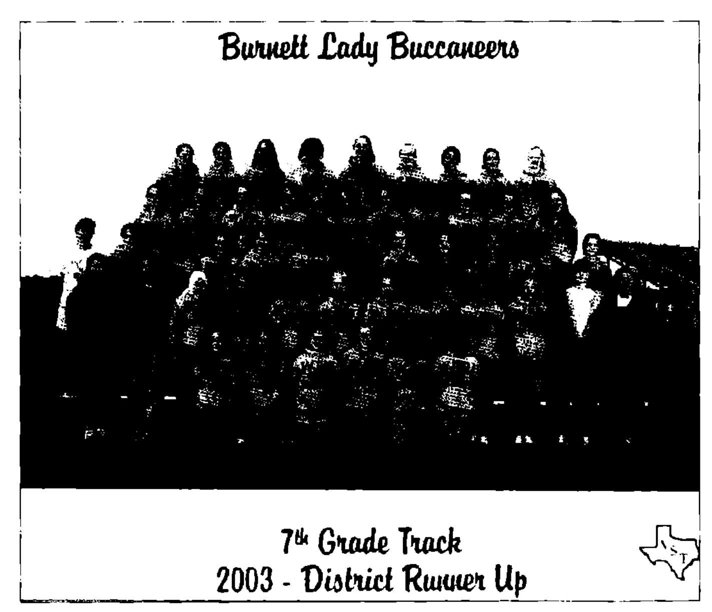
مع أمي وأختَّي، أنقرة 1977 من اليسار إلى اليمين: "روضة" و"أليف منى" وأنا



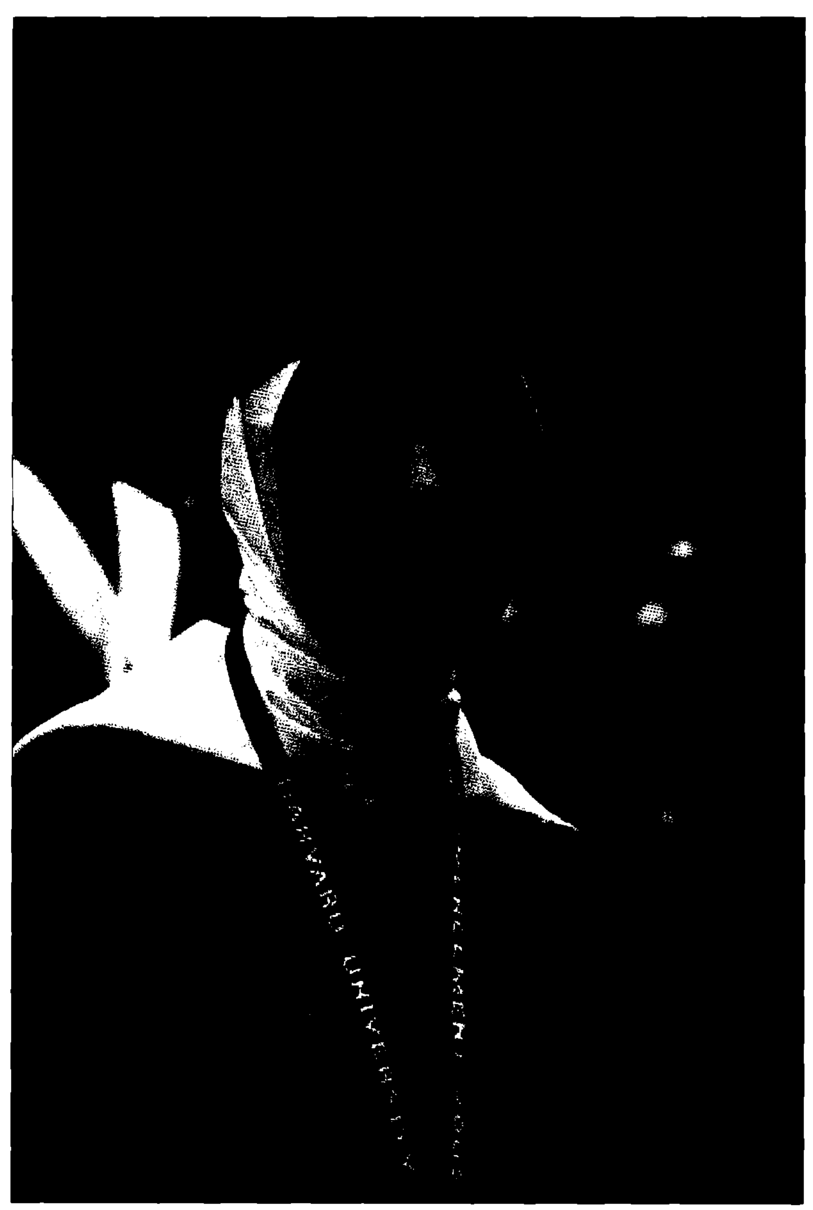
7th Grade 'Black' Team
2002-2003



ابنتي فاطمة مع فريق كرة السلة، أبريل سنة 2003، دالاس



ابنتي مريم مع فريق العدو، أبريل 2003، دالاس



يونيو 2003، بوسطن



فاطمة ومريم، دالاس 1993



فاطمة، مريم وجدتي، أنقرة 1997



فاطمة، أروى، ميرم، شيكاغو 2001



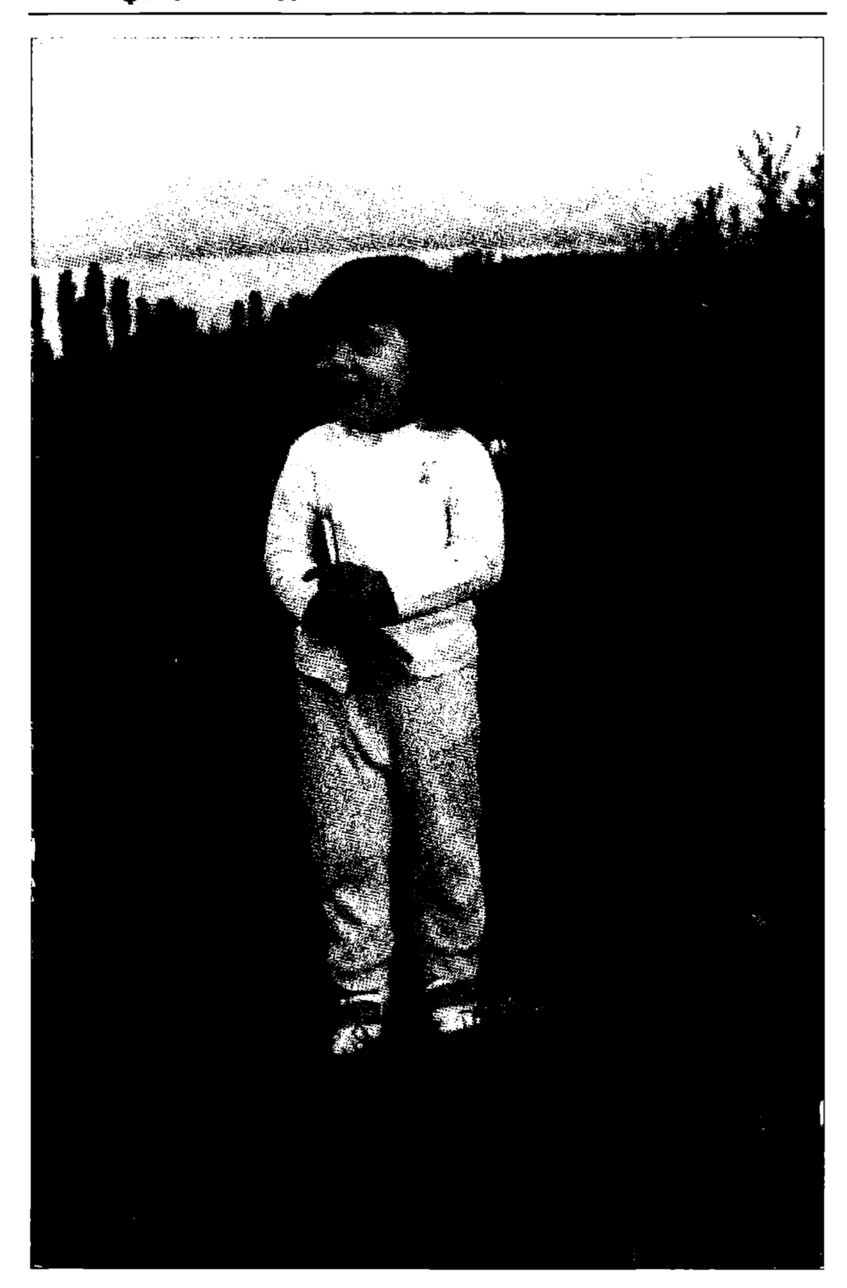
استانبول 1970



استانبول 1970



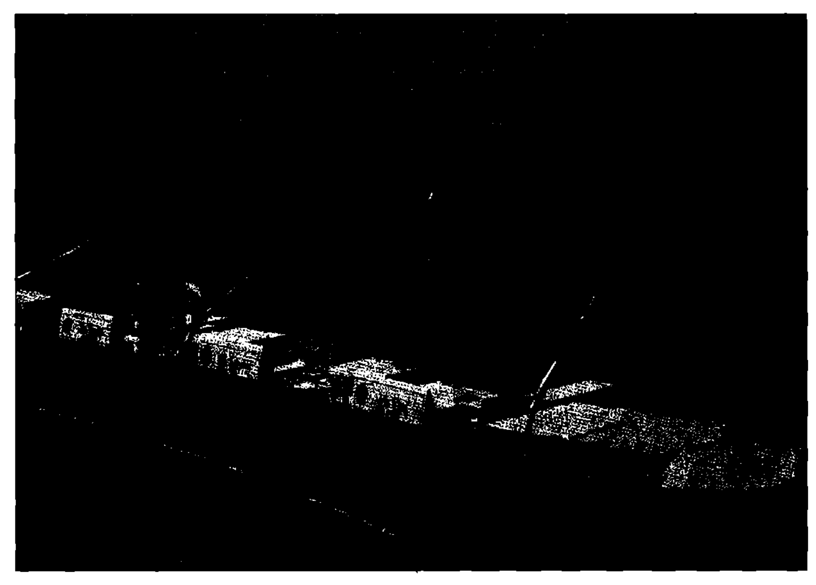
استانبول 1970



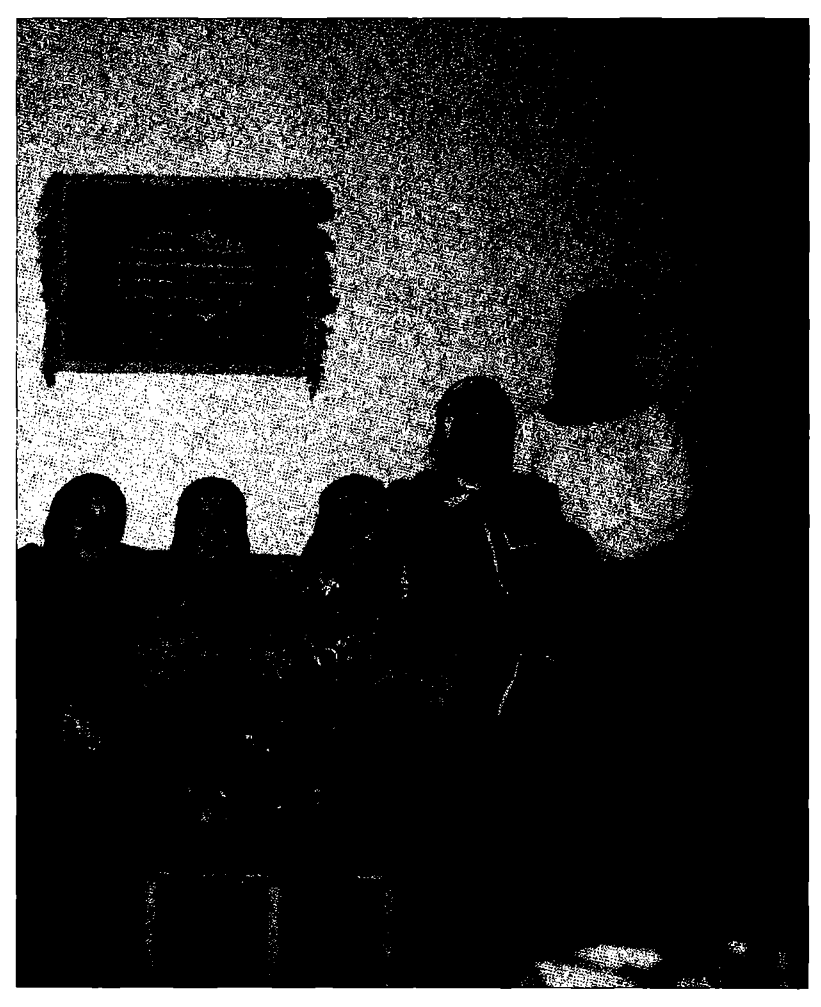
استانبول 1971



مروة قواقجي وبنتاها مع أسرة أربكان، نوفمبر 1998



قواقجي تتكلم وتحاضر بخصوص مشكلة الحجاب في جلسة اختصاصية،
كونغرس أمريكي، واشنطن، أبريل 2005



من اليمين إلى اليسار: مروة قواقجي، أمينة ارطفان (زوجة رجب طيب ارطفان، الوزير الاول التركي)، في زيارة، ألمانيا، مارس 1996.



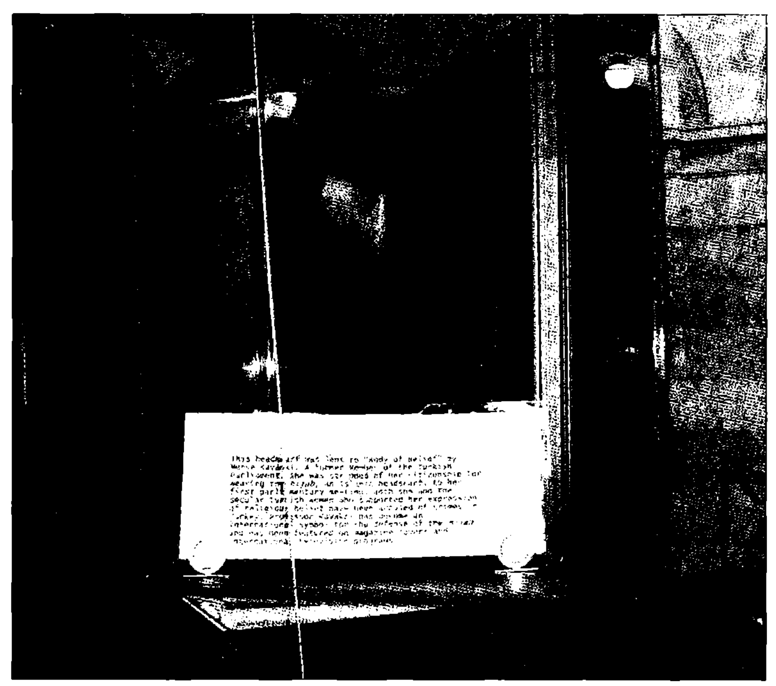
مروة قواقجي تتكلم مع موظفي منظمة الأمم المتحدة، سويسرا، مارس 2005



مروة قواقجي مع محاميها في محكمة الحقوق الإنسانية الأوروبية فرانس، أكتوبر 2005.



من اليسار إلى اليمين: مريم، أبي، أنا، فاطمة، أختي أليف منى، ابنة أختي جنة وأمي. يونيو 2003، بوسطن.



سناتو/كونغرس أمريكي، حجاب مروة قواقجي في معرض سناتو، أكتوبر 2005

الأسماء المذكورة في الكتاب

- **أتلاي، بشير:**أحد الأعضاء المؤسسين لحزب العدالة والتنمية، وهو الآن يشغل منصب وزير دولة.
- **أحمد خاقان:** صحفي ومقدم برامج إخبارية في التلفزيون.
- **أق بلوط، يلدرم:** رئيس البرلمان.
- **أقصاي، ليمان:** رئيس اللجنة النسائية في فترة حزب الرفاه.
- **أقصاي، محمد:** أحد أصدقاء الأسرة وزوج ل. أقصاي.
- **إيزكي، عمر:** رئيس البرلمان.
- **إيليجاك، نازلي:** صحفية ونائبة عن حزب الفضيلة المنحل وممنوعة من العمل السياسي.
- **أونال، زكي:** كان نائبا عن حزب الرفاه ثم عن حزب الفضيلة، وهو مستشار قواقجي وسندها.
- أونال، مقدر: زوجة زكي أونال.
- **أجويد، بلند:** رئيس حزب اليسار الديمقراطي، ورئيس الحكومة.
- **أربكان، أليف:** ابنة نجم الدين أربكان.
- **أربكان، نجم الدين:** بروفيسور د. مؤسس حزب ملي نظام (النظام القومي) ثم حزب الرفاه، ورئيس حكومة سابق.
- **أربكان، نرمين:** زوجة نجم الدين أربكان و ناشطة في الحزب.
- **أردوغان، أمينة:** زوجة الطيب أردوغان.
- **أردوغان، الطيب:** الرئيس السابق لبلدية مدينة استانبول الكبرى، وهو الآن رئيس الحكومة.
- **أوزدمير، سالم:** محامي مروة قواقجي.

- **أوزكان، حسام الدين:** وزير دولة في حزب اليسار الديمقراطي.
- **أولوسوي، عثمان:** قائد سيارة مروة قواقجي، ومسئول عن حمايتها.
- **باش، مصطفى:** عضو في البرلمان عن حزب الرفاه ثم عن حزب الفضيلة.
- **طاش كتيران، أحمد:** صحفي وكاتب.
- **جم، إسماعيل:** وزير الخارجية في حكومة حزب اليسار الديمقراطي.
- **كورتونا، علي مفيد:** رئيس بلدية مدينة استانبول الكبرى.
- **كورتونا، ريحان:** زوجة علي مفيد كورتونا.
- **غول، عبد الله:** عضو برلماني عن حزب الفضيلة، والمسئول عن العلاقات الخارجية، وهو الآن وزير الخارجية.
- **جيجاك جميل:** عضو برلماني عن حزب الوطن الأم، ثم عن حزب الرفاه وحزب الفضيلة، وأحد مؤسسي حزب العدالة والتنمية، وهو الآن وزير العدل.
- **دميرال، سليمان:** رئيس الجمهورية.
- **ديلباك، عبد الرحمن:** صحفي وكاتب.
- **دوندار أوغور:** منتج برامج تلفزيونية.
- **سبتي أوغلو، علي رضا:** أكبر أعضاء مجلس البرلمان سنا، ورئيس الجلسة في حادثة أداء مروة قواقجي اليمين.
- **شانلي، جمال:** بروفيسور في القانون الدولي.
- **شنار، عبد اللطيف:** عضو برلماني عن حزب الرفاه ثم عن حزب الفضيلة، وهو الآن وزير دولة.
- **فاطمة:** ابنة مروة قواقجي.

- **قابوسوز، صالح:** عضو برلماني عن حزب الرفاه ثم عن حزب الفضيلة.
- **قره ملا أوغلو، تمال:** أحد مؤسسي حزب الفضيلة وعضو برلماني عنه. وهو الآن أحد أعضاء حزب السعادة.
- **كاملاك، مصطفى:** عضو برلماني عن حزب الرفاه ثم عن حزب الفضيلة .
- **قواقجي، روضة:** أخت مروة قواقجي.
- **قهرمان، إسماعيل:** وزير الثقافة في حكومة حزب الرفاه، وعضو برلماني عن حزب الفضيلة.
- **قوطان، رجائي:** وزير سابق في حزب "ملي سلامت" وحزب الرفاه، وأحد مؤسسي حزب الفضيلة ورئيسه وهو أحد مؤسسي حزب السعادة الحالي.
- **مالكوتش، شرف:** عضو برلماني عن حزب الرفاه ثم حزب الفضيلة.
- **مريم:** ابنة مروة قواقجي.
- **مندراس، آيدن:** نائب في البرلمان وابن عدنان مندراس الذي تم إعدامه؟
- **يوكسال، نوح متا:** رئيس محكمة أمن الدولة، والنائب العام..

ديمقراطية بلا حجاب

مروة صفاء قواقجي

أتمنى أن يكون كل ما أوضحته في هذا الكتاب وسيلة لإيجاد إجابة عن التساؤل حول «الإخلال بالحقوق، وتبعات ذلك على الإخلال بالحقوق الأخرى». فمنع الحجاب في تركيا أدى إلى ظهور طبقة اجتماعية تسمي نفسها بـ «ضحايا مسألة الحجاب». وأصبح هذا الحظر خلال العشر سنوات الأخيرة بمثابة جرح سرطاني، وهذا الجرح يستدعي تدخلاً فورياً لأنه لا شك سوف يمسّ جميع العائلات التركية بصورة مباشرة أو غير مباشرة. هذه هي الحقيقة استناداً على الإحصائيات الصحيحة بطريقة علمية سليمة.

إن هذه الآفة الاجتماعية لن تخدم الشعب التركي، بل ستؤدي إلى حدوث انقسامات في داخله؛ وهي تؤذي أذى شديداً المحجبات فقط ولا تنفع شيئاً آخر قط. وهذا ما حدث بالفعل على يد الحكومة نفسها، إن المعاملة الإنسانية هي من حق الجميع في هذا العصر.



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb



ISBN 9953-29-414-3
9 799953 294147

